

طبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير طومني الحسني الثاني نصر الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بغية الرائد

لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي
476 - 544 هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للمافظ السيوطي

تمقيق

صلاح الدين بن أحمد الإدري

محمد المسن أجائف محمد عبد السلام الشرقاوي

1395 هـ - 1975 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والتابعين باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فان من دواعي الفبطة والسرور ان يرى هذا السفر النفيس عالم النور في شهر رمضان المبارك ، بعد ان احتبس على رفوف خزائن المخطوطات ردحا طويلا ، وزاد تشوق العلماء اليه وتشوفهم الى مطالعة فصوله الطريفة .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ تقدم هذا الكتاب المسمى ب : « بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد » للقاضي عياض درة مدينة سبته ومفخرة المغرب على مر العصور ، لتعتبره حلقة في سلسلة مطبوعاتها الاصيلية ، فقد جاء طبعه بعد الجزء الاول والثاني من « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » لابن عطية ، وسيتلوه في الايام المقبلة ان شاء الله الجزء الثالث من نفس التفسير باذن الله .

وما هذه الاعمال كلها الا حسنة جديدة تضاف الى سجل المآثر الخالدة لمولانا امير المؤمنين الحسن الثاني ايده الله ونصره ، اذ انها تشرفت بامرّه المولوي ورعايته السامية .

والوزارة تفتنم فرصة صدور هذا الكتاب لترفع الى السدة العالية بالله آيات الولاء والاخلاص ، سائلة الله عز وجل ان يحفظ مولانا امير المؤمنين صاحب الجلالة الحسن الثاني ، باعث نهضة هذا الوطن الفكرية والثقافية ، ورائد احياء تراثنا الاسلامي العربي الخالد ، وان يتولى برعايته صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد ، وصنوه مولاي الرشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الشريفة ، انه سميع مجيب .

الداى ولد سيدي بابا
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونستعديه ونستترشده ، ونعوذ بالله من شرور نفوسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد ان لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ، خير نبي للعالمين ارسله .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، الهادي الى صراط مستقيم ، نبيك المصطفى ، وحبيبك المجتبي ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، وعلى آله الاتقياء ، وصحابته الاصفياء ، ومن تبع بسنتهم واقتفى آثارهم الى يوم الدين .

وبعد : فان الامم المتطلعة الى النهضة ، اما ان تنظر في جوانب النهضة المستوردة من امم اخرى ، دون التفات الى ماضيها وسلفها ، وبذلك تنسى وجودها ، وتمسخ ذاتها ، ويضيع كيانها اشتاتا ، واما ان تعير الماضي المضيء جانبا من الاهتمام ، فتستلهم العزم من عزيمة السلف ، وتستنهض به همة الخلف ، وبذلك تحافظ على استقلال شخصيتها ، وعلى عزتها وكرامتها وامجادها ، لكن ينبغي ان لا نقف عند الاعتزاز بالآباء ، بل يجب اخذ المثل من جهدهم وجهادهم ، والاعتبار بهمتهم ، ومتابعة السعي قدما الى الامام .

والمغرب بلد اصيل ، له شخصية فذة ، شهد له بها القريب والبعيد ، خلال عصور التاريخ الطارف منها والتليد .

وتاريخ المغرب هو تاريخ الاسلام في هذه البقعة من الارض ، التي وقفت خلال تاريخها حصنا للاسلام ، وثورا للدفاع عن المسلمين ، فصدت كل خطر يمكن ان يهدد العالم الاسلامي . وما تاريخ الاندلس الشامخ الا

امتداد لتاريخ المغرب ، فمن هذا الى ذاك سرى نور الاسلام ، ومعه الايمان والعلم والحضارة .

ومما تستنهض به العزائم بهمة السلف ، احياء تراثهم ، ونشر اخبارهم وسيرهم ، لا سيما العلماء منهم ، وطلبهم للعلم ، وحرصهم عليه ، ورغبتهم فيه ، وتصنيفهم في سائر شعبه وفنونه .

ويدخل في احياء التراث ما قامت بنشره وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، اذ انه قد آلى على نفسه ان يأخذ بالاصالة النابعة من هذا الشعب العظيم ، وان يصبغ النهضة في كل ميدان بصبغة هذا البلد المسلم الاصيل .

واذا ذكر تاريخ العلماء بالمغرب ، كان اول ما يتجلى فيه علم لامع ، وبدر ساطع ، هو « القاضي عياض » رحمه الله ، الذي قيل فيه : « لولا عياض لما ذكر المغرب » .

وللقاضي عياض رحمه الله مؤلفات مفيدة نافعة ، لعل من اطرفها شرحه لحديث ام زرع ، وهو كتاب لطيف ، شاع ذكره بين فقهاء المغرب خاصة ، وتردد على السنة واقلام سائر علماء العالم الاسلامي ، ولكنه بقي مخطوطا لم ير عالم النور ، حتى امتدت اليه يد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، لتحقيقه وطبعه ، وتقديمه درة من مفاخر المغرب الدريسة ، جمعت بين لطافة التأليف المغربي ، وحسن الاخراج والطبع المغربي ، يتوج ذلك امر عاهل المغرب امير المؤمنين الحسن الثاني ، نصره الله ، وايده بالعون والتوفيق والتسديد .

وان « وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية » اذ تقدم هذا السفر اللطيف ، لترجو ان تكون قد ساهمت بلبنة اخرى في بناء صرح تراثنا المجيد ، بعد « ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك » للقاضي عياض ، و « التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد » لابن عبد البر ، و « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » للقاضي عياض و « التعريف بالقاضي عياض » لولده ابي عبد الله محمد ، وهو سفر حافل عن حياة هذا العلم الشامخ من شتى جوانبها ، ومن اعرف بالوالد من ولده ؟ وقد قيل : الولد سر ابيه .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ نشرت « التعريف بالقاضي عياض » فقد اغنتنا عن التوسع في ترجمته ، كما اغنتنا عن ذلك تلك الترجمة القيمة في مقدمة ترتيب المدارك ، الذي طبعته الوزارة .

الا انه لا بد لنا من ان نشير الى نبذة عن القاضي عياض رحمه الله،
ثم اذكر طرفا عن شرحه لحديث أم زرع .

القاضي عياض :

يقول ابو عبد الله محمد بن عياض عن أبيه : « ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي . وكان أبي رحمة الله عليه يقول (لا ادري هل محمد والد عياض أم بينهما رجل فهو جده ؟) . استقر اجدادنا في القديم بالاندلس ، جهة بسطة ، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، لا ادري اقبل استقرارهم بالاندلس أم بعد ذلك » . (التعريف بالقاضي عياض ، ص 2) .

ولد القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بمدينة سبتة ، في منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة ، 476 هـ .

نشأ طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، كان من حفاظ كتاب الله تعالى ، وله الحظ الوافر في التفسير والحديث وعلومهما .

وكان فقيها ، بصيرا بالفتيا والاحكام والنوازل ، اصوليا نحويا اديبا شاعرا ، يستعمل في شعره الفرائب ، حافظا للغة والاغربة والشعر .

اخذ عن اشيخ بلده ، ثم رحل الى الاندلس ، فدخل قرطبة ومرسية ، واخذ عن شيوخ الاندلس ، واجازه علماؤها ، ثم عاد الى بلده سبتة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما او نحوها ، وبعد ذلك ييسير اجلس للشورى ، ثم ولي القضاء ببلده ، ثم نقل الى قضاء غرناطة ، لكنه صرف بعد مدة عن قضائها ، وعاد قاضيا في سبتة .

كان القاضي عياض رحمه الله يعيش عيشة علمية ، فهو حيثما حل وارتحل يفيد ويستفيد ، دأبه وحرصه على لقاء العلماء والسماع منهم ، واخذ عن نحو مائة شيخ .

ولثبات القاضي عياض رحمه الله على عقيدته السنية ، غره الموحدون عن بلده ، فجزع رحمه الله لفراقها ، و (كان رحمة الله عليه يوم سفره الى مراكش يودع الناس ويبكي ، ويقول : جعلني الله فداءكم) . (التعريف بالقاضي عياض ، ص 115) .

وقوله هذا « جعلني الله فداءكم » على ما رجحه من جواز التفدية ،
وقد حكى هذه المسألة والخلاف فيها مبسوطاً في الفصل الذي خصصه
للكلام على فقه حديث ام زرع اواخر الكتاب . (انظر صفحة 171)

وتوفي في مراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، (544 هـ) .

وللقاضي عياض مؤلفات قيمة ، منها « اكمال المعلم بفوائد مسلم »
كامل به شرح أبي عبد الله محمد بن علي المازري لصحيح مسلم ،
المسمى بـ « المعلم بفوائد مسلم » ، و « الالمام في ضبط الرواية وتقييد
السماع » ، و « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » و « مشارق الانوار على
صحيح الآثار » .

ومنها مما طبعته الوزارة : « ترتيب المدارك » و « الاعلام بحدود
قواعد الاسلام » وها هي اليوم تقدم « بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع
من الفوائد » .

بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد :

قال ابن حجر : « وقد شرح حديث ام زرع اسماعيل ابن أبي
اويس شيخ البخاري ، روي ذلك في جزء ابراهيم بن ديزيل الحافظ من
روايته عنه ، وابو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث ، وذكر انه نقل
عن عدة من اهل العلم لا يحفظ عندهم ، وتعقب عليه في مواضع ابو سعيد
الضرير النيسابوري ، وابو محمد ابن قتيبة ، كل منهما في تاليف مفرد ،
والخطابي في شرح البخاري ، وثابت بن قاسم ، وشرحه ايضا الزبير بن
بكار ، ثم احمد بن عبيد بن ناصح ، ثم ابو بكر ابن الانباري ، ثم اسحاق
الكاذي في جزء مفرد ، وذكر انه جمعه عن يعقوب بن السكيت وعن أبي
عبيدة وعن غيرهما ، ثم ابو القاسم عبد الحكيم بن حبان المصري ، ثم
الزمخشري في الفائق ، ثم القاضي عياض ، وهو أجمعها وأوسعها ، وأخذ
منه غالب الشراح بعده » . (فتح الباري 11 : 163 - 164) .

وقد ابتدا القاضي عياض كتابه بذكر اسانيده في روايه الحديث ،
ثم ساق نصه واختلاف الرواة في بعض الفاظه ، ثم انتقل الى تفسير
السند ، وبين ان بعض رواة هذا الحديث جعلوه كله من قول النبي صلى الله
عليه وسلم ، وبعضهم جعلوه من قول عائشة رضي الله عنها الا قوله في
آخر الحديث « كنت لك كأبي زرع لام زرع » ، وقد صوب القاضي عياض
رحمه الله رواية الفريق الثاني ، تبعاً للخطيب البغدادي والدارقطني ،

وهذا التصويب هو الصواب . ثم انتقل الى التعريف بهؤلاء النسوة ،
وانهن كن فى زمن الجاهلية ، وانهن من بطن من بطون اليمن ، او كن من
قريش بمكة .

ثم انتقل الى العربية وجعل الكلام فى هذا الفصل فى محلين ، ثم بين
ما فى استهلال هذا الحديث من الفقه ثم الغريب .

وفى ذكر اثناء الكلام على الفقه بحثا نفيسا فى العدالة والمروءة
والشاهد ، وقال : « وهذه نكتة بالغة فى هذا الفصل ، تغفل القول بها ،
لعلك لا تجدها بهذا البيان فى غير هذه الاوراق » . (انظر صفحة 41) .

ثم انتقل الى قول المرأة الاولى فبين غريبه ومعناه وعريته ، ثم ذكر
ما فيه من الفقه .

ثم انتقل الى قول الثانية فبين غريبه ومعناه ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ،
حتى وصل الى الحادية عشرة ، فقطع كلامها مقاطع لطوله ، وتكلم على كل
مقطع فبين غريبه ومعناه وعريته .

ثم انتقل الى فصل من الفقه ذكر فيه مسائل ، منها قول المرء
لصاحبه بابي انت وامى ، وفداك ابي وامى ، ومنها ترفية المتزوج بلفظ
الرفاء ، ومنها جواز المزح فى الاحايين ، وقد فصل القول فى هذه المسائل
خاصة ، وذكر طرفا من اخبار مازحة النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ،
وبين حد المزاح المباح المحمود من غيره .

ثم انتقل الى ما فى هذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغة
وابواب البديع .

وهكذا جاء شرح القاضي عياض رحمه الله لهذا الحديث اجمع
الشروح واوسعها ، كما قال ابن حجر . ولم يسم القاضي عياض فى خطبة
كتابه اسم الكتاب ، ولا ذكرت النسخ التي بين ايدينا تسمية للكتاب الا النسخة
الزبدانية ، فقد سمته « بغية الرائد فيما فى حديث ام زرع من الفوائد » ،
وسماه اللهي فى تذكرة الحفاظ « شرح حديث ام زرع » ، وسماه ابنه
فى التعريف وابن فرحون فى الديباج المذهب « بغية الرائد لما تضمنه
حديث ام زرع من الفوائد » وهذا هو الاولى ، لان ابنه اعرف بتسمية
مؤلفاته .

والقاضي عياض مالكي شديد المحبة للامام مالك رحمه الله ، ولا بد أن يظهر هذا في كلامه ، فمن ذلك قوله - عند الكلام على ان في استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع اهله - حيث قال : « وقد كان مالك رضي الله عنه يقول : في ذلك مرضاة لربك ، ومحبة في اهلك ، ومثابة في مالك ، ومنساة في اجلك . قال : وقد بلغني ذلك عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان مالك رحمه الله من احسن الناس خلقا مع اهله وولده ، وكان يحدث يقول : يجب على الانسان ان يتجنب الى اهل داره حتى يكون احب الناس اليهم » . (انظر صفحة 32) .

ويبدو من كلام القاضي عياض رحمه الله ان له دراسات نفسية ، من ذلك انه قال - عند الكلام على غريب قول الثانية - : « وقال ابو سعيد النيسابوري : انما عنت ان زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم » . (انظر صفحة 60) .

وهذه اشارة الى ملاحظة ابي سعيد النيسابوري للتعقد النفسي ، وانه قد تكون عند بعض الناس عقد نفسية ، وانها ربما حالت بين الانسان وبين المكارم . ونقل القاضي عياض رحمه الله لقول ابي سعيد هذا يدل على ان له نظرا في (علم النفس) ومشاكلها .

والقاضي عياض رحمه الله مولع بغريب اللفه ، وايراد الشواهد الشعرية في سائر المناسبات ، كما ان له آراء وترجيحات في تفسير الغريب ، وبعضها لم يسبق اليه .

وقد اورد السيوطي رحمه الله حديث ام زرع في (الجامع الكبير) في قسم الافعال في اواخر مسند عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجتمع احدى عشرة امرأة ...) وساق الحديث بتمامه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، وعزاه للطبراني في الكبير وابن النجار .

واورده الحافظ العراقي المفري في هامش نسخته من الجامع الكبير في الجزء الثاني ، عند حديث . « كنت نهيتكم عن لصوم الافصاحي » قال : « كنت لك كابي زرع ... » الحديث ، رواه البخاري في النكاح في باب حسن المعاشرة مع الاهل ، ومسلم في المناقب ، والترمذي في باب السمر من السمائل ، وابو نعيم في الحلية في ترجمة بشر الحافي ، والخطيب في ترجمة حاتم بن الليث » .

ورواية الخطيب البغدادي له في تاريخ بغداد (8 : 245) من طريق حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثني ابن أبي الزناد ، عن أبي الزناد ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كنت لك كابي زرع لام زرع) . ورواية أبي نعيم له في حلية الأولياء (8 : 356) من طريق بشر بن الحارث الحافي ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت كابي زرع لام زرع » ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع قال : « اجتمع احدى عشرة نسوة » فذكر الحديث .

أما الإمام أحمد فلم يروه في مسنده ، وهذا من الأحاديث الصحيحة المخرجة في الصحيحين وليست في « المسند » ، كما قال العراقي ، (تريب الراوي للسيوطي ص 100) . وكذا أصحاب السنن الأربعة فانهم لم يخرجوا هذا الحديث في سننهم ، لكن أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » .

نسخ الكتاب وعملنا فيه

1 - النسخة الموجودة بالخزانة الزيدانية من الخزانة الملكية بالرباط ضمن مجموع ، وأرمز لها بالزاي (ز) .

وهي نسخة جيدة ، مكتوبة بخط مغربي جميل ، كتبت سنة ثمانية وثلاثين ومائة والف هجرية ، ورقمها / 3883 ز / . وتنفرد أحيانا بزيادات عن سائر النسخ ، إلا أن فيها مواضع بيض لها الناسخ ، وعلى كل حال فهي ليست كثيرة ، ولا تتعدى مواضع البياض سطرا أو سطرين . ويبدو أن هذه النسخة مصححة ومقابلة .

2 - النسخة الموجودة بالخزانة الملكية بالرباط ، وأرمز لها بالميم (م) .

وهي نسخة لا بأس بها ، مكتوبة بخط نسخي مشرقى جميل ، كتبت سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، ورقمها / 6392 / . وهي أقدم النسخ التي بين أيدينا . إلا أن هذه النسخة لقدمها قد أكلت منها العثة بحيث لم تبق من بعض أوراقها سوى نصفها أو أكثر أو أقل في بعض الأحيان .

وهي نسخة مقابلة ومصححة ، ومضبوطة بعض الكلمات ، وفي كل عدة أوراق يكتب ناسخها على الهامش : « بلغ مقابلة وسماعا » .

3 - النسخة الموجودة بالخزانة الكتانية من الخزانة العامة بالرباط ،
وارمز لها بالكاف (ك) .

وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح ، لم يذكر ناسخها سنة
كتابتها ، لكن يبدو أنها ليست قديمة ، ورقمها / 1857 ك / وتتفق هذه
النسخة مع الزيدانية في كثير من الكلمات التي بينها فروق في النسخ .
وكثيرا ما ينتقل نظر الناسخ من سطر الى سطر فيقع في انقاص شيء من
الكلام . ويبدو أن هذه النسخة غير مصححة ولا مقابلة .

4 - النسخة الموجودة بمديرية الشؤون الإسلامية بالرباط ،
وارمز لها بالسين (س) .

وهي نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة وليست منسوخة عن احدى
النسخ الثلاث السابقة قطعا .

وعلى كل حال ، فانه يمكن استخلاص النص من هذه النسخ بطريقة
التلفيق ، وهذا النص المستخلص ان لم يكن هو النص الصحيح الكامل
فهو اقرب ما يكون اليه .

وبين النسخ فروق كثيرة وهي مملوءة بالأغلاط والتصحيقات ، وقد
اثبتنا بعض هذه الفروق في اسفل النص ، والكلمات التي نريد اثبات
الفروق فيها نضع لها رقما متسلسلا من اول الكتاب الى آخره هكذا : « 1 »
« 2 » « 3 » « 498 » « 499 » « 500 » ، ومعها الإشارة الى
الآيات القرآنية الكريمة ، ثم اثبتناها تحت نص الكتاب بأرقامها « 1 » « 2 »
« 3 » ... حتى « 500 » .

اما التعليقات ومعها تخريج الأحاديث النبوية الشريفة فنضع لها رقما
متسلسلا من اول الكتاب الى آخره بهذا الشكل (1) (2) (3)
(119) (120) (121) ، واثبتناها تحت (الفروق وتخريج الآيات القرآنية
الكريمة) مفصولا بينهما بخط ، وأرقامها بهذا الشكل (1) (2) (3) ...
حتى (121) .

وفى الكلمات التي نذكر ما فيها من الفروق في النسخ الخطية فاننا
نقدم غالبا ما ظهر لنا انه الصواب أو الاصوب ، وقد نعلق على ذكر الوجهين

من الفرق او الوجوه فنقول بعد ذكرها : « ولعله اصوب » او « وهو
تصحيف » او « وهو غلط » او « وهو نقص مخل » والمراد الوجه الاخير،
اذ ان الضمير يعود على اقرب مذكور .

وهذه لائحة باسماء بعض الكتب المشار اليها في التعليقات مع
بيان ما اعتمدناه من طبعاتها :

- الادب المفرد للبخاري بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
المطبعة السلفية - القاهرة - 1375 هـ
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - القاهرة - 1349 هـ
- تدريب الراوي للسيوطي بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
الطبعة الاولى - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - 1379 هـ
- التعريف بالقاضي عياض لولده محمد بن عياض بتحقيق الدكتور
محمد بن شريفة
الطبعة الاولى - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية -
المملكة المغربية
- الجامع الصغير للسيوطي مع شرحه فيض القدير للمناوي
الطبعة الاولى - مطبعة مصطفى محمد - القاهرة - 1356 هـ
- الجرح والتعديل لابن ابى حاتم
الطبعة الاولى - حيدر آباد الدكن (الهند) - 1371 هـ
- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء لابي نعيم
الطبعة الثانية - دار الكتاب العربي - بيروت - 1387 هـ
- سنن ابي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة مصطفى محمد - القاهرة - 1354 هـ
- الشماائل المحمدية للترمذي مع شرحه لمحمد بن قاسم جسوس
مطبعة بولاق - القاهرة - 1296 هـ

— فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر
مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - 1378 هـ

— مسند الامام أحمد
المطبعة الميمنية - القاهرة - 1313 هـ
(اذا احيل على مسند الامام احمد بذكر الجزء والصفحة
فالمراد طبعة الميمنية ، واذا احيل عليه بذكر رقم الحديث
فالمراد طبعته بشرح وتحقيق احمد محمد شاكر) .

— المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على اللسنة
للسخاوي بتصحيح وتعليق عبد الله محمد الصديق
مكتبة الخانجي - القاهرة - 1375 هـ

تفسير حديث أم زرع للسيوطي :

وتتبعنا للفائدة فسيلحق ب (بنية الرائد) للقاضي عياض كتاب
آخر هو (تفسير حديث أم زرع) للسيوطي ، وهو شرح مختصر لطيف ،
منتزع من حاشيته على صحيح البخاري المسماة ب (التوشيح) .

وتوجد فى الخزنة العامة بالرباط نسخة خطية من (تفسير حديث
أم زرع) للسيوطي ، أرمز لها بالعين (ع) ، وفيها نسخة من (التوشيح) ،
أرمز لها بالتاء (ت) . وحيث ان النسخة (ع) فيها نقص كثير عن الاخرى
لان ناسخها قد نقلها باختصار ، فستكون المعتمدة هي النسخة (ت)
سوى كلمات يسيرة .

الحافظ السيوطي :

هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق
الدين الخضيرى السيوطي ، امام حافظ مؤرخ مفسر محدث نحوي لفوي
أديب ، صنف نحو ستمائة كتاب ، فيها الكتب الكبيرة ، ومنها الرسائل
الصفيرة ، وبعضها الورقات اليسيرة .

ومن كتبه : (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) و (الاتقان فى علوم
القرآن) و (اسعاف المبطا فى رجال الموطأ) و (تنوير الحوالك فى
شرح موطأ الامام مالك) و (التوشيح على الجامع الصحيح) أي صحيح
البخاري ، و (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) و (الجامع الصغير)

و (الجامع الكبير) و (عقود الزبرجد على مسند الامام احمد) و (مناقب
مالك) و (مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا) وغيرها كثير .

ولد - رحمه الله - سنة 849 ، وتوفي سنة 911 هـ .



وفي ختام هذه الكلمة نتوجه بالشكر لمديرية الشؤون الاسلامية ،
التي سهلت لنا سبل البحث العلمى ، واناخت لنا فرصة تحقيق هذا السفر
النفيس ، ونحيي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، التسي
ما فنتت تعمل على احياء التراث الاسلامي الاصيل ، طبقا للتعليمات السامية
لمولانا امير المؤمنين ، ايده الله ونصره .

حفظ الله مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني واقر عينه
بسمو ولي عهده المحبوب الامير الجليل سيدي محمد ، وبساتر افراد
اسرته الشريفة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المحققون

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

**قال القاضى الاعدل ، الحجة الاكمل ، الحافظ
الافضل ، المجد أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي ، رحمه الله :**

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل صلواته على مصطفىاه محمد
خاتم النبيئين ، وقفت – أدام الله توفيقك ، ونهج لمهيع (1)
الحق طريقك – ، على ما سألت عنه من حديث أم زرع ،
وتفسير مشكل معانيه وأغراضه ، وفتح مقفل غريبه وألفاظه ،
فاستعنت الله عز وجل عى اجابتك ، واستمددته التوفيق الى
الصواب من قصد ارادتك ، والله يعصم كلا
بتقواه ، ويسبغ عليك «1» نعماه ، بعزته لا اله سواه ، ورأينا

«1» عليك : ز س ، علينا : ك .

(1) « لمهيع » : طريق مهيع (كمقعد : اى بفتح الميم وسكون لهاء
وفتح الياء) : طريق واضح واسع بين . ولفظ « مهيع » شذ عن
القياس فصح ، وكان الحكم ان يعتل ، لانه « مفعل » مما اعتلت
عينه ، كما قل ابن منظور . اى : كان الحكم ان يقال « مهاع »
بالاعلال ، ولكن شذ عن هذا الحكم فبقي صحيحا غير معمل .
« لمهيع الحق » : اصل الكلام : لطريق الحق المهيع . حذف كلمة
« طريق » على حذف المضاف لانها مضافة الى « الحق » ، ثم
اضاف « المهيع » الى « الحق » من اضافة الصفة للموصوف .

أن نبتدىء بالحديث وسياق «2» متنه ، مع اختلاف ألفاظ نقلته ، وزيادة بعضهم على بعض في سرده ، ثم نذكر بعد ذلك علة اسناده ، وشرح غريبه ، وعويص اعرابه ، ومعانى فصوله ، وما يتعلق به من فقه ، وتنقدح «3» منه من فائدة ، ويتجه فيه من وجه ، بحول الله تعالى . وطرقنا في هذا الحديث كثيرة متشعبة ، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخوا ، وبعضهم يزيد على بعض ، وفي متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات ، وتقديم وتأخير ، فجئنا بأكملها رواية ، وأحسنها سياقاً «4» بعد تقديم أشهر أسانيدنا فيها ، إيثارا للاختصار والائتلاف ، واستظهاراً بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الاسلاف ، ونبهنا على موضع الخلاف فيها ، مما يفيد فائدة ، أو يزيده فقرة شاردة ، وثم زيادات من غير الطرق التي ذكرناها ، جلبنا بعضها ، ونبهنا على ما أمكن منها ، والله ولى التوفيق .

حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب قراءة منى عليه ، قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد «5» الطرابلسي ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن خلف القابسي الفقيه .

وحدثنا الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني فيما كتب به الى ، قال : أنبأنا القاضي سراج بن عبد الله ،

«2» سياق : س ، سياقة : زك . ولعل الاصول الاول . والسياقة للماشية .

«3» تنقدح : ز س ، ينقدح : ك .

«4» سياقاً : س ، سياقة : ز .

«5» حاتم بن محمد : ك ، حاتم بن عبد الرحمن : ز س وهو غلط .

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الاصيلي ، قال «6» :
حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزي ، قال حدثنا محمد بن
يوسف ، قال : حدثنا محمد بن اسماعيل (2) ، قال : حدثنا
سليمان بن عبد الرحمن وعلى بن حجر ، قال : أخبرنا عيسى بن
يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن
عروة ، عن عائشة (3) قالت : جلس احدى عشرة امرأة .

وحدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قراءة
منى عليه فأقر به وشيخنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك
الحافظ وغير واحد ، قالوا : أخبرنا أبو مروان ابن
سراج الحافظ ، قال : أخبرنا أبو انقاسم الزهرى ، قال :
أخبرنا أبو زكرياء ابن عائد .

وحدثنا أبو اسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه قراءة منى
عليه ، قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل ، قال : حدثنا أبو

«6» قال : زم ، قال : س وهو غلط لان القائل القاسبي والاصيلي .

(2) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي
البخاري . امير المؤمنين في الحديث ، واول من افرد الصحيح من
الحديث بالتصنيف ، ألف « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير »
في تراجم رجال الحديث و « الادب المفرد » وجزءا في خلق أفعال
العباد وجزءا في رفع اليدين في الصلاة وكتبا في الضعفاء ، وكلها
مطبوعة . ولد سنة 194 هـ ، وتوفي في قرية « خرتنك » باقليم
سمرقند سنة 256 هـ .

(3) هي أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق عبد الله بن عثمان
رضى الله عنهم . فقيهة ، ومكثرة من الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولكثرة علمها وفقهها وذكائها كانت أحب
نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه . ولدت بعد البعثة
النبوية بأربع سنين او خمس ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقيل
سنة سبع وخمسين .

عبد الله ابن عتاب ، حدثنا أبو المطرف القنازعي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى ، قال «7» : حدثنا أحمد بن خالد ، قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام (4) ، عن حجاج ، عن أبي معشر ، عن هشام بن عروة وغيره من أهل المدينة ، عن عروة ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اجتمعت احدى عشرة امرأة

وقرأت على القاضي الشهيد أبى علي الحسين بن محمد الحافظ ، حدثكم الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهر البلخي ، عن الشيخ أبى بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المقرئ والفقيه أبى عبد الله محمد بن أحمد المحمدي والقاضي أبى علي الحسن «8» بن علي بن محمد الوخشى ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي ، قال : أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ، قال : حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الحافظ (5) ، قال : حدثنا علي بن حجر ، أخبرنا عيسى بن يونس ، عن هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جلس احدى عشرة امرأة . . .

«7» قال : ز ، قال : س وهو غلط .
«8» الحسن : ز ك ، الحسين : م س .

(4) هو ابو عبيد القاسم بن سلام ، من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه . صاحب كتاب « الاموال » ، وصاحب « الغريب المصنف » في غريب الحديث وكتب أخرى . توفي سنة 224 هـ .
(5) هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، صاحب « السنن » و « الشمائل » و « التاريخ » و (العلل) . توفي سنة 279 هـ .

وحدثنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العتّابي ،
قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ربيع
التميمي ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن معاوية القرشي ، قال :
حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (6) ، أخبرني إبراهيم بن
يعقوب ، حدثنا عبد الملك بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن محمد
أبو «9» نافع حدثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثني عمر بن عبد
الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فخرت بمال أبي في
الجاهلية ، وكان ألف ألف أوقية فقال النبي صلى
الله عليه وسلم . اسكتي يا عائشة ، فاني كنت لك كأبي زرع
لأم زرع ، ثم أنشأ «10» يحدث الحديث .

وحدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الصدفي والفقير
أبو بحر سفيان بن العاصي الاسدي سماعا عليهما وغير واحد ،
قالوا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر العذري «11» ،
قال : حدثنا أبو العباس الرازي .

وحدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله ابن أبي جعفر بقراءتي
عليه وغيره ، قالوا : حدثنا امام الحرمين أبو عبد الله الطبري ،

«9» أبو : ز س ، ابن : ك .
«10» ثم أنشأ : س ، ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ز .
«11» العذري : ز ك ، العدوي : س وهو تصحيف .

(6) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر
النسائي ، صاحب « السنن » ، وهي « السنن الصغرى »
أو « المجتبى من السنن الكبرى » ، وله أيضا « السنن الكبرى »
وغيرها . توفي سنة 303 هـ .

قال : حدثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ، قال هو والرازي :
حدثنا أبو أحمد الجلودى ، قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن
سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج (7) ، حدثنا على بن حجر
السعدى وأحمد بن جناب ، كلاهما عن عيسى بن يونس ، حدثنا
هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن
عائشة . . .

وبعضهم يزيد على بعض ، ول بعضهم زيادة من غير هذه
الطرق ، فأكثرها غرائب وزيادات : ما حكاه ابن الانبارى (8)
من رواية الهيثم بن عدى ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ،
أنها قالت : « جالس احدى عشرة امرأة فى الجاهلية » ، وفى
رواية : « اجتمعن » ، وفى اخرى : « جلسن » ،
و « نسوة » مكان « امرأة » ، ووقع فى بعض طرق النسائي :
« جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن » ، وقال بعضهم :
« أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا » .

قالت الاولى : « زوجى لحم جمل غث » ، ويروى :
« قصر » ، « على رأس جبل وعر » ، ويروى :

-
- (7) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صاحب
« الجامع الصحيح » و « المسند الكبير » على الرجال وكتاب
« العلل » وكتاب « الطبقات » وغيرها . توفي سنة 261 هـ .
(8) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن
الانباري ، من أعلم أهل زمانه بالادب واللغة ، ومن أكثر الناس
حفظاً للشعر والاخبار . أجل كتبه « غريب الحديث » وله
« الامالي » وشرح « معلقة زهير » و « عجائب علوم القرآن »
وغیرها . توفي سنة 328 هـ .

« وعث » ، « لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى » ، ويروى :
« فينتقل » ، وفي بعض الروايات : « على رأس قوز وعث » ،
ليس بلبد فيتوقل ، ولا سمين فينتقل « 12 » ، ولا لى عنده
معول ، ويروى : ولا له عندى معول .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، وفي رواية : أنث ،
ويروى : أنبىء ، انى أخاف أن لا أذره ، زاد بعضهم : ولا أبلغ
قدره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قالت الثالثة : زوجى العشنق ، ان انطق أطلق ، وان
اسكت أعلق ، وفي رواية : على حد السنان المذلق « 13 » .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة ، زاد بعضهم : والغيث غيث
غمامة ، لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة ، ويروى : لا حر
ولا وخامة ، زاد الهيثم بن عدى : ولا يخاف خلفه ولا أمامه .

قالت الخامسة : زوجى ان دخل فهد ، وان خرج أسد ،
ولا يسأل عما عهد ، وقال بعضهم : يأكل ما وجد ، ولا يسأل
عما عهد ، ولا يرفع اليوم لعد .

قالت السادسة : زوجى ان أكل لف ، ويروى : رف
« بالراء » ، ويروى : اقتف ، وان شرب اشتف ويروى :
استف ، وان اضطجع – ويروى : هجع – التف ،

« 12 » فينتقل : م ، فينتقل : ز س .
« 13 » المذلق : هذا هو الصواب ، وهي بالاصول : المذلق .

وإذا ذبح اغتث ، ولا يولج الكف ليعلم البث ، ويروى :
البث .

قالت السابعة : زوجى عياياء ، قال بعضهم : أو غياياء ،
حماقاء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك ، أو فلك ، أو بجك ،
أو جمع كلائك .

قالت الثامنة : زوجى : الريح ريح زرنب ، والمس مس
أرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم
الرماد ، قريب البيت من الناد ، وزاد بعضهم : لا يشبع ليلة
يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ ! ، مالك خير من
ذلك ، له ابل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ،
إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك ، وفي بعض
الروايات : وهو امام القوم في المهالك ، وفي بعض
الروايات : زوجى أبو مالك ، وما أبو مالك ؟ ! ، ذو ابل كثيرة
المسالك ، قليلة المبارك ، وفي بعضها : كثيرة المسارح ،
قليلة المبارح .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ،
أناس من حلى أذننى ، وفي رواية : أذننى وفرعى ، وملا من شحم
عضدى ، وبجحنى فبجحت الى نفسى ، ويروى : فبجحت نفسى

الى ، ويروى : فبجحت ، ويروى : أذنيه وعضديه ، واليه ،
وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، ويروى : فوجدنى فى أهلى ذات
غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل سهيل وأطيط ودائس ومنق «14» ،
ويروى : فجعلنى بين جامل وصاهل ودائس ومنق ، فعنده
أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، ويروى :
فأتقنح ، ورواه بعضهم : فأتفتح ، زاد بعضهم : وأكل فأتمنح .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ ! ، عكومها رداح ، وبينها
فساح ، زاد بعضهم : وفناؤها فياح .

ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ ! ، مضجعه كمسل
شطبة ، وتشبعه ذراع الجفرة ، وفى بعض الروايات «15» :
وترويه فيقة اليعرة ، ويميس «16» فى حلق النثرة «17» .

بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ ! ، طوع أبيها ، وطوع
أمها ، ويروى : زين أبيها وزين أمها ، وغيظ جارتها ، - ويروى :
عقر جارتها ، ويروى غير جارتها ، ويروى : عبر جارتها ،
ويروى : حير جارتها ، ويروى : وحين ، وحبر - ، وصفـ
ردائها ، وملء كسائها ، ويروى : ازارها ، وخير نسائها ، زاد
الهيثم فى روايته : برود الظل ، وفى الال ، كريم الخل .

«14» ودائس ومنق : ز ، ودياس : س ، والاولى رواية البخارى
ومسلم ، والثانية رواية النسائى .

«15» وفى : م س ، زاد بعضهم فى : ز ، زاد فى : ك .

«16» ويميس : ز م ك ، ويميل : س .

«17» النثرة : ز ، النثرة : س وهو تصحيف .

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ ! ، لا تبث حديثنا
تبثيثا ، ويروى : تنث « بالنون فيهما » ، ويروى : لا تخرج
حديثنا تبثيثا «18» ، ولا — تنقل ، ويروى : تفسد ، ويروى :
تهلك ، ويروى — تنقث ميرتنا تنقيثا ، ويروى : تقشيشا «19» ،
ويروى : ولا تغث طعامنا تغثيثا ، ويروى تغش طعامنا
تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ، ويروى : تغشيشا ، زاد ابن
عدى : ولا تنجث عن أخبارنا تنجيثا ، وزاد :
ضيف أبى زرع ، فما ضيف أبى زرع ؟ ! ، فى شبع
ورى ورتع .

طهارة أبى زرع ، فما طهارة أبى زرع ؟ ! ، لا تفتتر ولا
تعدى ، تقدح قدرا ، وتنصب أخرى ، فتتحق الآخرة الاولى .

مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ ! ، على الجمم «20»
معكوس ، وعلى العفانة محبوس .

قالت : خرج أبو زرع يوما والاطاب تمخض ، وفى رواية
ابن السكيت (9) : والوطاب تمخض ، فلقى امرأة معها ولدان
كالفهدين ، ويروى : كالصقرين ، يلعبان من تحت خصرها
برمانتين ، ويروى : من تحتها ويروى : من تحت صدرها ،

«18» تبثيثا : ز ، تغثيثا : م ك .

«19» تقشيشا ز م ك ، تقشيثا : س .

«20» على الجمم : ز ك ، على الجم : س وهو غلط .

(9) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ، المشهور بابن السكيت ،
صاحب كتاب « اصلاح المنطق » وله « غريب القرآن » وكتب
أخرى ، توفي سنة 224 هـ .

ويروى : فمر بجارية «21» شابة يلعب «22» من تحت درعها برمانتين ، فطلقني ونكحها ، زاد بعضهم : فاستبدات وكل بدل أعور ، فنكحت بعده رجلا - ويروى : شابا - سريا ، ركب فرسا شريا ، ويروى : عربيا ، ويروى : أعوجيا ، وأخذ رمحا خطيا ، وأراح على نعماء ثريا ، وأعطاني من كل رائحة - ويروى : سائمة - زوجا ، وفي رواية : وأراح على من كل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين ، وفي كتاب مسلم : من كل ذى رائحة ، وقال : كل أم زرع ، وميرى أهلك . فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ، ويروى : فلو جمعت كل شيء أصبته منه فجعلته في أصغر وعاء من أوعية أبي زرع ما ملأه .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، وفي رواية ابن حبيب : قالت عائشة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول اذا داعبني : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، زاد في بعض الروايات : انه طلقها وانى لا أطلقك ، ذكرها أحمد بن خالد (10) في مسنده ، وكذا زاده مصعب الزبيري وغيره عن هشام بن عروة ، وروى مثله عن اسماعيل

«21» بجارية : ز م ك ، بجارة : س .

«22» يلعب : س ، تلعب : ز .

(10) هو أبو عمرو أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي ، كان شيخ الاندلس في عصره . له « مسند مالك » وغيره . توفي سنة 322 هـ

ابن أبى أويس (11) عن أبيه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : غير أنى لا أطلقك ، وفي رواية أخرى : كنت لك كأبى زرع لأم زرع فى الالفه والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء ، رواها ابن الانبارى ، وهو من معنى الرواية الاخرى ، وبهذا تتم الفائدة . قالت عائشة : قلت يا رسول الله بل أنت خير لى من أبى زرع .

وقد روينا من طريق الزبير بن بكار (12) هذا الحديث بغير سياق من تقدم ، وفيه زيادات ومخالفة «23» فرأينا سياقه «24» على نصه . حدثنا الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى ، قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر ، حدثنا أبو

«23» ومخالفة : ز ك ، مخالفة : م س .

«24» سياقه : س ، مساقه : ز .

(11) هو أبو عبد الله اسماعيل بن عبد الله بن عبد الله ابن ابي عامر الاصبحي ، ابن عم مالك بن أنس وابن اخته وزوج ابنته . وقيل : اسم ابيه عبد العزيز ، وقيل غير ذلك ، والاصح الاول كما قال القاضي عياض فى ترتيب المدارك . توفى اسماعيل سنة 226 هـ ، وقيل : سنة 227 . وتوفى ابوه سنة 169 هـ . وهو وابوه متكلم فيهما .

(12) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي . عالم بالانساب واخبار العرب ، راوية له تصانيف منها « اخبار العرب وايامها » توفى سنة 256 هـ .

الحسن الدارقطني (13) . قال الشيخ أبو الحسين : وحدثنا القاضي أبو الحسين ابن المهدي «25» وأبو الفضل عبيد الله بن أحمد الكوفي ، قالا : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني المقرئ والنظير له ، قالا «26» : حدثنا يزيد بن عبد الرحمن الكاتب ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي بعض نسائه ، فقال : يا عائشة أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، قالت : يا رسول الله : وما حديث أبي زرع وأم زرع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن ، وكان منهم إحدى عشرة امرأة ، وانهن خرجن الى مجلس لهن ، فقال بعضهن «27» لبعض : تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، قال : فبايعن على ذلك .

ف قيل للاولى : تكلمى بنعت زوجك ، فقالت : الليل ليل تهامة ، والغيث غيث غمامة ، ولا حر ولا وخامة .

قيل لثانية — وهى عمرة بنت عمرو — : قولى ، فقالت :

«25» ابن المهدي : س ، المهدي : ز .

«26» قالا : زم ، قال : س .

«27» بعضهن : ز س ، بعضهم : م .

(13) هو ابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي الدارقطني ، امام عصره ، لقب بأمر المؤمنين في الحديث . من تصانيفه كتاب « السنن » و « العلل الواردة في الاحاديث النبوية » وغيرها . توفي سنة 385 هـ .

المس مس أرنب ، والريح ربح زرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قيل للثالثة : تكلمى — وهى حبى «28» بنت كعب — ،
قالت : مالك ، وما مالك ؟ ! ، له ابل كثيرة المسارح ، عظيمة
المبارك ، اذا سمعن صوت الضيف أيقن أنهن هوانك .

قيل للرابعة : تكلمى — وهى مهدد بنت أبى هرمة «29» —
قالت : زوجى لحم جمل غث ، على جبل وعث ، لا سهل فيرتقى ،
ولا سمين فينتقى «30» .

قيل للخامسة : تكلمى — وهى كبشة — ، قالت : زوجى
رفيع العماد ، كثير الرماد ، قريب البيت من الناد ، لا يشبع
ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قيل للسادسة : تكلمى — وهى هند — ، قالت : زوجى كل
داء له داء ، ان حدثته سبك ، وان مازحته فاك ، والاجمع كلا لك .

قيل لالسابعة : تكلمى — وهى حبى بنت علقمة — ، قالت :
زوجى اذا خرج فهد «31» ، واذا دخل أسد «32» ، ولا يسأل
عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغد .

«28» حبا : ز س ، حى : ك . وما أثبتته من فتح الباري ، وقال :

بضم المهلة وتشديد الموحدة مقصور .

«29» هرمة : كذا فى النسخ ، وفى فتح الباري : هزيمة .

«30» فينتقى : ز ، فينتقل : س .

«31» فهد : ز ، ففهد : س .

«32» فأسد : ز س . والاوى : « اسد » .

قيل للثامنة : تكلمى — وهى ابنة دوس «33» بن عبد — ،
قالت : زوجى اذا أكل التف ، واذا شرب اشنف ، ولا يدخل «34»
الكف فيعلم البث .

قيل للتاسعة : تكلمى ، قالت : زوجى هو من لا أذكره ،
ولا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .
قيل للعاشرة : تكلمى — وهى كبشة بنت الارقم قالت :
نكحت العشنق ، ان سكت علق ، وان تكلمت طلق .

قيل لام زرع — وهى أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ،
وسماها اندريدى «35» فى غير هذا الحديث : عاتكة ، ذكر ذلك
فى كتابه المسمى بالوشاح — : تكلمى : قالت : أبو زرع ، وما
أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذنى ، وملا من شحم عضدى ،
بجحنى ، فبجحت ، وجدنى فى غنيمة أهلى ، فنقلنى الى أهل
جامل وصاهل فبينما أنا عنده أنام فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ،
وأتكلم فلا أقبح ، وبنت أبى زرع ، وما بنت أبى زرع ؟ ! ،
مضجها كمسل «36» الشطبة ، وتشبعها ذراع الجفرة ، ووليدة
أبى زرع ، وما وليدة أبى زرع ؟ ! ، لا تقسد ميرتنا
تقشيشا «37» ، ولا تخرج حديثنا تنثيثا «38» ، فخرج من

«33» دوس بن عبد : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : اوس بن عبد ،
وفى نسخة منه : اوس بن عبدود .

«34» يدخل : زم ، يولج : س .

«35» الدريدي : زم ك ، الدريوي : س وهو تصحيف .

«36» كمسل : ز ، مسل : س .

«37» تقشيشا : س ، تنشيشا : ز .

«38» تنثيثا : م ك ، تبثيثا : ز ، تثبيتا : س .

عندى أبو زرع والاطواب تمخض ، فاذا هو بأم غلامين كالقاهدين ، يرمى من تحت خصرها برمانتين «39» فتزوجها أبو زرع وطلقنى ، واستبدلت بعده — وكل بدل أعور — ، فتزوجت شابا سريا ، ركب أعوجيا ، وأخذ خطيا ، وأراح نعمًا ثريا ، فقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك ، فجمعت أوعيته فلم تعدل وعاء واحدا من أوعية أبى زرع ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لأم زرع .

قال أبو بكر الخطيب : (14) هذا حديث غريب ، لا أعلم رواه هكذا إلا محمد بن الضحاك ، وقال أبو الحسن الدارقطنى — وذكر «40» حديث محمد بن الضحاك عن الدراوردي «41» هذا — قال : وسمى فيه النسوة ونسبهن ، قال : واتبعه الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن أبيه عبد الله عن هشام نحو «42» حديث الدراوردي «43» . يريد ما ذكره عن الزبير بعد هذا بسندنا المقدم عنه ، فإنه قال عند تمام الحديث : قال الزبير : وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله ، عن جدى عبد

«39» برمانتين : ز ، بالبرمانتين : س .

«40» وذكر : س ، وفى : ز .

«41» الدراوردي : ز م ، الداروردي : س .

«42» نحو : م س ، عن : ك ، بن محمد : ز .

«43» الدراوردي : زم ، الداروردي : س .

(14) هو أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ، أحد الحفاظ المؤرخين القدمين ، صاحب « تاريخ بغداد » وكتاب « الكفاية فى علم الرواية » وله كتب كثيرة . توفي سنة 463 هـ .

الله بن مصعب ، عن هشام بن عروة مثله . وزاد : وقال رسول
الله صلى عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لام زرع ، انه طلقها
وانى لا أطلقك .

زاد النسائي في مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام
قال : حدثنا ريحان بن سعيد بن المثنى ، حدثنا عباد بن منصور ،
عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : قال لى النبى صلى الله عليه
وسلم : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت عائشة :
بأبى وأمى يا رسول الله ، بل أنت خير لى من أبى زرع . وذكر
نحوه من حديث عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن
عائشة .

تفسير السند

اختلف في سند هذا الحديث ورفعته ، مع أنه لا خلاف في صحته وأن الائمة قد قبلوه ، وخرجه في الصحاح البخارى ومسلم فمن بعدهما ، ولا مخرج له — فيما انتهى الى — الا من رواية عروة عن عائشة رضى الله عنها ، فروى من غير طريق عن عروة عنها من قول النبى صلى الله عليه وسلم كله نصا ، هكذا رواه عباد بن منصور وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الله بن مصعب الزبيرى ويونس ابن أبى اسحاق السبيعى كلهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه أبو معشر عن هشام الا أنه قال : عن هشام وغيره من أهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه أيضا أبو معشر عن عبد الله بن اسحاق الطلحى عن عائشة وأسنده بطوله . وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا أنه قال : حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم هكذا ، قال النسائى : عن عروة عن عائشة «44» ، وقال الدارقطنى : عن أبيه عن عائشة

«44» عن عائشة : ز م ك ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم : س .

فجعلوه من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا من غير احتمال ،
 وأسندوه بطوله ، وهكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن
 موسى بن اسماعيل المنقرى عن سعيد بن سلمة عن هشام ،
 الا أنه «45» قال : عن هشام عن أخيه عن أبيه عن عائشة
 قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ يحدث حديث
 أم زرع ، وساق الحديث بطوله . وكذلك قال أحمد بن داود
 الحرانى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أخيه عبد
 الله عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وكذا «46» حكاه عنه القاسم بن سلام . وكذلك رفعه الهيثم بن
 عدى عن هشام ، الا أنه قال : عن أخيه يحيى بن عروة عن
 عروة ، وساقه كله من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا .

ورواه على بن حجر وابن جناب وسليمان بن عبد الرحمن
 ومحمد بن جعفر غندر وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركاني
 وصالح بن مالك الخوارزمي عن عيسى بن يونس عن هشام بن
 عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة من قولها .
 وكذلك أسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن الحلواني عن
 ابن أبي الحسام عنه «47» . وكذلك رواه أبو عقبة عن أبيه
 عقبة بن خالد ، عن هشام الا أنه قال : عن هشام عن أبيه عن
 عائشة . وهكذا قال فيه ابن أبي أويس : عن أبيه عن هشام .

«45» الا انه : س : الا ان سعيدا : ز .

«46» وكذا : زم ، وكذلك : ك ، كذا : س .

«47» ابن أبي الحسام : م ك ، ابن الحسام : ز ، أبي الحسام : س .

وكذا قال يوسف بن زياد وسليمان بن بلال وعبد الرحمن ابن أبي الزناد عن هشام وأبو معاوية الضرير عنه مختصرا . وكذا ساقه داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، ويقال : عن أبيه ، عن عائشة من قولها . وقال عقبه بن خالد أيضا : قال هشام : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله مختصرا . يريد قوله عليه السلام : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وكذا قال أبو أويس وإبراهيم ابن أبي يحيى عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله . وكذلك رواه أبو الزناد عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الرحمن النسائي باثر حديث عقبه : يعنى آخر الحديث . يريد قوله : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وقد وقع مفسرا عن غير «48» أبي عبد الرحمن فذكر أحمد بن عمرو البزار (15) رواية عقبه عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة ، قال أحمد فذكر منه حرفا وقال : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وفي رواية ابن الأنباري قال عقبه «49» : إنما يراد هذا الحديث لهذا الحرف ، فذكره .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

ولا خلاف فى رفع قوله فى هذا الحديث : كنت لك كأبى زرع

«48» عن غير : ك ، عذد ، س .

«49» عقبه : م ، عروة : ز س وهو غلط .

(15) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، المشهور بالبزار ، حافظ من العلماء بالحديث . اشتهر بتصنيف كتابه « المسند » وله مسددان : كبير وصغير . توفي سنة 292 هـ .

لام زرع ، وانما الخلاف في بقيته . وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ : المرفوع . من هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة : كنت لك كأبي زرع لام زرع ، وما عداه فمن كلام عائشة رضى الله عنها ، حدثت به هي النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ذلك عيسى بن يونس في روايته وأبو أويس وأبو معاوية الضرير .

وقد روى أن القائل — في حديث سعيد «50» بن سلمة : ثم أنشأ يحدث الحديث — هو هشام ، حكى أن أباه أنشأ يحدث الحديث ، فأوهم السامع أن عائشة أخبرت بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو الحسن الدارقطني : الصحيح عن عائشة أنها هي حدثت النبي صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة ، فقال لها حينئذ : كنت لك كأبي زرع لام زرع ، (وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : أنها هي حدثت النبي صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ : كنت لك كأبي زرع لام زرع) «51» .

«50» سعيد . ز م ك ، سعد : س وهو غلط .
«51» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمه وسويد بن عبد
العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن
عائشة : هو الصواب ، ولا يدفع قول عقبة «52» عن هشام عن
يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة .

«52» عقبة : س ، عتبة : ز .

التعريف

ذكر في الخبر المتقدم أن هؤلاء النسوة كن في زمن الجاهلية ، وذكر في الخبر الآخر الذي رواه الدراوردي أنهم من بطن من بطون اليمن ، وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد النسابة الأديب أنه وقف على تعليق بخط أبي محمد - هو ابن حزم « 53 » - علي بن أحمد الفارسي (16) في قصته فذكر فيه أنهم من « خثعم » ، وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد في الحديث المتقدم ، وهو خثعم بن أنمار بن أراشه ، ويقال أراش ، ويقال أرش ، بن عمرو بن الغوث بن نبت - وهو قرن « 54 » - بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كذا قال الهمداني « 55 » . وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين : أراش بن لحيان بن عمرو .

« 53 » هو ابن حزم : ك ، - : ز س .

« 54 » وهو قرن : ز ، - : س .

« 55 » الهمداني : زم ، الهمداني : ك ، الهمداني : س .

(16) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الفارسي الأصل . صاحب كتاب « المحلى » وغيره ، إمام الظاهرية ، وعلامة الأندلس . توفي سنة 456 هـ .

ويقال : ابن عمرو «56» بن لحيان بن «57» الغوث ، ونساب
مضر يزعمون أن خثعم : ابن أنمار بن تزار «58» ، وانهم
حالفوا ولد أنمار بن سبأ ، فجر أنمار بن سبأ نسبهم الى سبأ
باسم أبيهم ، والاول أصح ، ويصدقته حديثه عليه السلام في
ذكر سبأ وولده فسمى منهم أنمارا ثم قال : الذين منهم خثعم
وبجيلة . قال الهمداني «59» : واسم خثعم أفتل ، (وسمى
خثعم باسم جبل نزله بنوه ، وقيل باسم جبل كان له ، اسمه
خثعم ، فيقال : احتل خثعم ، ونزل خثعم . وقيل : بل نحروا
عند تحالفهم بغيرا وتلطخوا بدمه ، وهو التختعم في لغتهم) «60»
وقد روى في هذا الحديث من رواية أحمد بن عبيد بن
ناصح «61» عن الهيثم بن عدي الطائي بسنده عن عائشة
قالت : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم — وقد اجتمع عنده
نساؤه ليخصني بذلك — : يا عائشة أنا لك كأبي زرع لام زرع ،
قالت : يا رسول الله ومن أبو زرع ؟ قال : اجتمع نسوة من
قريش بمكة إحدى عشرة امرأة ، وساق الحديث بطوله ، فهذا
مخالف للاول ، والهيثم بن عدي — عندهم — : متكلم فيه «62» .
قال البخاري : الهيثم بن عدي — على علمه وفضله — يروى
مناكير . وضعفه أبو حاتم الرازي ويحيى بن معين .

-
- «56» ويقال ابن عمرو : م س ، — : ك .
«57» بن الغوث : س ، ثم الغوث : ز .
«58» تزار : م س ، نزار : ز ، بزار : ك .
«59» الهمداني : م ، الهمداني : ز س .
«60» ما بين القوسين ناقص من نسخة : ز .
«61» ناصح : ز ك ، فاصح : م س .
«62» متكلم فيه : س ، متروك : ز .

وقرأت في كتاب «63» بعض الأدباء أن امرأة زوجت
أحدى عشرة ابنة في ليلة ، ودخل بهن أزواجهن فأمهلتهم سنة ،
ثم زارتهن فسألت كل واحدة عن زوجها ، فأخبرتها بصفته .
فوافق من حديث أم زرع كلام صاحبة « المس مس أرنب »
بنصه ، وكلام صاحبة « ربيع العماد » ، وكلام صاحبة
« زوجي لحم جمل غث » ، وخالف في البواقى . ويشبه أنه
حديث موضوع ، فان ألفاظه تنبئ عن ذلك ، ركب على بعض
حديث أم زرع ، ولا يصح أن يكون هو هذا «64» لصحة سند
حديث أم زرع وضعف هذا ، وانا قد ذكرنا في بعض روايات
حديث أم زرع ما دل على أنهم غير اخوات ، والموفق الله .

«63» كتاب : س ، كتب : ز ك .

«64» هو هذا : س ، هو هو : ز .

العربية

وقع في بعض روايات النسائي لهذا الحديث : « اجتمعن » ،
وفي رواية الطبري من صحيح مسلم فيما حدثنا به عبد الله بن
محمد الفقيه عنه : « جلسن » 65 « احدى عشرة امرأة » ، وفي
بعضها : « نسوة » . ووقع في بعض روايات البخاري : « جلس
احدى عشرة نسوة » ، وهكذا وجدتها في أصل الاصيلي أبي
محمد بخطه داخل الكتاب ، وأصل كتابه على رواية أبي أحمد
« 66 » الجرجاني أحد شيوخه في الصحيح المذكور . وروى أبو
عبيد القاسم بن سلام هذا الحرف : « اجتمعت » بالتاء .
فتقدير الكلام في هذا الفصل في محلين :

المحل الاول : قوله : « اجتمعن — أو جلسن ، أو اجتمعت
— احدى عشرة » ، فأظهر في هذه الروايات علامة التانيث ونون
الجماعة مع تقدم الفعل ، وبابه في العربية والاحسن في الكلام
حذفه ، وترك علامة التثنية والجمع ، وافراد الفعل .

قال سيبويه : حذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا (يريد : من
صيغة الجمع والتثنية) فقالوا : قام أبواك ، وقام قومك ،

« 65 » جلسن : م ك ، جلس : ز س .
« 66 » احمد : ز م ك ، محمد : س .

فاستغنوا بما أظهروا عن : قاموا وقاما ، وكذلك فعلوا في المؤنث فقالوا : قامت جارياتك ، وقامت نساؤك ، الا أنهم أدخلوا التاء للتأنيث ، وحذفوا علامة الجمع والتثنية كما فعلوا في المذكر . ولو بدأت بأسمائهم لم يكن بد للمضمر أن يجيء بمنزلة المظهر في المذكر والمؤنث والتثنية والجمع ، فتقول أخواك قالا ، وقومك قالوا ، وجارياتك قالتا ، ونساؤك قلن ، لانه قد وقع هنا اضمار في الفعل هو أسماء المذكورين ، فلم يكن بد أن يجاء به مجيء المظهر ، والفعل المقدم لم يكن فيه اضمار فيظهر ، وليست تاء التأنيث فيه علامة اضمار فيلزم اظهارها في الجمع ، وانما هي علامة تأنيث كهاء « طلحة » . هذا تعليل سيبويه (17) .

وأما الفارسي (18) فقال : لزم التاء ها هنا في المؤنث الحقيقي لتشعر بتأنيثه حسب لزومه له وحقيقته ، ولم يلزم ذلك «67» الجمع والتثنية اذ ليسا بلازمين لزوم التأنيث .

وقد قال بعض العرب : قال امرأة . كأنهم جعلوا اظهار

«67» ذلك : ك ، في ذلك : م س .

(17) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المشهور بسيبويه ، ومعناها بالفارسية : رائحة التفاح . امام النحاة ، واول من بسط علم النحو ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيبويه » . توفي شابا سنة 180 هـ .

(18) هو ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار ، المشهور بالفارسي . واحد زمانه في علم العربية ، اخذ عن الزجاج واخذ عنه ابن جني . صنف « الايضاح » في النحو و « التكملة » في التصريف وتعليقة على كتاب سيبويه . توفي سنة 377 هـ .

المؤنث بعده يغنى عن العلامة ، وهو اذا طال الكلام أحسن وأكثر كما قال :

لقد ولد الاخيطل أم سوء

قال سيوييه : وهو فى واحد الحيوان قليل ، (يريد : فيما تأنيثه حقيقى) ، وهو فى الموات «68» كثير . (يريد : ما ليس بحقيقى التأنيث) . وهو فى القرآن العزيز بالوجهين كقوله تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى »69» و (قد جاءكم موعظة) «70» ، (وأخذ الذين ظلموا الصيحة «71») ، (وأخذت الذين ظلموا الصيحة «72») ، (ولو كان بهم خصاصة «73») ، وكذلك اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان أو غيره ففبه وجهان ، قال الله تعالى : (وقال نسوة فى المدينة «74») و (جاءهم البينات «75») و (جاءكم البينات «76») و (قالت رسلهم «77») و (جاءتهم رسلنا «78») و (استيأس الرسل «79») ، لانه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع .

-
- «68» الموات : زك ، المؤنث : م س وهو غلط .
«69» سورة البقرة ، الآية 275 .
«70» سورة يونس ، الآية 57 .
«71» سورة هود ، الآية 67 .
«72» سورة هود ، الآية 94 .
«73» سورة الدھر ، الآية 9 .
«74» سورة يوسف ، الآية 30 .
«75» سورة آل عمران ، الآية 105 .
«76» سورة البقرة ، الآية 209 .
«77» سورة ابراهيم ، الآية 10 .
«78» سورة المائدة ، الآية 32 .
«79» سورة يوسف ، الآية 110 .

قال : ومن العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني
أخواك ، فشبهوها بالتاء المظهرة في : قالت جاريته ، كأنهم
أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلت للتأنيث ، وهي
قليلة كما قال الفرزدق :

يعصون «80» السليط أقاربه

وقال الآخر :

يلومونني في اشتراء النخيل لـ أهلي فكلهم يعدل

وعلى هذا حمل الاخفش (19) قوله تعالى : « وأسروا النجوى
الذين ظلموا » «81» . وفي صحيح مسلم حديثه صلى الله عليه
وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .
وقال بعض العرب : « أكلوني البراغيث » .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

فاذ قررت لك من كلام امام الجماعة وحذاق الصناعة
ما رأيت ، نظرت في قوله : « اجتمعن » و « جلسن احدى
عشرة » ، فان حملته على هذه اللغة الاخيرة وتأويل الاخفش في
الآية كان وجها حسنا ، وفيه وجه آخر وهو أن تحمله على
المعروف في الكلام ، وتجعل « احدى عشرة » بدلا من الضمير

«80» يعصون : س ، يعصرن : ز ك .

«81» سورة الانبياء ، الآية 3 .

(19) الاخفش احدى عشر ، اشهرهم ثلاثة . ولعل هذا هو ابو
الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الاخفش الاوسط وهو احدى
الاخفش الثلاثة المشهورين . قرا النحو على سيويه . صنف
« الاوساط » في النحو و « معاني القرآن » وغيرها . وتوفي
سنة 210 هـ .

في « اجتمعن » ، وهذا تأويل سيبويه في الآية ، وحكاه عن يونس (20) ، قال : وكأنه قال : انطلقوا ، فقليل : من هم ؟ ، فقليل : بنو فلان . ولكن يتحقق هذا في الحديث : بأن نقدر أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عنهن على هذا الوجه ، وقد جرى من ذكر الخبر ما صار كالمخبر عنهن ، بتأخير الفعل وأنهن في نفسه وذكره مقدمات ، وتكون النون ضميرا اسما لا حرف علامة ، فيكون ما بعدها بدلا منها ، كما كان «82» في الآية ، لتقدم الذكر لمن يعود عليه الضمير ، الا ترى أنه قد جرى شيء من حديثهن قبل ؟ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبي زرع لام زرع ثم سؤال عائشة له عن قصة أم زرع ، قالت : فأنشأ يحدثنا الحديث . وقد يكون أيضا قوله « احدى عشرة » خبرا لمبتدأ مضمرا ، كأنه قيل : من هن ؟ فقال : هن احدى عشرة ، وهو أحد التأويلات في الآية ، وبهذا قدر سيبويه فيها البديل فانظره . وفيه وجه رابع : أن تجعل « احدى عشرة » نصبا بـ « أعنى » ، وهو أحد تأويلات الآية . وفي الآية وجوه آخر غير هذه لا نطول بذكرها ، اذ ليست من غرضنا . وأما على رواية أبي عبيد (21) فعلى أحد الوجهين المعروفين في تقديم الفعل «83» الجماعة كما ذكرنا .

«82» كان : س ، — : ز .

«83» الفعل : س ، فعل : ز .

(20) هو ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي . بارع في النحو ، من اصحاب ابي عمرو بن العلاء ، سمع من العرب وروى عن سيبويه . توفي سنة 182 هـ .

(21) هو القاسم بن سلام . وقد تقدم ذكره وترجمته .

المحل الثانى : قوله « احدى عشرة نسوة » : وباب العدد فى العربية أن ما بين الثلاثة الى العشرة مضاف الى جنسه ليبينه ويوضحه ، ومن احد عشر الى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف الى واحد من جنسه ، وقد جاء هاهنا « النسوة » وهو جنس بعد « احدى عشرة » « 84 » ، وهو خارج عن وجه الكلام ، ولا يصح نضبه على التفسير ، اذ لا يفسر فى العدد الا بواحد ، ولا يصح « 85 » اضافة العدد الذى قبله اليه ، اذ لا يضاف ما بعد العشر من العدد الى المئة ، فوجه نضبه عندي : على اضمار « أعنى » ، أو يكون مرفوعا بدلا من « احدى عشرة » وهو الاظهر فيه ، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » « 86 » ، فـ (أسباطا) بدل من (اثنتى عشرة) وليس بتفسير ، قاله الفارسي وغيره . وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندي وأحسن ، وبالله التوفيق .

« 84 » احدى عشرة : ك ، احد عشر : ز م ، احدى عشر : س .
« 85 » يصح : اعلها كذا ، وهي فى النسخ : يصلح .
« 86 » سورة الاعراف ، الآية 160 .

الفقه

فى استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهن واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هاهنا بحديثه لعائشة رضى الله عنها ومن كان معها من أزواجه بخبر هؤلاء النسوة ، وهكذا ترجم البخارى عليه « باب حسن المعاشرة مع الاهل » وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم ، وكذلك عن السلف الصالح ، وقد كان مالك (22) رضى الله عنه يقول : فى ذلك مرضاة لربك ، ومحبة فى أهلك ، ومثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك . قال : وقد بلغنى ذلك عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولاده ، وكان يحدث «87» يقول : يجب على الانسان أن يتحجب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم .

«87» يحدث : م س ، — : ز ك .

(22) هو امام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك ، صاحب « الموطأ » وكتب اخرى . توفى سنة 179 هـ .

وفيه من الفقه منع الفخر بحطام الدنيا وكرهته ، الا ترى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين فخرت في أول
هذا الحديث بمال أبيها ، قال لها : اسكتي يا عائشة . ثم انه
أنسها بأن قرر عندها فخرا آخر ، هو أولى بها وأسعد لها ،
بقوله : كنت لك كأبي زرع لام زرع ، فمكانتها «88» منه ومن محبته
وزوجيته وحسن عشرته وكثرة منفعتها لدينها ودنياها به صلى
الله عليه وسلم أعرق في الفخر ، وأرفع في الصيت والذكر ، من
كثرة مال أبي بكر ، رضى الله عنه .

وفيه من الفقه جواز اخبار الرجل زوجته وأهله بصورة
حالهم معهم ، وحسن صحبتهم إياهم ، واحسانه إليهم ، وتذكيرهم
بذلك تطيبا لأنفسهم ، واستجلابا لمودتهم ، وإذا جاز له أن
يكذبهم وأبىح له أن يمنيهم «89» بالمواعيد غير الصادقة فهذا
أجوز ، وإذا جاز من النساء كفران العشير جاز تذكيرهن
بالاحسان لهن ، وحسن ذلك فيهن .

وفيه من الفقه اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها
«90» ، بما يراه من قول أو فعل ، وتخصيصها بذلك ، كما قالت
عائشة رضى الله عنها : ليخصني بذلك ، ولانها كانت المقصودة
بهذا الحديث ، وهذا اذا لم يكن قصده
الاثرة والميل لها بذلك ، بل «91» لسبب اقتضاه ومعنى أوجبه

«88» فمكانتها : ز ، فمكانها : م ، لمكانتها : س وهو غلط .
«89» ان يمنيهم : م س ، تمنيتهم : ك ، تمنيتهم : ز وهو غلط .
«90» ضرائرها : ز م س ، بعض ضرائرها : ك .
«91» لها بذلك بل : ز ، بل : م ك ، — : س وهو نقص مخل .

من تأنييس وحشة بدت منها ، أو مكافأة جميل صدر عنها . وقد
 اجاز له بعض أهل العلم تفضيل احدهما على الاخرى في
 الملبس اذا وفي الاخرى حقها ، وان يتحلف
 احدهما «92» ويلطفها اذا كانت شابة ، أو هي أبر به . ولمالك
 نحو من هذا ولاصحابه ، قال ابن حبيب (23) : والمساواة
 أولى . والمكروه من ذلك كله «93» ما قصد به الاثرة والميل
 والتفضيل لا لسبب سواه . والنبي صلى الله عليه وسلم — وان
 لم يكن العدل في القسم بين النساء واجبا عليه لقوله تعالى
 « ترجى من تشاء ومنهن وتؤوى اليك من تشاء » «94» — فقد
 التزمه صلى الله عليه وسلم ، وأخذ به نفسه ، تفضلا منه ،
 وتخلقا بالعدل ، ولتقتدى به أمته ، حتى قال : اللهم هذا قسمي
 فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك (24) . يرير القلب .

وفيه من الفقه جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته
 ومجالستها في يوم «95» الاخرى ، ومحادثته اياها ، لقول

-
- «92» احدهما : س ، الاخرى : ز .
 «93» كله : س ، — : ز .
 «94» سورة الاحزاب ، الآية 51 .
 «95» يوم : ز م ك ، بيت : س .
-

(23) هو ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي
 الالبيري القرطبي ، عالم الاندلس وفقيها في عصره . له تصانيف
 كثيرة منها « الواضحة » في السنن والفقه و « تفسير موطأ
 مالك » . توفي سنة 238 هـ .

(24) روى ابو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ، ويقول « اللهم هذا قسمي
 فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » تعني القلب . كتاب
 النكاح ، باب في القسم بين النساء (رقم : 2134) .

عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساؤه ، وفى الرواية الاخرى : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نساؤه ، فالظاهر أنه فى بيتها ، وقد روى عنه فى الصحيح : أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر يدخل على نساؤه فيدنون من احداهن (25) ، وانهن كن يجتمعن عند التى هو يومها . وقد اختلف العلماء فى هذا ، فأجازوه بعضهم ، وقال مالك — فى كتاب محمد — باجازه دخوله عند احدى نساؤه فى يوم صاحبتهما لحاجة ، أو عيادة ، أو يضع ثيابه عندها ، اذا كان ذلك منه على غير الميل ، وقد حكى بعضهم أنه لا يختلف العلماء — فيما علمه — فى الدخول الخفيف للحاجة يقضيها ، قال : وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة . ووقع لمالك أيضا لا يقيم «96» عندها الا من عذر لا بد منه . وعن معاذ (26) انه كانت له زوجان فكان

«96» لا يقيم : ز م ك ، لا يقوم : س ولعله اصوب .

- (25) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من العصر دخل على نساؤه فيدنون من احداهن . كتاب النكاح ، باب دخول الرجل على نساؤه فى اليوم . وكتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما احل الله لك ؟ وقال ابن حجر فى فتح البارى (كتاب النكاح ، باب القرعة بين النساء اذا اراد سفرا ج 11 ص 223) : وقد اخرج ابو داود والبيهقى — واللفظ له — من طريق ابن ابي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة : « قل يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا جميعا فيقبل ويلمس ما دون الوقاع ، فاذا جاء الى التى هو يومها بات عندها » .
- (26) هو ابو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو ، الانصاري الخزرجي ، الامام المقدم فى الحلال والحرام ، صحابي جليل . امره النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن . توفى سنة 17 هـ ، او التى بعدها .

لا يشرب الماء من عند «97» احداهما في يوم الاخرى . وقال عبد الملك بن الماجشون (27) : يقف بباب احداهن ويسلم ولا يدخل . وتأول أهل هذه المقالة ما روى عنه عليه السلام في الحديث المذكور خصوصا للنبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم ، وانه انما كان يفعل هذا نادرا واحيانا ، وغالب أمره العدل والتسوية ، ليسن العدل ويحسن العشرة .

وفيه من الفقه جواز الحديث عن الامم الخائية ، والاجيال البائدة ، والقرون الماضية ، وضرب الامثال بهم ، لان في سيرهم اعتبارا للمعتبر ، واستبصارا للمستبصر ، واستخراج الفائدة للباحث المستكثر ، فان في هذا الحديث — لا سيما اذا حدث به النساء — منفعة في الحض على الوفاء للبعولة ، والنذب لقصر الطرف والقلب عليهم ، والشكر لجميل فعلهم ، وحسن المعاشرة معهم ، كحال أم زرع وما ظهر من اعجابها بأبى زرع ، وثنائها عليه وعلى جميع أهله ، وشكرها احسانه لها ، واستصغارها كل شيء بعده . وبسبب قصتها كان جلب الحديث ، كما وقع مبينا في بعض الروايات ، مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتى ذممن أزواجهن ، والاعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم وشراسة

«97» من عند : ز م ك ، عند : س .

(27) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ، المشهور بابن الماجشون . فقيه مالكي فصيح ، من كبار ائمة المالكية ، دارت عليه الفتيا في زمانه ، وعلى أبيه قبله . توفي سنة 212 هـ

أخلاقهم ، ليقنتدى بذلك من النساء من بلغها خبرهن في الصبر على ما يكون من الأزواج وتتأسى بمن تقدمها في ذلك .

وفيه من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات ، تسلية للنفس ، وجلاء للقلب ، وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذى عليه : باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر . وأدخل في الباب هذا الحديث وحديث خرافة (28) .

ويروى عن علي رضي الله عنه (29) انه قال «98» : سلوا عن علي رضي الله عنه : ز م ك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : س .

(28) وهو : عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساء حديثا ، فقالت امرأة منهن : كأن الحديث حديث خرافة ، فقال : « اتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا ، ثم رده الى الانس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة » . وفي اسناد هذا الحديث مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي . قال عبد الرحمن بن مهدي : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشيء . يعني انه تغير حفظه في آخر عمره . وقال عنه يحيى بن سعيد القطان : في نفسه منه شيء . وقال يحيى بن سعيد القطان ايضا لمن اراد ان يكتب السيرة عن مجالد : تكتب كذبا كثيرا ، لو شئت ان يجعلها لى مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله فعل . وسئل عنه احمد بن حنبل فقال : ليس بشيء ، يرفع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس ، وقد احتمله الناس . وقال يحيى بن معين : مجالد لا يحتج بحديثه . وقال عنه ايضا : مجالد ضعيف واهي الحديث . وسئل ابو حاتم الرازي عنه ايحتج بحديثه ؟ قال : لا . (انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ص 361 — 362 من القسم الاول من المجلد الرابع ، رقم الترجمة 1653) . فالحديث ضعيف جدا ، ولعله من وضع مجالد .

(29) هو أمير المؤمنين ابو الحسن على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشي الهاشمي ، لم ينقل لاحد من الصحابة من المناقب ما نقل لعلي رضي الله عنه ، توفي سنة 40 هـ .

هذه النفوس ساعة بعد ساعة ، فانها تصدأ كما يصدأ الحديد .
ويروى عن عبد الله بن عباس (30) انه كان يقول اذا أفاض
من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير : أحضوا . أى
اذا مللتم من الحديث والفقہ وعلم القرآن
فخذوا في الاشعار وأخبار العرب ، كما أن الابل
اذا ملت ما حلا من النبات رعت الحمض ، وهو ما ملح منه .
ومنه قول الزهري (31) : هاتوا من أشعاركم فان الازن مجاجة
والنفس «99» حمضة . أى انها لتتشتهى الشيء بعد الشيء كما
تفعل الابل . ومنه قول أبي الدرداء (32) : انى لاستجهم نفسى
ببعض اللهو ليكون ذلك عوناً لى على الحق . وقال على رضى
الله عنه : القلب اذا أكره عمى . وقال بعض الحكماء : أن
للأذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين ، ليكون
ذلك استجماماً .

وهذا كله مالم يكن دائماً متصلاً ، وانما يكون في النادر
والاحيان ، كما قال : ساعة بعد ساعة ، وأما أن يكون ذلك عادة

«99» مجاجة والنفس : م ، مجاجة وللنفس : ز ك ، في مجاجة
والنفس : س .

(30) هو ابو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ،
القرشى الهاشمى ، حبر الامة ، وترجمان القرآن ، دعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه في الدين ،
وعلمه التأويل » . توفي سنة 68 هـ .

(31) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . احدث اجلاء
التابعين ، واحد اكابر الحفاظ والفتهاء . توفي سنة 124 هـ

(32) هو الصحابي ابو الدرداء الانصاري الخزرجي ، اختلف في اسمه
واسم ابيه ، واسمه عامر او عويمر ، ولاه معاوية قضاء دمشق
في خلافة عمر ، توفي سنة 32 هـ او التي بعدها .

الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرب «100» به
الناس ويضحكهم — دأبه — فهذا مذموم ، غير محمود ، دال
على سقوط المروءة ورذالة المهمة ، وخلع برد نزاهة النفس ،
واطراح ربة الوقار والسمت ، مولجا صاحبه في باب المجون
والسخر . وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدر في عدالة
الشاهد ، فذكر أبو بكر الابهري (33) وغير واحد من أئمتنا ان
التزام المروءة مشروط «101» في العدالة ، ونحوه للشافعي (34)
وأئمة أصحابه . وذكر شيخنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد
الفهري (35) أن الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط مروءته : من
الاكل على الموائد في الاسواق وفي
الطرق غير مستخف ، وكشف رأسه وبدنه بحضرة الناس ،
ومد رجليه بحضرتهم ، وذكر «102» الحكاية المضحكة ، وذكر

«100» يطرب : م س ، يطرف : ز ، يطرق : ك .

والنفس : س .

«101» مشروط : ز ، مشترط : ك ، مشترطة : م س .

«102» وذكر : س ، — : ز م ك .

(33) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الابهري ،
الفقيه المالكي ، له تصانيف في شرح مذهب مالك والاحتجاج له
والرد على من خالفه ، وكان امام أصحابه في وقته . توفي
سنة 375 هـ .

(34) هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن
شافع ، القرشي المطلبى . تلميذ الامام مالك بن انس وشيخ
الامام احمد بن حنبل رضى الله عنهم . صاحب كتاب « الام »
و « المسند » وغيرهما . توفي سنة 204 هـ .

(35) هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ، القرشي الفهري ،
الاندلسي الطرطوشي ، ويقال له ابن ابي رندقة ، اديب ، من
فقهاء المالكية الحفاظ ، توفي سنة 520 هـ .

أهله بالسخف ، قال : فهذا وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ، ولا تقبل الشهادة معها .

قال الفقيه القاضى أدام الله توفيقه :

وما قاله صحيح ، لان المداومة على هذا مما يسقط مروءة ذوى المروءات ، ويزيل سمت أصحاب السميت والتصاون ، واشتراط التزام المروءة مشترط في الشهادة والعدالة كاشتراط اجتناب المحارم ، ولكن لكل واحد مروءة ما ، ولهذا قالوا فيه : ملتزما لمروءة مثله ، وقد قال بعض أئمتنا من القرويين - وهو أبو القاسم ابن محرز - : المروءة المطلوبة في الشاهد هي الصيانة ، والسميت الحسن ، وحفظ الأسان ، وتجنب السخف والمجون وكل خلق دنىء . وقال بعض أئمة البغداديين : العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا ، قال : وقد شرط في العدالة التوقى عن بعض المباحات القادحة في المروءة ، نحو الاكل في الطرق ، والبول في الشارع ، وصحبة الارذال ، وافراط المزاح ، وقال القاضى أبو بكر ابن الطيب في صفات العدل : تجنب ما يمرض القلوب ويورث انتهم فيما جل وقل ، قال : ومن علمائنا من صار الى أن عدم (36) التوقى عن المباحات القادحة في المروءة : كالاكل في

(36) كلمة « عدم » غير موجودة بالاصول التي بيدي ، لكن لا يستقيم الكلام بدونها .

الاسواق ، والجلوس على الطرقات ، ومصاحبة الارذال ، والاكثار من المداعبة ، يقـدح في العدالة ، قال : ولا أقـطع بـذلك ، وعندى أن ذلك مفوض الى اجتهاد القاضى «103» ، فرب شخص في نهاية من التدين وتجنب التكلف يصدر ذلك منه فلا يـتهم ، ورب شخص يؤذن ذلك منه بـقلة المبالاة ، وهذا يـختلف باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال ، وهو مفوض الى الاجتهاد .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

وما قاله القاضى سيف السنة من ذلك صحيح حق بين ، وهو بمعنى قول غيره الذى قدمناه من أن لكل واحد مروءة ما ، فتلك معتبرة ، وذلك ان من اسقط مروءته ولم يهتبل بها دل على اختلال في ميزه ، اذ لم يحتط لنفسه ، ولا اهتبل بصلاح خاصته ، فتعلقت «104» تهمتتا له بذلك في دينه ، ولم نستتم «105» الى باطنه لما اضطرب علينا ظاهره . وهذه نكتة بالغة في هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الاوراق ، وقد طاش سهم «106» القول — بما اعترض — عن الغرض ، فانكثف بما اقتضينا من معقول ومنقول ، ونعود الى بغيتك فنقول :

وفيه من الفقه بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن

«103» القاضى : س ، القلب : ز .

«104» فتعلقت : س ، فتعدت : ز ك .

«105» نستتم : ك ، نستتم : ز ، نستتم : س .

«106» سهم : ز س ، بينهم : م .

حولته ، وبيانه عليهم ، من تلقاء نفسه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، وقد قال لعائشة : كنت لك كأبي زرع لام زرع ، قالت : ثم أنشأ يحدث الحديث . وقد ورد في غير ما حديث صحيح ابتداءه صلى الله عليه وسلم لأصحابه المسائل جملا وتفصيلا .

وفيه من الفقه سؤال السامع العالم شرح ما أجمله له ، فقد وقع في بعض طرقه عن عائشة رضي الله عنها أنها — لما قال لها : أنا لك كأبي زرع لام زرع — قالت : يا رسول الله وما حديث أبي زرع ؟ فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث .

الغريب

قول عائشة (كان أبى ألف ألف أوقية) أى : جمع . قال الله تعالى : « ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » (107) . ومن رواه (ألف) بالمد : بمعناه (108) . وهو فعل مشتق من الالف . يقال : ألقت القوم فألفوا . اللازم والمتعدى واحد ، قاله الهروى (37) . أى جمعتهم ألفا ، أو صيرتهم ألفا . (وقال ابن اسحاق : ألف فلان ايلافا وهو أن يجتمع له ألف من البقر أو الغنم أو غير ذلك . قال الكمييت :

بعام يقول له المؤلفون هذا المقيم لنا المرحل) (109) «

وقولها (تعاهدن وتعاقدن) : أى ألزمن أنفسهن بالقول موثقا وعهدا ، وعقدن على الصدق والوفاء من ضمائرهن بذلك

(107) سورة الانفال ، الآية 63 .

(108) بمعناه : س ، فمعناه : زم وهو تصحيف .

(109) ما بين القوسين زيادة من نسخة : ك .

(37) هو ابو عبيد احمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى ، الهروى ، له « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث ، و « ولاة هراة » ، توفي سنة 401 هـ .

عقدا . قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » « 110 » « أى بما وافق به نطقكم نيتكم . والاصل ان العهد والعقد فى اللغة بمعنى واحد ، قاله الخليل وابن دريد ونفطويه (38) ، وكله « 111 » معناه التوثق ، من : عقدت الحبل والشئ بالشئ ، وهو التوثق منه وربط بعضه ببعض ، فكأن هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر ، باخلاصهن الباطن . وقولها فى الرواية الاخرى (تبايعن) : من هذا المعنى ، ومنه « 112 » مبايعة الامراء ، وهو توثقهم من الناس ، ومعاهدتهم اياهم على الطاعة ، وأصله من البيع ، وذلك أن المتبايعين يمد كل واحد منهما يده الى صاحبه بشئ ، وقيل : بل كانوا يضرب كل واحد منهما بيد « 113 » صاحبه عند التبايع ، ولهذا سميت صفقة ، لاصفاق أيديهم بعضها « 114 » ببعض عندهما . ولما كان الامراء يأخذون عند التوثق بأيدي من عاهدوا وأشبه ذلك فعل المتبايعين سميت مبايعة لذلك .

« 110 » سورة المائدة ، الآية 89 .

« 111 » ونفطويه وكله : ز ، وغيرهما و : س .

« 112 » ومنه : ز ، وأصله : س .

« 113 » بيد : م ، يد : ز س .

« 114 » بعضها : س ، بعضهم : ز م .

(38) هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي العتكي ، المشهور بنفطويه ، امام فى النحو ، وكان فقيها ، راسا فى مذهب داود ، مسندا فى الحديث ثقة ، توفى سنة 323 هـ .

غريب قول الأولى

(لحم جمل غث) أى مهزول ، قال الشاعر :

فأُمسّت «115» قريش قد أغث «116» سمينها .

والغث أيضا : الفاسد من الطعام ، ومنه : الغثيثة : وهي المادة التي تجتمع في الجرح . ويقال : غث الطعام يغث ، وأغث .
والاصح «117» أن يكون هنا : الهزيل ، لقولها بعد : لا سمين فينتقى . ومن رواه (قحر) فمعناه : هرم قليل اللحم ، صفة للبعير . يقال : جمل قحر وقحارية «118» . قال ابن الانباري : تريد : لحم جمل مهزول . يريد ابن الانباري ان المسنة الغالب عليها الهزال .

وقولها (على رأس جبل وع) أى حزن غليظ . والقوز : مثل الجبل ، من الرمل . والجمع : أقواز وقيزان وأقاوز .
ومن رواه (وعث) فمعناه ذو وعث ، والوعث : الدهس ،

«115» فأُمسّت : س ، وامست : ز .
«116» اغث : زك ، اغثت : م ، اغتث : س وهو غلط .
«117» والاصح : زك ، والاصل : م س .
«118» وقحارية : زك ، وقحاربه : س وهو غلط .

وهو مما يشتد فيه المشى ويشق ، فاستعمل لكل ما شق ،
ومنه : وعشاء السفر ، أى شدته ومشقته .

وقولها (ليس بلبد فيتوقل) أى ليس بمستمسك فيسهل
صعوده . يقال : لبد بالشيء يلبد لبودا ، اذا لزق به . ولبد
الغيث الأرض : أى الزق بعضها ببعض وجعلها لا تسوخ فيها
الرجل . والتوقل : اسراع المشى ، قاله
ابن الأنباري ، وقال غيره : هو الاسراع في الصعود ، وقال
ابن دريد (39) في الجمهرة : توقل في الجبل توقلا فهو متوقل ،
وكل صاعد في شيء «119» متوقل ، والاسم منه الوقل والوقل .
وقولها (لاسهل فيرتقى) أى يطلع اليه ، تعنى الجبل ،
لحزونته ووعره .

(ولا سمين فينتقى) تعنى اللحم ، أى ليس بسمين له نقى
— أى مخ — فيخرج ، هذا نحو لفظ الهوى ، وفيه تجاوز (40) ،
اذ ليس يستبين «120» منه المعنى ، وقريب منه قول أبي
عبيد ويعقوب (41) . وبيان معنى ما وقع هاهنا أن يقال :
ليس بسمين له نقى فيطالب لاجل نقيه ، فلذلك قال (ينتقى) أى

«119» شيء : س ، مشى : ز .
«120» يستبين : م س ، يتبين : ز ك .

(39) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من ائمة اللغة
والادب ، من كتبه « الجمهرة » و « الاشتقاق » و « المقصور
والممدود » توفي سنة 321 هـ .
(40) لعل الاصوب ان يقال : « وفيه تجوز » بدلا من قوله « وفيه
تجاوز »
(41) يعقوب : هو ابن السكيت ، وقد تقدم .

يطلب طبيه لاجل ما فيه من النقى ، لا أنه أراد استخراج نقيه
— وهو مخه — ، وذلك ان الجمل اذا هزل فلا بد أن يبقى فيه
«121» نقى عظامه . قال الخليل : النقى مخ انعظام وشحم
العين . قالوا : وآخر ما يبقى في الجمل اذا هزل مخ
السلامى ومخ العين ، فاذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شيء
من خير ولا ينتفع به ، بدليل قوله :

لا يشتكين «122» عملا ما أنقين ما دام مخ في سلامى أو عين
ومن رواه (فيننقل) أى ينتقله الناس الى بيوتهم فيأكلونه ،
ولكنهم يزهدون فيه . قال أبو سعيد النيسابورى : ليس شيء
أخبث غثاثة في الانعام من الجمل ، لانه يجمع خبث الريح وخبث
الطعم . يريد : فلذلك ضربت به المثل (. . . هزيلا ، وقولها
« ولا لى عنده معول » أى رجاء منفعة ، وأصله من : عال
الرجل عياله عولا ، أى : مانهم وكفاهم ، وأصله من العول
الذى هو الثقل . يقال : عول على ، أى : حملنى من ثقل شؤونك
ما تشاء .

ومن رواه « ولا له عندى معول » : فاما أن يكون بمعنى
الاول ويكون « له » بمعنى « عليه » ، أو يكون بضده ، أى :
انه لا يشتغل بها ، ولا يلجأ الى شيء من امورها ، تهاونا بها ،
وسوء عشرة لها ، وانها . . . فيه ، لا يطمع فى نيل شيء من
جهتها ، ولا يرجو تحملها شيئا من أموره ولا معونتها . («123»

«121» يبقى فيه : ك ، يبقى منه : ز ، ينتقى فيه : م ، ينتقى منه : س .

«122» لا يشتكين : ز ك ، لا تشتكين : م س .

«123» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

ممناه :

وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره — مع قلته — ، كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذى يزهد فيه فلا يطلب ، فكيف اذا كان فى رأس جبل صعب وعر ؟ أو قوز رمل دهس لا يمكن المشى فيه ولا ينال الا بمشقة ؟ والى هذا أشار القاسم بن سلام وغيره ، وذهب الامام أبو سليمان الى أن تمثيلها له بالجبل الوعر هاهنا اشارة الى سوء خلقه ، والذهاب بنفسه وترفيعها تنيها وكبرا ، تريد انه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته ، فيجمع الى البخل سوء الخلق ، وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته له .

عربيته :

قولها هذا ، اعلم انه يجوز فى « غث » الرفع وصفا للحم ، والكسر وصفا للجمل ، وروى بالوجهين ، لان الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ، ومن رواه « لحم غث » فالرفع على ما تقدم ، والكسر على الاضافة بتقدير حذف « جمل » واقامة وصفه مقامه ، واما من رواه « قحر » فلا يجوز فيه الا الكسر ، لانه لا يكون الا وصفا للجمل .

وقولها « لا سهل فيرتقى » يجوز فيه ثلاثة اوجه — كلها مروية — : نصب لام « سهل » دون تنوين ، ورفعها ، وخفضها منونة ، واعربها عندى هاهنا الرفع فى الكلمتين ، ووجهه أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف ، تقديره : لا هو سهل ، أولا هذا سهل

ولا ذاك سمين ، أو لا الجبل سهل ولا اللحم سمين ، فتكون كل واحدة من الكلمتين خبراً لمبتدأ محذوف ، كما قال :

فأصبح اليوم لا معط ولا قار

أى لا هو معط ولا هو قار ، ويصح أن يكون « سهل » مبتدأ والخبر محذوف مقدر ، أى لا سهل فى هذا «124» مرتقى ، ولا سمين من هذا منتقى ، ومثله قوله تعالى « لا بيع فيه ولا خلة »125» ، قرئ بالوجهين الرفع والنصب ، وتكون « لا » هاهنا بمعنى ليس ، كما قال :

فأنا ابن قيس لا بـراح

وأما وجه نصب « سهل » فعلى أعمال « لا » وجعلها ناقصة محذوفة الخبر ، فتنصب بها ، والتقدير : لا سهل فيه أو منه ، مثل قولهم : لا بأس ، ولا خوف ، ومنه قولهم : لا حول ولا قوة الا بالله .

وأما خفض فعلى وجهين : على النعت للجبل وترك أعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة ، كقولهم سرت بلا زاد وعجبت من لا شيء ، فان « لا » ملغاة العمل زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، ومنه قوله تعالى : « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة »126» « وقوله « وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم »127» ،

«124» فى هذا : ز س ، هذا : م .

«125» سورة البقرة ، الآية 254 .

«126» سورة الواقعة ، الآية 33 .

«127» سورة الواقعة ، الآية 44 .

فـ « مقطوعة » و « ممنوعة » : نعت للفاكهة ، و (بارد)
و (كريم) : نعت للظل ، ولكن بتقدير « لا » في المعنى
والغائها في العمل ، لانك لو لم تلغها لعملت عملها
وحالت بين العامل في النعت والمنعوت فكأنها في التقدير ، ولو
أبطلت أيضا حكمها في المعنى لبطل المعنى وكان ما بعدها اثباتا
من حيث كان نفيا ، فهي ملغاة في العمل زائدة ، غير فاصلة بين
العامل والمعمول فيه ، فكذا قولها « لا سهل » « ولا سمين » .

وقد يكون له أيضا وجه آخر : وهو أن تقدر « لا » بمعنى
غير ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها ، فاذا تقرر هذا
في قولها « لا سهل » : فلك أن ترد قولها بعد ذلك « ولا سمين »
على ذلك كله ، وتجريه على اعراب ما قبله من الوجوه الثلاثة
عطفا عليه ، وان شئت نونت « سمينا » في حال النصب ،
وان شئت قلت : « لا سهل ولا سمين » فأبقيت الاول على
حاله ورفعت الاخير على الوجهين اللذين ذكرناهما قبل في رفع
الحرفين معا ، وان شئت قلت « لا سهل ولا سمين » فرفعت
الاول ونصبت الثاني ، كقوله تعالى « فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج » « 128 » في قراءة ابي عمرو ، وكقول أمية
ابن أبي الصلت :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به أبدا « 129 » مقيم

« 128 » سورة البقرة ، الآية 197 .
« 129 » ابدا : س ، لهم : زم .

بيان :

ان قلت : ذكرت أن أعرب الوجوه عندك الرفع في الحرفين ، وأصل « لا » العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها ، وقصاراك ان عطفت النكرات عليها مع تكرارها أن تجوز الرفع تجويز النصب ، فأما ترجيحه عليه فدعوى ، وكيف وقدوة الجماعة يقول : النصب أجود وأكثر من الرفع ؟ . فاعلم — وفقك الله — أنى اذا بينت لك قولى ورفعت مناره ، رأيت ترجيحه وإيثاره ، وذلك أنى لم أر ذلك من جهة مذهب النحاة وتقويم الالفاظ ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الاغراض ، وترتيب الكلام ونظامه ، ورد اعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه ، وذلك أن هذه المرأة أودعت أول كلامها تشبيه شئئين من زوجها بشئئين كما تقدم ، فشبهت باللحم الغث بخله وقلّة عرفه ، وبالجبل الوعث شراسة خلقه وشموخ أنفه ، فلما أتمت كلامها جعلت تفسر — مستأنفة — كل واحدة من الجملتين ، وتفصل — ناعقة — كل قسم من التشبيهين ، ففصلت الكلام وقسمته ، وأبانت الوجه الذى به علقت التشبيه وشرحته ، فقالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم الغث المزهود فيه ، لان الشئ المزهود فيه ربما أخذ اذا جاء عفوا وتنوول «130» اذا سهل مأخذه ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل فى طلبه وانتقائه «131» مشقة صعود الجبل ومعاناة وعورته ، اذ

«130» تنوول : ز ، يتناول : ك ، تنول : م ، تناول : س .

«131» وانتقائه : س ، واقتنائه : م .

الشيء المرغوب فيه قد تتحمل المشاق دونه ، فاذا لم يكن هذا ولا ذاك ، واجتمع قلة الحرص عليه ، ومشقة الوصول اليه ، لم تطمح اليه همة طالب ، ولا امتدت نحوه أمنية راغب ، وكذلك زوجها قد آيس من خيره لهذين الوجهين . فقطع الكلام عند تمام التشبيه والتمثيل ، وابتدأؤه بحكم التفسير والتفصيل ، أليق بنظم الكلام ، وأحسن من نفى التبرية «132» وسرد الصفة في نمط البيان ، وأجلى في رد الاعجاز على صدور هذه الاقسام ، وتأمل كتاب الله العزيز ، فان المنفيات فيه حيث ترددت معطونة لشيء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة ، كقولـه تعالى « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة » «133» و « كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » «134» و (يوم لا بيع فيه ولا خلة) «135» قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، و « لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » «136» ، وحيث وردت المنفيات فيه اصفات «137» أشياء أو لشيئين يختص كل واحد منها بوصف وقصد كل شيء منها بنفى عيب : ابتداءً الكلام «138» حينئذ مستأنفا فقال « بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون » «139» ، فقوله (لا فيها غول) من صفة

«132» التبرية : ز ك ، التبرية : س .

«133» سورة الواقعة ، الآية 33 .

«134» سورة الطور ، الآية 23 .

«135» سورة البقرة ، الآية 254 .

«136» سورة البقرة ، الآية 197 .

«137» لصفات : ز م ، لصفة : س .

«138» ابتداء الكلام : ك ، ابتدء الكلام : م ، ابتداء في الكلام : س .

«139» سورة الصافات ، الآية 46 — 47 .

المشروب ، وقوله (ولا هم عنها ينزفون) من صفة الشاربين ، وهذا من الترتيب البديع ، والتناسب العجيب ، فانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول ، والثاني للثاني ، وهو من أبدع أنواع التأليف ، وأحسن أساليب الترصيف «140» ، ومثله قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

— لدى وكرها — العناب ، والحشف البالي

فأتى (بالعناب) أولا (للقلوب الرطبة) المذكورة أولا ، و (بالحشف) ثانيا (لليابسة) المذكورة ثانيا ، وقول بعضهم : سل عنه ، وانطق به ، وانظر اليه ، تجد

ملء المسامع ، والافواه ، والمقل

فانه قابل بقوله (ملء المسامع) أولا في الشطر الثاني قوله (سل عنه) أولا في الشطر الاول ، وأتى (بالافواه) ثانيا في الثاني مقابلا (للنطق) ثانيا في الاول ، وأتى (بالمقل) ثالثا في الثاني مقابلا (للنظر) ثالثا في الاول ، ومثله :

قلبي وطرفي منك ، هذا في حمى قبيظ ، وهذا في رياض ربيع

فانه حمل (حمى القبيظ) الذي جاء به أولا في العجز على (القلب) الذي جاء به أولا في الصدر ، وحمل (رياض الربيع) الذي أتى به في العجز آخرا على (الطرف) الذي أتى به في الصدر آخرا ، فتناسب النظم على نسقه ، وتطارد الترتيب على جادة طلقه ، وكذلك جاء في بعض روايات حديث أم زرع

«140» الترصيف : م ك ، التصريف : ز س وهو تصحيف .

بتقديم « لا سمين » لعوده على اللحم المقدم ، وتأخير « لا سهل » لعطفه على الجبل المؤخر ، وقد ترامى بنا القول هنا الى لمحّة والماعة مما في كلامها من أبواب البلاغة ، وهو فصل لم نر التطويل به هاهنا ، وسنذكره بعد مع أشباهه مما في كلام صواحبها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

استدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ذكر السوء والعيب اذا ذكره أحد فيمن لا يعرف بعينه واسمه أنه ليس بغيبة ، وأن الغيبة أن تقصد معينا بما يكره ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكى عن بعض هؤلاء النسوة ما ذكرنه من عيب أزواجهن ، ولا يحكى عن نفسه أو غيره صلى الله عليه وسلم الا ما يجوز ويباح ، وقال مثل ذلك أبو سليمان الخطابي ، ورأيت شيخنا الامام أبا عبد الله محمد بن على التميمي (42) لا يرتضى هذا القول ، وقال : انما كان يكون هذا حجة لو سمع النبي صلى الله عليه وسلم امرأة تغتاب زوجها ولا تسميه فأقرها عليه ، وأما هذه الحكاية عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن فليس بحجة في جواز ذلك ، وحالهن كحال من قال : في العالم من يسرق ويزنى ، فلا يكون غيبة ، قال : ولكن المسألة لو نزلت فوصفت المرأة زوجها بما

(42) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث ، من فقهاء المالكية ، له « المعلم بفوائد مسلم » و « الكشف والانباء » في الرد على الاحياء للغزالي ، توفي سنة 536 هـ .

هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ، ولو كان مجهولا لكان لا حرج فيه على رأى بعضهم الذى قدمناه ، قال : وللنظر فيه مجال .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل أعلى الله قدره :

وما قاله انشيخ رضى الله عنه فيه للنظر — أيضا — مجال عندى ، وتحقيق المسألة أن فائدة النهى عن الغيبة الحماية «141» عن أذى المؤمن ، فاذا ذكر المجهولين عند القائل والسامع بالتبجح دون أن يذكر لهم اسم أو وصف عساهم أن يعرفهم به غيرهما ليس بغيبة ، لان مثل هذا لا يصل به أذى للمقول فيه ، اذ لا يتأذى الا بتعيينه اما عند القائل أو السامع أو من يبلغه الخبر . وهذا مثل قولك : فى العالم من يفسق ، وفى بنى آدم من يسرق ، فهذا ليس بغيبة ، وقد أشار الى نحو هذا الحارث «142» بن أسد المحاسبى (43) رحمه الله ، قال : وقال ابراهيم (44) : لا يكون غيبة ما لم يسم صاحبها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد شيء لم يصرح به ،

«141» الحماية : ك ، حماية : ز م س .

«142» الحرث : ز ك ، الحديث : س ، والصواب : الحارث . ولفظ المحاسبى زيادة من نسخة : ز .

(43) هو ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى ، الزاهد المشهور ، من اكابر الصوفية ، كان عالما بالاصول والمعاملات ، واعظا مبكيا ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، من كتبه «الرعاية لحقوق الله» ، توفى سنة 243 هـ .

(44) لعل المراد : ابو اسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور التميمى البلخي ، زاهد مشهور فقيه ، توفى سنة 161 هـ .

وكان يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، وهو — صلى الله عليه وسلم — وان عرفهم فليس بمغتتاب لهم ، اذ نيته غير الغيبة والاذى ، بل النحذير والعظة ، ولو فعل ذلك انسان لمثل هذا لم يكن مغتتابا ، اذا لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه ، وكذلك قوله فى هذا الحديث : « اجتمع احدى عشرة امرأة » ، فذكر نساء مجهولات الاعيان والاسماء ، مجهولات الأزواج ، بائدات الزمان ، فما حكى عن بعضهن من قبيح ذكر أزواجهن ليس بغيبة ، نعم وان كان قد سمي فى بعض الطرق — كما ذكرنا — بعضهن ، فان أزواجهن غير مسمين ، ومع ان «143» تلك التسمية — لقدم «144» الزمان — لم تزدد معرفة ، وأيضا فانه أخبر عن قوم من أهل الجاهلية : الله اعلم «145» هل كانوا على ديانة أو لا ؟ فلم يكن فيهم — ولو عرفوا ، ان كانوا على الجاهلية — غيبة . وأما متى كان المقول فيه معروفا عند القائل أو السامع فهو غيبة ، وكذلك لو لم يعرفاه ولكن بلغ أحدا من الناس أن فلانا الـ كذا أتى دناءة كذا أو تخلق من القبيح بكذا فحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الآخر اليه لكانا مغتابين ، لان ذلك المسمى لو بلغه ذلك أو سمعه لتأذى به ، الا أن يكون القائل يعرفه ولكن لم يفصح عنه

«143» ومع ان : كذا فى النسخ ، ولعمل الاصوب : « مع ان » بدون واو .

«144» لقدم : ز ك ، لتقديم : م س .

«145» الله اعلم : م س ، والله اعلم : ك .

«146» ، أو ذكر «147» عيبه لضرورة التحذير أو الوعظ كما تقدم .

قال الفقيه القاضي أبو الفضل وفقه الله :

وقول شيخنا أبي عبد الله « وانما حكى عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن » غير سديد عندى ، فان الحجة انما هى فى حكاية النبى صلى الله عليه وسلم عنهن «148» أو الحكاية له عليهن ما حكى ، ولو حكى رجل عن غائبة أنها قالت فى زوجها كذا ونبذته بكذا لكان غيبة من الراوى والسامع له ، وانما الحجة من هذا الحديث حكايته صلى الله عليه وسلم عن المجهولات ، والمقول فيهم مجهولون عند جميع السامعين ، والحمد لله رب العالمين .

تنبيه : كنت نويت أن أذكر ما فى كلام كل «149» واحدة من هؤلاء النسوة من ابواب الفصاحة ، وأنبه على ما فيه من فنون ابلاغية ، وأبين ما اشتمل عليه من ابواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة ، فان كلام هؤلاء النسوة من الكلام العالى الفصيح ، الجامع للفظ المختار والنظم المتناسب المليح ، والمعنى الجيد البليغ الصحيح ، لكنى رأيت أن افراد الكلام عليه عند شرح قول كل واحدة يطول ، لما يتوجه من التكرار والمداخلة فى بعض

«146» عنه : س ، به : ز م ك .
«147» او ذكر : ك ، وذكر : ز م س .
«148» عنهن : ز ، — : م ك س .
«149» كلام كل : س ، كل كلام : ز .

انفصول ، فرأيت تأخير ذلك الى آخر الحديث اولى ، ليتأتى الكلام عليه دفعة ويفيض سجلا ، جريا على ما اشترطته من الاختصار ، وكرها لما بسطته من عذر الاكثار ، والعون من الله جل اسمه .

غريب قول الثانية

لا أبت : لا أنشر وأذكر ، ومن رواه « انث » فمن هذا .
يقال : « بث الحديث ونثه » : بمعنى ، الا أن النون أكثر
ما يستعمل في الشر ، وهو بمعنى أنبىء في الرواية الاخرى أى
أعلم ، قال أبو عبيد : والعجر تعقد العصب والعروق في الجسد
حتى تراها ناتئة ، والبجر : مثلها ، الا أنها مختصة بالبطن .
وقال نحوه الاصمعي (45) ، وقال ابن الاعرابي (46) : العجرة
نفخة في الظهر ، فاذا كانت في السرة فهي بجرة ، ثم ينتقلان الى
الهموم والاحزان ، ونحوه عن ثعلب (47) والاصمعي ، قال :

(45) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الباهلي الاصمعي
البصري اللغوي ، احد ائمة اللغة والغريب والاختصار والملح
والنوادير ، صنف « غريب القرآن » و « معاني الشعر »
وغيرهما ، توفي سنة 216 هـ . او التي قبلها .

(46) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المشهور بابن الاعرابي ، كان
نحويا عالما باللغة والشعر ، راوية للشعار ، حسن الحفظ لها ،
له كتاب « النوادر » و « معاني الشعر » وغيرهما . توفي سنة
230 هـ .

(47) هو أبو العباس احمد بن يحيى بن يسار ، المشهور بثعلب ،
امام الكوفيين في النحو واللغة ، صنف « غريب القرآن »
و « معاني القرآن » و « اختلاف النحويين » وغيرها . توفي
سنة 291 هـ .

ومنه قول على رضى الله عنه يوم الجمل : الى الله أشكو
عجري وبجري . أى همومى وأحزائى ، وقال احمد بن عبيد
(48) : العجر : فى البطن والجنب ، والبجر : فى السرة ، وقال
الاصمعى : انها تستعمل فى المعاييب أيضا ، قال الهروى :
عجره وبجره : أى عيوبه ، وقاله ابن أبى أويس «150» وابن
حبيب ، وقال ابن السكيت : أسراره ، وقال نحوه المبرد (49) ،
وبه فسر قول على رضى الله عنه قال : أى ما أسر من أمرى ،
وحكى نحوه عن الاصمعى قال عنه : وهو كلام سائر ، ومن
أمثال العرب : لقى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره أى أسراره ،
وقال أبو سعيد النيسابورى : انما عنت أن زوجها كثير
العيوب ، متعقد النفس عن المكارم .

معناه :

قولها « لا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره » : أى أترك
حديثه ، والهاء عائدة على الخير ، أى انه لطوله وكثرته ان
بدأته لم أقدر على تمامه ، والى هذا ذهب يعقوب ، ويعضد
هذا ما ورد فى بعض زيادة بعضهم : « ولا أبلغ قدره » ،
وفيه تأويل آخر ذكره احمد بن عبيد بن ناصح : أن الهاء

«150» ابن ابى اويس و : ز ، — : م ك س .

(48) هو ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح ، النحوي الكوفي الديلمي
الاصل ، يعرف بأبى عسيده ، صنف « عيون الاخبار والاشعار »
و « المقصور والمدود » وغيرهما ، توفي سنة 278 هـ .

(49) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري ،
المشهور بالمبرد ، امام العربية ببغداد فى زمانه ، له من التصانيف
« معاني القرآن » و « الكامل » وغير ذلك ، توفي سنة 285 هـ .

عائدة على الزوج ، وكأنها خشيت فراقه ان ذكرته وكرهت ذلك ، وتكون « لا » هاهنا — على قوله — زائدة ، كما قال تعالى (ما منعك أن لا تسجد «151») وشبهه ، فيكون «أذره» على هذا التأويل : افارقه ، ويحتمل على رجوع الهاء الى الزوج تأويلا آخر : أى انى ان أخبرت بشيء من عيوبه ونقائصه افضى الى ذكر شيء آخر اقبح منه ، وقد عاهدت صواحبها على أن لا تكتم شيئا من صفاته عنهن ، فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهن . وذهبت الى ستر عيوب زوجها لكثرتها ، ولم تر أن تذكر بعضا دون بعض ، وانها ان ذكرت شيئا تسبب «152» ذكر شيء آخر ، فرأت الامساك أولى ، ويدل على هذا ما وقع فى بعض طرقه : أخاف أن لا اذره من سوء . ومعنى قولها « ان أذكره أذكر عجره وبجره » فعلى مذهب ابن الاعرابي وثعلب والاصمعي : أى انى ان ذكرته ذكرت همومي وأحزاني به ، وعلى مذهب الاصمعي الآخر والهروى والنيسابورى : ان ذكرته ذكرت معاييه وقبائحه ، وعلى مذهب ابن السكيت : ذكرت أسرارها ، وبعضها قريب من بعض ، قال الخطابي : أرادت عيوبه الباطنة ، وأسرارها الكامنة .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

وأرى — والله أعلم — أنه كان مستور الظاهر ، ردىء

«151» سورة الاعراف ، الآية 12 .

«152» تسبب : م س ، سبب : ز ، يسبب : ك .

الباطن ، فلم ترد هتك ستره ، وانها ان تكلمت بما قد عاقدت عليه صواحبها كشفت من قبائحه ما استتر ، وابدت من سوء حالها وعظم همها به ما — قبل — لم يظهر ، ولكنها وان لوحث وما صرحت ، واجملت وما شرحت ، فقد بثت وان قالت لا أثبت ، اذ لا بد للمصدور أن ينفث ، وهذا كما قال :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

ففى ضمن الصريح أنه لم يقل ، وفى نص الصريح أنه قد قال . ولكن هذه اكتفت بالايماء والاجمال فى الخبر عنه ، ولم تهتك حجاب الصون عن عورات ما عرفت منه .

غريب قول الثالثة

قولها « زوجى العشنق » فالعشنق الطويل ، قاله أبو عبيد وغيره من الشارحين ، وخطأه في ذلك عبد الملك بن حبيب ، وقال : العشنق : المقدام على ما يريد الشرس في أموره ، بدليل بقية وصفها له ، وقال أبو سعيد النيسابورى قولاً يجمع التفسيرين قال : العشنق : الطويل النحيف ، الذى ليس أمره الى امرأته ، وأمرها اليه ، فهو يحكم فيها بما يشاء ، وهى تخافه ، وقال أبو منصور الثعالبي : العشنق والعشنط : المذموم الطول ، قال غيره : ومثله القاق والفوق «153» ، وهذا يقرب من قول النيسابورى ، وقال صاحب العين : العشنق : الطويل العنق ، وقال ابن أبى أويس : العشنق : الصقر من الرجال ، المقدام الجرىء ، قال : ويقال للطويل من الرجال العشنق ، وحكى ابن الأنبارى عنه أنه : الطويل الجرىء والقصير ، قال أبو بكر : فكأنه جعله من الاضداد ، والمشهور أنه الطويل .

تنبيه :

قال القاضى : الذى قرأناه في حديث ابن أبى أويس :

«153» القاق والفوق : زك ، القاق والفوق : م س وهو غلط .

الصقر ، كما ذكرناه ، ولم يذكر — فيما رأيت — احد من أهل
اللغة العشنق في القصار ، ولعله تصحيف من أبى بكر ،
والله أعلم .

وقولها : « اعلق » أى يتركنى معلقة ، كمن لا زوج لها ،
ولا هى ايم : قال الله تعالى : (فتذروها كالمعلقة) «154» ،
و « السنان » الرمح و « المذلق » المحدد ، أى انها معه على
مثل سنان محدد ، وذلق كل شىء حده ، ومنه قولهم : لسان
ذلق ، أى حديد فصيح ، أرادت انها لا تجد معه قرارا ،
وانها معه على حذر ، كمن هو على طرف السنان ، أو أنه هو
لهوجه لا يستقر على حالة .

معناه :

وصفها له بالطول على رأى أبى عبيد : تريد مدحه بذلك ،
لان العرب تمدح الرجال والسادة بطول القامة ، وفخامة
الظاهر ، ومنه قول الاخرى : طويل الانجاد ، وقال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء
وقال آخر :

خدف يضيق السرج عنه كأنما يمد ركابه من الطول مانع

«154» سورة النساء ، الآية 129 .

وقال غيره :

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
يقول كان ثيابه من طوله على سرحة ، أى شجرة عظيمة
طويلة ، لكمال خلقه ، وانه ولد وحده ، غير توأم لولد آخر
زاحمه في الرحم فاضغفه ونقص خلقه . ومنه قول الشعبي :
لولا انى زوحت في الرحم ما قامت لاحد معى قائمة ، واقتصارها
من صفاته على الطول وحده : قال الاصمعى : أرادت بذلك أى
ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع ، فان ذكرت ما فيه من المعاييب
طلقنى ، وان سكت تركنى معلقة : لا ايما ، ولا ذات بعل ،
تعنى ينتفع به منفعة البعولة ، ولست مطلقة فاستريح واتفرغ
لغيره من البعولة وأيأس منه ، ولا أحسن صحبتى فاغتبط به ،
فأنا كالشيء المعلق بين العلو والسفل ، غير المستقر فى احدهما ،
وقيل : يحتمل قولها أن يكون من علاقة الحب ، ولذلك كانت
تكره أن تنطق لئلا يفارقها وان سكتت لقيت بعلاقتها ولم يهتبل
بها ، ولا وصلها فثفى غليل صدرها ، قال أبو بكر الانبارى :
أرادت أن زوجى له منظر بلا خبر . وعلى المذهب الآخر :
فمقتضى جميع ما وصفته به سوء الخلق والعشرة ، وانها
لا تأمن أذاه وضره ، وانه مع هذا مذموم المراءى والخلقة ،
وانها على حذر من صحبتته ، غير مطمئنة النفس ، ولا مستقرة
الجأش معه ، متوقعة أذاه أو فراقه ، فهى معه كمن هو على حد
السنان من المخافة والحذر «155» ، وعدم الطمأنينة

«155» والحذر : ز م ك ، والحذر : س .

والاستقرار ، والعرب تقول لمن يكون على حذار «156» وغير
استقرار : كأنه على مثل سن الرمح ، ومثل حد السيف ، ومثل
قرن الظبي ، قال امرؤ القيس :

كأننى واصحابى على قرن اعفرا

وقد أبان هذه العلة أبو العلاء ابن «157» سليمان بقوله :

كأننى فوق قرن الظبي من حذر

«156» حذار : م س ، حذر : ز ك . والحذار المحاذرة .

«157» ابن : م ك ، — : ز س .

غريب قول الرابعة

« زوجى كليل تهامة » : القر : البرد ، والسامة : الملل ،
والوخامة : الثقل ، يقال رجل وخيم : أى ثقل ، وطعام وخيم :
ثقل غير مستمرى ، ومرعى وخيم : لا تنجع عليه الماشية .

عربيته :

يجرى فى قولها « لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة »
ما تقدم من الوجوه فى قول الاخرى « لا سهل ولا سمين » ،
ولكن كلام هذه أجلى فى بعض الوجوه من الكسر على الصفة
لتكرر الاوصاف ولكونها كلها أوصافا لشيء واحد ، وسيبويه
يستقبحه اذا لم تتكرر الاوصاف ، ومن العطف على الموضع
اذا نصبت أولا ورفعت آخرها لكونها جملة واحدة
واشتراكهما (158) فى الخبر كما قال تعالى (لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة) «159» وكما قال :

لا أم لى ان كان ذاك ولا أب

«158» واشتراكهما : س ، واشتراكها : ز .

«159» سورة البقرة ، الآية 254 .

معناه :

وصفته بحسن صحبتها ، وجميل عشرتها ، واعتدال حاله ،
وسلامة باطنه ، وثقتها به ، وضربت المثل بليل تهامة لان تهامة
من بلاد الحجاز - مكة وما والاها - بلاد حارة راكدة الريح ،
وبهذا سميت تهامة . قال الاصمعي : العرب تقول اذا
انحدرت من ثنايا ذات عرق فقد اتهمت الى البحر ،
واذا تصوبت من ثنايا العرج فقد استقبلت
الاراك والمرخ وشجر تهامة واتهمت ، قال الاصمعي :
والتهمة : الارض المتصوبة الى البحر ، قال
ابن دريد : التهم : الحر ، وركود الريح ، وبه سميت تهامة ،
وأشدد غيره :

نجد برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمائها «160» المتوقد

وقال الحسن الهمداني : تهامة : ما استطال من جزيرة العرب
بين بحرها «161» الغربي والسراة وكانت فيه طمأنينة وحرارة .

قال القاضي :

فليلها لا قر فيه ، أى ليس فيه رياح باردة شديدة ،
ولا حر ، لان برد الليل على كل حال «162» يطفئه ويكسر
سورته ، فهي معتدلة ، وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيب

«160» حمائها : س ، حمائها : ز .
«161» بين بحرهما : س ، من نجدها : ز .
«162» حال : س ، حاة : ز .

الليل والاصائل والظلال ، وقد أكثر في ذلك شعراؤهم ومنه
قول بعضهم :

ألم تعلموا أن المصلى مكانه وأن العتيق ذا انظلال وذا البرد
وان بها لو تعلمان أصائلا وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
تقول : لا أذى عنده ولا مكروه ، كمثل هذه الليلة التي ليس
فيها حر ولا برد ولا ريح ، لان في الريح والحر والبرد أذى
إذا اشتد ، وتقول : لا عنده غائلة ولا شر فأخافه ، ولا يسأمني
ولا يستثقلني فيمل صحبتي ، ويكون هذا معنى قولها :
« ولا وخامة » ، أو يرجع قولها « ولا وخامة » الى صفة ليل
تهامة ، لان بلاد تهامة واشراف بلاد الحجاز ونجد صحيحة
الهواء ، غير وخمة ، ولا وبيئة ، وقد يكون قولها « ولا وخامة »
أى انه — تعنى زوجها — ليس فيه ثقل ولا فدامة ، بل هو
حلو الشمائل ، خفيف على المصاحب ، مستلان الجانب ،
وقولها في الرواية الاخرى : « ولا يخاف خافه ولا أمامه » ،
قال ابن الانباري «163» تريد أن باد تهامة لا يخاف أهله من
أمامهم ولا من خافهم ، لتحصن أهله بالجبال . ويحتمل عندي أن
ترد « خافه » و « أمامه » على زوجها ، أى انه مأمون ،
لا تخشى مضرته «164» من جهة من جهاته ، كما قالت :
« ولا مخافة » ، أو تخبر أنه حام لذماره ، مانع لحوزة داره
وجاره ، ثم وصفته بالكرم والسخاء بقولها « والغيث غيث
غمامة » أى ان جوده ينهل ، ويحيى به الانام ، كغيث الغمام .

«163» الانباري : س ، الاعرابي : ز .
«164» مضرته : س ، ان تأتي مضرة : ز .

غريب قول الخامسة

« زوجى ان دخل فهد » ، قال ابن الانبارى : أى نام وغفل فصار كالفهد ، لكثرة نومه ، يقال : أنوم من فهد . قال أبو عبيد : تصفه بكثرة النوم والغفلة ، على وجه المدح له ، وقولها « ان خرج أسد » تمدحه بالشجاعة . أى صار كالأسد ، يقال : أسد الرجل واستأسد اذا «165» صار كذلك ، وقولها « عما عهد » أى رأى فى البيت وعرف ، قال أبو عبيد : لا يتفق ما ذهب من ماله ، ولا ياتفت الى معائب البيت وما فيه ، فكأنه ساه عن ذلك ، وقوله «166» هذا يقتضى تفسيرين لـ «عهد» ، احدهما : عهد قبل ، فهو يرجع الى تفقد المال ، والثانى عهد الآن ، فهو بمعنى الاغضاء عن المعائب والاحتمال «167» ، وقال ابن أبى اويس : تقول ان دخل وثب على وثوب الفهد ، وان خرج كان كالأسد على الناس «168» جرأة واقداما ، فقله «169» « وثب على » يحتمل أن تريد به البطش بها ، والضرب لها ، أو تريد به المبادرة الى جماعها ، وكثرة الحظ من استمتاعها ، أو سوء «170» تناوله ذلك دون ملاعبتها «171»

-
- «165» اذا : س ، اي : ز .
«166» وقوله : س ، وقولها : ز وهو غلط لان المراد قول ابى عبيد .
«167» الاحتمال : م س ، الاختلال : ز ك .
«168» على الناس : ز ، — : م ك س .
«169» « فقله » : كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : فقلوها .
«170» أو سوء : م س ، وسوء : ز ك .
«171» ملاعبتها : ز م س ، مداعبتها : ك .

وتقديم الايناس قبل الابساس بمواقعتها . قال ابن حبيب : وصفته بأنه في اللين «172» والدعة والغفلة عندها كالفهد ، واذا «173» خرج كان كالاسد في شجاعته ، ولم ترد النوم كما قال شارح العراقيين ، قال : وقد ورد للنبي «174» صلى الله عليه وسلم مثل هذا في وصف على وذم من كان بخلافه ، فروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يبغض الذواق المطلق ، الذي أراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقد ، وهو عند أهله كالاسد ، وكان خارجا كالثعلب ، لكن على لفاطمة يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد » (50) .

«172» في اللين : ز ك ، من اللين : م س .

«173» واذا : م س ، فاذا : ز ك .

«174» للنبي : ز م ك ، عن النبي : س .

(50) اورد الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » حديث : « ان الله يكره الرجل المطلق الذواق » برقم 248 ، وقال انه لا يعرفه ، وكذلك لم يعرفه الحافظ العجاوني ، واورد السخاوي حديث : « ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » برقم 10 ، وقال : رواه ابو داود والحاكم ، واورد حديث : « لا احب الذواقين من الرجال ، ولا الذواقات من النساء » برقم 1281 ، وقال : رواه الطبراني عن ابي موسى مرفوعا ، والديلمي والدارقطني عن ابي هريرة ، اما النص الذي اوردته القاضي عياض وفيه « .. الذي اراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقد ،،، » فغير معروف .

لكن وردت صفة التغافل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الترمذي في الشمائل عن سيدنا علي رضي الله عنه في صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتغافل عما لا يشتهي » . (شرح جسوس 2 : 184) .

قال القاضي أيده الله :

والاولى أن يكون ذكر « فهد » هاهنا «175» على معنى الاستعارة ، جعلت كثرة تغافله كالنوم والله أعلم ، لا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره ، وهذه كلها خلق مدح «176» وهي راجعة الى ما أشار اليه أبو عبيد ، ومما يبينه قولها « ولا يسأل عما عهد » ، وكثيرا ما وصفت العرب الكرماء والسادة بالتغافل والحياء في بيوتهما وأنديتها ، قالت ليلي الاخيلية :

تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

وقال الآخر :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقال آخر :

كريم يغض الطرف دون حيائه

ويدنو وأطراف الرماح دوائر «177»

وأما كثرة انوم فمذموم ، وقلته محمودة ، دالة على اليقظة والذكاء ، قال الهذلي :

فانتت به حوش الفؤاد مبطننا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

«175» هاهنا : س ، هذا : ز م ك .

«176» مدح : س ، تمدح : ز .

«177» دوائر : م س ، دوان : ز ك .

وقال الآخر :

وأفضل أبناء الرجال المسهد

وقال عبد الملك بن مروان لمعلم بنييه : علمهم العوم ، وخذهم
بقلة النوم .

قال الفقيه القاضي رضى الله عنه :

وقد يظهر لى فيه وجه آخر مع صحة ما ذكروه ، وبيانه :
وذلك أنهم بنوا قولها « فهد » على الاشتقاق من خلق الفهد والمثل
المضروب به فى النوم ، وفى الفهد أيضا مثل آخر ذكره أصحاب
الامثال كما ذكروا الاول وهو قولهم : اكسب من فهد ، قال أبو
عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهاني فى شرح الامثال : وذلك
ان الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد تجتمع على فهد فتسئ
فيصيد عليها كل يوم شبعها . قلت : فلا يمتنع أن يكون قولها
« اذا دخل فهد » أى اذا جاء المنزل جاءه «178» بالكسب
والخير والفوائد ، كما يفعل الفهد فى كسبه ، ولا فرق بين هذا
فى التأويل وبين الاول ، اذ كل واحد انما اشتق من خلق
الفهد ، وكانت العرب تتماذج بالكسب والاستفادة ، وفى حديث
ابى بكر : انك تكسب المعدوم ، ومثله فى وصف ورقة للنبي
صلى الله عليه وسلم ، وهذا أحد التأويلين فى هذين الحديثين .
وقال المساور بن هند من أناشيد ابى تمام :

تجرد «179» فيها متلف المال كاسبه

«178» جاءه : س ، جاء : ز .
«179» تجرد : ز م س ، تجود : ك .

فلا يبعد هذا التأويل عندي ، وان كان الاول أظهر واليق بالكلام ، لمطابقة لفظه ومعناه قولها « واذا » 180 « خرج أسد » ، كما سنبينه عند الكلام على ما فيه من البلاغة وأبواب الفصاحة ان شاء الله ، كما أن أيضا قولها : « ولا يسأل عما عهد » من معنى « اذا دخل عهد » على التأويل الاول ، وفيه مطابقة ومماثلة لتأويل الثانى ، فحمل كل فقرة على معنى مفرد ، أولى بالكلام الفصيح وأبعد .

عربيته :

قولها « فهد » : فعل مشتق من اسم « 181 » الفهد لاتصافه بوصفه كما ذكرنا ، مثل قولها « أسد » فعل مشتق من الاسد أيضا كذلك ، وكثيرا ما أتت افعال « 182 » التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل ، وقد يحتمل أن يقال ان فهد هاهنا اسم ويكون خبرا مبتدأ مضمرا أى فهو فهد ، كما قال عليه السلام : « الحمو الموت (51) » ، وكما تقول : زيد الاسد ، أى مثل الاسد ، ويكون كسر الهاء هاهنا كما قالوا فخذ وفخذ ، أو لمناسبة قولها فى السجع الآخر ، وهو

« 180 » قولها واذا : ز ، وقولها اذا : س ، والصواب الاول .

« 181 » اسم : ز ، — : م ك س .

« 182 » افعال : ز ك ، — : م س .

(51) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرايت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » . (مسند الامام احمد 4 : 149 ، 153) . ورواه الترمذي فى الرضاع والدارمي فى الاستئذان .

باب من الاتباع يتقدم لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ، ومنه قوله عليه السلام : « ارجعن مأزورات غير مأجورات (52) » وحقه موزورات ، ولكنه حمله على لفظ « مأجورات » لتحسين الكلام ، وللعرب في هذا الباب مذهب معلوم ، ويعضد هذا التأويل انه قد روى ففهد وفأسد ، وقد يحتمل أن تكون هاتان اللفظتان اسما للفاعل من فهد وأسد ، فكثيرا ما جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كخرج وخجل ووجل وعم وشرق وبرق وفرق ، في أمثلة كثيرة ، لكن حمل ذلك على فعلين وحذف الفاءين أفصح ، وتقابلهما اسهل للكلام وأسمح .

معناه :

وصفته بأنه كريم الطبع ، نزه «183» الهمّة ، حسن العشرة ، لين الجانب في بيته ، ليس يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت الى جانب البيت ، ولا يطلب ما فقد منه وعهد فيه من طعام أو مأكول وشبهه ، ولا يسأل عنه لسخاوة نفسه ، وسعة قلبه ، فكأنه ساه أو نائم أو غافل عن ذلك ، فشبهته بالفهد لذلك ، وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق ، وقد قيل : العاقل : الفطن المتعادل ، وبينت ذلك بقولها : يأكل ما وجد ، فعرفت أنه نزيه «184» الهمّة ، قنوع النفس ، ليس ببرم ولا لعموظ ، (53) ، ثم أكدت ذلك كنه من أوصافه بقولها : ولا يرفع اليوم

«183» نزه : ز م س ، نزيه : ك ، وكلاهما سواء .

«184» نزيه : س ، نزه : ز م .

(52) رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز .

(53) رجل لعمظ ولعموظ اي حريص شهوان ، واللعموظ : المتطفل ، والنهم : الشره ، والذي يخدم بطعام بطنه . (من لسان العرب) .

لغد ، أى انه ممن لا يعد الزاد ويدخره ، بل يفنيه من يومه ،
ويجود به لحينه ، ويوسع عيشة من معه فى جميعه ، وقد كانت
هذه خاق نبينا صلى الله عليه وسلم وأشرف العرب ، وقد نهى
صلى الله عليه وسلم عن خلافها ، فروى عنه أنس : انه كان
صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد ، حدثناه القاضى «185»
أبو على الحسين بن محمد الصوفى ، قال : حدثنا الامام أبو
القاسم البلخى يعرف بابن شافور ، قال حدثنا القاضى أبو على
الوخشى وغيره ، قالوا حدثنا أبو القاسم الخزاعى حدثنا
الهيثم بن كلاب «186» الشاشى حدثنا أبو عيسى الترمذى
حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس
وروى عنه أن خادماً له خبأ له شيئاً من طعامه فأتاه به من
الغد ، فقال له : « ألم أنهك عن هذا ؟ ان الله يأتى برزق غد »
(54) ، وقد تقدم حديثه فى ذكر على ، وقد قال النابغة فى هذا
المعنى :

واست بخابىء أبدا طعامى حذار غد ، لكل غد طعام

تنبيه :

ان قيل : كيف يصح ما تأولته من هذه الاحاديث ان خلق

«185» القاضى : س ، قاضى القضاة : ز .

«186» كلاب : س ، كليب : م .

(54) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : اهديت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر ، فأطعم خادمه طائراً ، فلما
كان من الغد اتته به ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ألم أنهك ان ترفعى شيئاً ؟ فان الله عز وجل يأتى
برزق كل غد » . (مسند الامام احمد 3 : 198) .

نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها : « ولا يسأل عما عهد »
على التفسير الذى ذكرته ؟ وفى الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم وقد أتى بادم من ادم البيت فقال : « ألم أر برمة فيها
لحم ؟ » فقيل لحم تصدق به على بريرة ، فقال : « هو عليها
صدقة ، ولنا هدية (55) » ؟ فالجواب أن ما تأواته ظاهر بين من
الاحاديث المذكورة ، ونص بلفظه فى حديث على كما قدمناه ،
أما قصة بريرة فليس من هذا ، فان السؤال عما عهد قبل
والاستقصاء عنه والمناقشة فى حيث «187» ذهب هو المذموم ،
وأما استدعاؤه «188» الشئ الحاضر العتيد كحكم بريرة فليس
من هذا ، فكيف وقد يمكن أن يكون سؤاله عن لحم بريرة
واستدعاؤه ليبين لهم هذه السنة التى هى احدى سنن الحديث ؟ ،
وفهم عنهم صلى الله عليه وسلم اذ قدموا له «189» ادم
البيت وتركوا سيد الادم «190» اللحم ، وهو حاضر ،
انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم عاما فى مثل هذا ،
ودل أن هذا قصدهم احتجاجهم عليه بأنه صدقة ، فبين لهم صلى
الله عليه وسلم سنته لذلك . وقد يحتمل أن يكون قولها « ولا
يرفع اليوم لغد » كناية عن الحزامة والاخذ بالجد فى أمره ،
وترك التوانى فيما يهم به ، ووصفته على التأويل الآخر

«187» حيث : س ، خباء ما : ز .

«188» استدعاؤه : س ، استدعاء : ز م .

«189» له : ز ك ، اليه : م ، - : س .

«190» الادم : س ، الادم : ز م .

(55) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه والدارمي
والامام احمد . وفى صحيح مسلم فى كتاب الزكاة انه لحم بقر .

بالاكتساب والاستفادة والوفر والتوسعة على أهل منزله ، ثم وصفته أيضا بالشجاعة اذا خرج للناس وبأشر الحرب فكأنه الاسد الذى يخافه كل سبع ، ويقولها « اذا خرج اسد » ، ثم مدحها له بقولها « اذا دخل فهد » على التأويل المشهور ، اذ قد كان يظن أن ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة مهانة وفسولة ، ولكن لما أبانت أنه خارجا بخلاف هذه الصفة بان أن ذلك منه سجية كرم وشمائل نزاهة همة وحسن عشرة .

وأما رواية من رواه « اذا خرج فهد واذا دخل أسد » فهو وهم بخلاف سائر الروايات المشهورة الصحيحة ، اذ ذلك وانقلاب المعنى الذى فسره به من تقدم ، الا أنه قد يظهر لى فيه وجه ، وهو أن يكون معنى « اذا خرج فهد » تصفه فى الاندى بالرزانة والسمت والحياء والحلم والاغضاء تشبيها بالفهد ، وذلك أنه حيوان ثقیل كثير النوم ، على أنه سريع الوثب ، موصوف بالحياء ، وقلة انشره ، أو أنها وصفته اذا خرج بالكسب وانجعة كما قدمناه فى صفة « 191 » الفهد ، ويكون تأويل « واذا دخل أسد » أن تكون وصفته بالكرم فى بيته وبين أقاربه ، والتفضل والمواساة ، فالاسد يوصف بذلك ، وقالوا فى امثل : أكرم من أسد ، وذكر أصحاب الحيوان أن الاسد اذا افترس أكل بعض فريسته وترك لمن

« 191 » صفة : زس ، صفات : م .

يجتمع حوله من الوحوش باقياها «192» ، ولم يهاوشهم «193» عليها ، ولا دافعهم عنها ، وانه قل ما يعرض لصبي ولا لامرأة ولا نائم ، كرم «194» طباع ، ونزاهة نفس ، فتقول على هذه الرواية : انه داخلا كالاسد كرم اخلاق ونزاهة نفس ، وانه خارجا كانفهد تغافلا واغضاء وسمتا وحياء وجمعا للمال وكسبا ، وهذه مادحة زوجها على رأى الجماعة ، وهو ظاهر مذهب عروة بن الزبير فى سرد الذامات بجهة ، وقد حمل ابن الانبارى بعض تفسير ابن أبى اويس على الذم وبعضه على المدح ، وهو محتمل أن يكون مدحا كله أو ذما كله أو منقسما بينهما ، فان تفسيره « فهد » بوثوبه وثوب الفهد عايتها محتمل كما ذكرناه ، وتفسيره « أسد » بالجرأة على الناس والاقدام محتمل للمدح والثناء ان أرادت به الدفاع وحضره «195» الهيجاء ، ومقتضى للذم ان كانت أرادت به العداء والظلم «196» وان كان من العرب من يمدح أيضا بهذا الوصف اذ هو دليل عزة الجانب وعدم الخوف .

-
- «192» باقياها : س ، والبهائم : ز ، — : م ك .
«193» يهاوشهم : م س ، يهاوشهم : ز ك ، والمعنى لم يقاتلهم وينازعهم .
«194» كرم : ز م س ، فى كرم : ك .
«195» وحضره : ز ، وحضرة : س .
«196» العداء والظلم : ز ، الظلم : س .

غريب قول السادسة

قولها « اذا أكل لف » ، اللف في الاكل الاكثار منه ،
والتخليط من صنوفه ، واستقصاؤه حتى لا يبقى منه شيء
« 197 » ، ومن روى « رف » فمعناه الاكثار من الاكل ، حكاه
الهروى ، ويقال منه رف يرف ، ومن روى « اقتف » فمعناه
قريب من هذا ، قال صاحب العين : القفان الجماعة ، وقفان كل
شيء جماعه واستقصاؤه .

قال الفقيه القاضى أدام الله عزه :

ومن هذا سميت القفة ، لجمعها ما جعل فيها وضمه ، قال صاحب
الجمهرة : القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزاها وشبهه ، ومنه
— والله أعلم — سمي القفاف الذى يسرق بكفه ، لانه يجمع
ويضم ، قال الشاعر :

فقف بكفه سبعين منها

« والاشتقاق » فى الشرب استقصاء ما فى الاناء ، مأخوذ
من الشفافة وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربها صاحبها
قليل اشتفها ، ومن رواه « استف » بالسين المهملة فمعناه قريب
من الاول فى الاستقصاء والاكثار . وقولها « واذا

« 197 » شيء : س ، شيئا : ز .

اضطجع التف « تعنى رقد ناحية ولم يياثرها ، ويروى رقد
وهجع ، وهما بمعنى واحد ، وقولها « يولج الكف » : أى يدخل
يده « ليعلم البث ، الحزن ، أى فيعلم ما أهتم به ويحزننى
أمره ، وسنبين معناه بعد ، قال ثابت : والبث أيضا الامر الذى
لا يصبر عليه ، والبث الشكوى ، قال الله تعالى (انما أشكو بثى
وحزنى الى الله «198») وفيه لغتان : بثت وأبثت ، ومنه
قول بعض العربيات لقد ابثثك مكتومى وأطعمتك مادومى ،
أى أخبرتك بسرى ، ومن رواه « اللبث » فمعناه ان لم يكن
وهما الإقامة وانصبر عليه ، وقولها « واذا ذبح اغتث » فمعناه
عندى : اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من نعمه ، وقد فسرنا
أن الغث الهزيل .

معناه :

هذه امرأة ذمت زوجها فوصفته أولا باللؤم والبخل والبرم
والنهامة والجراسة ، وسوء المعاشرة
والمرافقة ، وأنه لا يبقى فيما يأكل ويشرب ولا يذر ، ويجمع
كل ما يجده من ذلك ويحطمه ، وليس هذا من مكارم الاخلاق ،
والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب ، وتمدح بقلتهما ،
قال الشاعر :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروى شربه الغمر

وقال :

لا يأتري لما فى القدر يرقبه ولا تراه أمام القوم يقتفر

«198» سورة يوسف ، الآية 86 .

وقال آخر يهجو بضده :

ألستم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر
وفي صفة نبينا عليه السلام أنه كان يجتريء بالعلقة (56) ،
قال الشاعر :

واجتري من كفاف القوت بالعلق
العلقة البلغة ، وقد قيل : لكل كريم فضله ، وقيل :
وللارض من كأس الكرام نصيب

ويروى عن جرير بن عبد الله أنه قال لبنيه : يا بني اذا شربتم
فأسئروا ، أى اتركوا فى الاناء سؤرا ، وهو بقية
الشراب . وفى حديث آخر : فانه أجمل . وروى عن النبى صلى
الله عليه وسلم : « لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر » ،
وفى المثل : ليس الرى عن «199» التشاف ، ثم أكدت وصفه
باللؤم بأنه اذا نزل الاضياف به «200» واضطر للذبح «201»
لهم عدل عن خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديئه وما لا خير
فيه . وهو قولها : « اذا ذبح اغتث » ، وهذه «202» نهاية فى

«199» عن : م ك ، فى : س .

«200» الاضياف به : س ، به الاضياف : ز م .

«201» للذبح : س ، الى الذبح : ز م .

«202» وهذه : س ، وهذا : ز م .

(56) روى البخارى ومسلم واحمد عن عائشة رضى الله عنها حديث
الافك ، وفيه قولها : وكان النساء اذ ذاك خفافا لم ينقلن ، ولم
يفغشن اللحم ، وانما يأكلن العلقمة من الطعام .

اللؤم ، وكانت عادة أجواد العرب ضد هذا من اختيار جياذ
المال للاضياف كما قال بعضهم :

فاعضضته الطولى سناما ، وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير
وقال آخر أبضا :

تشقى به كل مربع مودعة عرفاء يشقو عليها تامك «203» سنم
وقال آخر أيضا :

إذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
وقال آخر يصف ناقة ذبحها «204» للضيفان :

فصادف السيف منها ساق متلية جلس فصادف منه ساقها عطا
زيافة بنت زياف مذكرة لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا

ثم وصفته بعد بقللة الاشتغال بها ، والتعطيل لها ، وأنه إذا نام
التف في ثيابه ولم يضاجعها ، ولا أدناها من نفسه ، وأنه
لا همة له في المباشعة ، التى هى من ممداح الرجال ، فان
العرب كانت تتمداح بالقوة على الجماع ، لانها دليل صحة
الذكورية ، وتذم بضده كما قالت الاخرى « عياياء » ، واختلف
المتأولون في معنى قولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » ، فذهب
أبو عبيد الى أنه كان بجسدها عيب أو داء يكرثها ويحزنها ،
فكان لا يدخل يده في ثوبها ليلمس ذلك العيب ، فيشق عليها ،

«203» تامك : زك ، تانك : م وهو غلط ، والتامك : السنام .

«204» ذبحها : س ، عقرها : زم ك .

فان هذه خصلة مدحته بها ، ورد القتبى والخطابى وابن حبيب وابن الاعرابى وغيرهم عليه هذا القول ، وقالوا انما شكت هذه الخصلة من زوجها ، وذمته بذلك ، واستقصرت حظها منه ، وانه لا يضاجعها ، ولا يدنو منها ، وينام ناحية عنها ، كما قالت : « واذا رقد التف » ، ولا يدينها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها ما يكون من الرجال لازواجهم ، فيعلم بثها بذلك ، ومحبتها له ، وحزنها لعدم ذلك منه لها ، وقلة تفقده لحاجته منها ، قالوا : وليس وجه الحديث ما ذهب اليه أبو عبيد من أنها مدحته بالغفلة عن داء كان بجسدها ، لأنها قد ذمته في صدر كلامها ، كما قال ابن الانبارى ، ولا حجة على أبى عبيد في هذا ، لان النسوة كن تعادى على أن لا يكتمن شيئاً من أخبار أزواجهن ، فمنهن من وصت زوجها بالخير في جميع أموره ، ومنهن بضد ذلك ، ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر .

قال الفقيه القاضى وفقه الله :

ويؤيد ما ذهب اليه القتبى واصحابه من معنى الذم ما أشار اليه عروة بن الزبير في بعض طرق هذا الحديث فانه قال في خمس سردهن «205» على التوالى في حديثه ، هذه منهن ، فقال : هؤلاء خمس «206» يشكون ، حدثناه أبو بكر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه ، قال : حدثنا أبو الحسن ابن

«205» سردهن : زك ، شرحهن : م س .

«206» خمس : ز ، خمسة : س .

أيوب ، حدثنا أبو علي بن شاذان ، حدثنا أبو عمرو ابن السماك ، حدثنا حنبل بن اسحاق ، حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة المنقري ، حدثنا سعيد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أخيه ، عن أبيه عروة . وأيضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل في الكلام والمستحسن في الكناية ، ومثله في حديث عبد الله بن عمرو أن أباه زوجه امرأة قرشية ، فشغل عنها بالعبادة ، فدخل عليها عمرو بن العاصي فقال لها كيف وجدتته ؟ قالت : كخير الرجال من رجل ، لم يفتش لنا كنفنا ، فهذه الكناية بمعنى تلك ، ومثله في حديث عائشة ووصفت رجلا بالعفّة فقالت : ما كشف عن «207» كنف أنثى قط ، أى انه لم يكن ممن يشتغل بالنساء ، ولا له فيه مذهب ، فعبرت عن ذلك بكشف الكنف ، وهو الثوب الذى يكتفها أى يسترها ، ومنه قوله : فى كنف الله وحفظه ، أى ستره ، حدثنا بحديث عبد الله ابن عمرو : أبو الحسين «208» سراج بن عبد الملك «209» الحافظ بقراءتى عليه قال : حدثنى أبى ومحمد بن محسن الفقيه ، قالوا حدثنا القاضى يونس بن عبد الله ، قال : حدثنا أبو الفضل الصقلّى ، أخبرنا ثابت بن قاسم عن أبيه قاسم بن ثابت وجدّه ثابت ، قالوا : حدثنا موسى بن هرون ، حدثنا موسى بن الصباح ، أخبرنا هشيم ، عن حصين ومغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو بالقصة ، ومثل قول هذه المرأة قول أخرى

«207» عن : س ، من : ز م .
«208» أبو الحسين : س ، ابن الحسين : ز وهو تصحيف .
«209» عبد الملك : ز ك ، عبد الله : س .

لزوجها تعبيره : ان شربك الاشتفاف ، وان ضجعتك الانجعاف ،
وان شملتك الالتفاف ، وأنشد القتبى لاوس بن حجر في هذا :
وهبت الشمال البليل واذا بات كميع الفتاة ملتفعا
أى ملتفا ناحية .

قال القاضي أيده الله :

وقد يحتمل عندي قول هذه المرأة « ان شملتك الالتفاف » ،
وقول صاحبة أم زرع « واذا رقد التف » معنى غير هذا ، وهو
أن يريدوا ضعف أزواجهما ، وعجزهما ، وقلة نفعهما وحمايتهما ،
لأنه لا ينام هذه النومة الا العاجز القليل الغناء ،
ولهذا ذموا النؤوم ومدحوا ضده ، كما تقدم ، ولهذا
سموا الرجل الضعيف العاجز القليل
الغناء : زميلا وزملا وزملا ، وقال بعضهم : أصله من التزمل ،
أى انه اذا نام تزمل في ثوبه ، وتلفع
في دثاره ، ولم يهتم «210» بحراسة
شأنه ، ولا حماية ذماره ، ولهذا قالت له هذه المرأة «211» من
صواحب أم زرع «212» في آخر كلامها وذمها : « وانك لتنتام
ليلة تخاف »213» ، وقالت التاسعة من صواحب أم زرع
تمدح بضده : « لا ينام ليلة يخاف » ، وقال الشاعر :

فلا تصلى بكل فتى نؤوم اذا أمسى يعد من العيال

-
- «210» يهتم : س ، يعن : ز .
«211» المرأة : م ك ، — : ز س .
«212» من صواحب ام زرع : س ، — : ز م ك .
«213» تخاف : ز م س ، يخاف : ك .

وقيل أن معنى قولها « لا يولج الكف » أي أنه لا يتفقد أمورى ،
وما يهمنى من مصالحى ، وهو كقولهم : ما أدخل يده فى الأمر ،
أي لم يشتغل به ولم يتفقدده ، فضربت المثل بذلك ، قاله أحمد
بن عبيد بن ناسح ، ونحوه عن ابن أبى اويس .

تفسير قول السابعة

قولها « عيايا » وفي الرواية الاخرى « أو غيايا » هو شك من الراوى ، قال أبو عبيد : هكذا يروى بالشك .

تنبيه :

قال القاضى أيده الله :

الاكثر روايته بغير شك ، وانما رواه بالشك أصحاب عيسى بن يونس عنه وعقبة بن خالد السكونى ، وبين هشام بن عمار فى حديثه هذا عن عيسى أن الشاك فيه عيسى ، وسائر الرواة يقولونه بالعين المهملة دون شك .

غريبه :

قال أبو عبيد : الصحيح « عيايا » بالعين المهملة ، فأما بالمعجمة فليس بشيء ، والعيايا من الابل : الذى لا يضرب النوق ، وكذلك فى الرجال ، كأنه عيى عن ذلك ، قال الهروى : العيايا العيى الذى تعييه مباحضة النساء ، وأراه مبالغة من العى فى ذلك ، قال الشاعر :

مغتلّم الوجه عيايا سائره

وقال ابن أبى اويس : « عيايا طباقاء » عيى مطبق عيا ،
لا يتصرف ولا يتوجه لوجه ، قال ابن السكيت : العيايا
العيى الذى لا يهتدى لوجه .

تنبيه :

قال القاضى وفقه الله :

وقول ابى عبيد ان الغيايا بالغين المعجمة ليس بشىء ،
ولم يفسره ، وتابعه على ذلك سائر الشارحين ، فقد ظهر لى فيه
معنى صحيح ان شاء الله فى اللغة ، بين فى التأويل ، وهو أن
يكون مأخوذا من الغياية وهى كل ما أظلم الانسان فوق رأسه
من سحاب وغيره ونحو ذلك ، ومنه سميت الراية غاية ، فكأنه
غطى عليه من جهله ، وسترت عنه مصالحه ، وهو كقولهم :
طباقاء ، قال ابن الاعرابى : الطباقاء هو المطبق عليه حمقا ،
قال ابن دريد : هو الذى تنطبق عليه أموره فلا يهتدى لوجهها ،
قال الاصمعى : هو الذى أموره منطبقة عليه ، ونحوه عن
يعقوب ، وقال أبو عبيد : هو العيى الاحمق القدم ، وكل هذا
قريب بعضه من بعض ، فلا فرق اذا بين قولها « غيايا »
بالغين و « طباقاء » « 214 » ، فلا يصح اذا قول من قال : ان
الغين ليس بشىء ، وقد يمكن أن يكون أيضا مأخوذا من الغى ،
وهو الانهماك فى الشر ، أو من الغى وهى « 215 » الخيبة ، قال
الله تعالى (فسوف يلقون غيا « 216 ») قيل خيبة ، وقيل غير

« 214 » وطباقاء : ز س ، وعيايا : ك .

« 215 » وهى : س ، وهو : ز .

« 216 » سورة مريم ، الآية 59 .

هذا ، كأنه خائب من كل فضيلة ، وقال ابن ولاد (57) : فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر ، وقال الخليل (58) : الطباقاء : الاحمق ، والطباقاء البعير الذى لا يضرب ، وقال أبو عبيد عن الاصمعى : العيياء الطباقاء من الرجال والابل : الذى لا يضرب ، وحكى أبو على عن بعضهم : الطباقاء من الرجال الثقيل الصدر الذى يطبق صدره على صدر المرأة عند المباشعة ، وهو من مدام الرجال عند النساء ، ويروى أن أم جندب قالت لامرئ القيس وكان مفركا للنساء : انك ثقيل الصدر ، خفيف العجرة ، سريع الاراقة ، بطيء الافاقة .

تنبيه :

ان قيل يرد هذا التفسير الذى ذكرته ما تقدم من تفسير عيياء انه العى عن المباشعة فكيف يوصف مرة بالعى عنها «217» ومرة بثقل الصدر «218» فيها ؟ قيل : هذا لا يلزم اذ قد يكون عيياء «219» فى حين ، طباقاء فى حين ، وقد يمكن أن

-
- «217» عنها : م ك ، — : ز س .
«218» الصدر : كذا فى « لسان العرب » ، والصدر من الانسان ما اشرف من اعلى صدره ، وهي فى النسخ : « الصدر » .
«219» عيياء : س ، عييا : ز م ك .
-

- (57) هو أبو العباس احمد بن محمد بن الوليد ولاد ، النحوى التميمى المصرى ، له كتب منها « المقصور والمدود » و « الانتصار لسيبويه من الجرد » ، توفى سنة 332 هـ .
(58) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عبد الرحمن ، الفراهيدى الأزدي ، نحوى لغوى عروضى ، بل هو واضع علم العروض ، صنف كتاب « العين » المشهور فى اللغة ، على الراجح ، اذ من اللغويين من نسب كتاب « العين » لغيره ، وله كتب اخرى ، توفى سنة 175 هـ .

يكون اطباقه صدره من سبب العى والعجز لمعالجته «220»
ما لا يقدر عليه ، ومعاناة ما قد أعياء ، وقولها « كل داء له
داء » أى كل ما تفرق فى الناس من الادواء والمعائب
اجتمع فيه ، وقولها « شجك أو فلك ، أو بجك » ، أى جرحك ،
قال الهروى : الشج فى الرأس خاصة ، والفلى فى سائر الجسد ،
وقال ابن دريد : بج القرحة اذا شقها ، وكل شق بج ، قال
الراجز :

بج المزاد موكرا موفورا .

وقال الزبيدي «221» : البج الطعن ، قال ابن الانبارى :
يقال : فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ، ونحوه عن ابن أبى
اويس ، ويقال كسرك بخصومته وعذله .

عربيته :

قولها « حماقاء طباقاء » من ابنية المبانغة ، وكذلك قولها
عياياء وغيايياء ، وهى من الكلمات التى على وزن فعلااء من
الابنية التى اُحقت فيها الالف ، ومثالها فى الاسماء ثلاثاء
وعجاساء وبراكاء .

ممناه :

وصفته بالحمق ، والتناهى فى جميع النقائص والعيوب ،

«220» لمعالجته : س ، لمعالجة : ز ك .
«221» الزبيدي : ز ك ، الزهري : س .

وسوء العشرة مع الالهل؁ وعجزه عن حاجتها؁ مع ضربها
وأذاه إياها؁ وأنه إذا حدثته سبها؁
وإذا مازحته شجها؁ وإذا غضب أمشجها في رأسها أو كسر
عضوا من أعضائها؁ وهو معنى « فلك »؁ ومنه قيل للمنهمزمين
« فل »؁ أو شق جلدها أو طعنها؁ وهو معنى « بجك »؁ أو
جمع ذلك كله لها؁ من الضرب والجرح وكسر الأعضاء؁ أو الكسر
بالخصومة؁ وموقع الكلام؁ وأخذ مالها .

غريب قول الثامنة

قولها « زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ،
الزرنب ضرب من الطيب معروف عند العرب قال الشاعر :
يا بابي أنت وفوك الاثنب كأنما ذر عليه الزرنب
أو زنجبيل فهو عمرى «222» أطيّب

واختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخرين في صفته ، فقال بعضهم : هي شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام ، لا تثمر ، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة ، يشبه ورق الخلاف ، ورائحته كرائحة الأترج ، وتستعمل ورقه وقضبانه ، وقال أكثرهم انها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة ، وقال بعضهم : تشبه ورق الطرفاء صفراء كرائحة الأترج من الأفواه الطيبة ، ولهذا استعملها العطارون ، وتخلط بالطيب لعطريتها ، وتسمى أرجل الجراد لشبهها بها ، وليست من نبات أرض العرب وان «223»
ذكروها .

«222» عمرى : زم ، عمر : ك ، عندي : س .

«223» وان : س ، وان كانوا : ز ك .

ممناه :

هذه تصف زوجها بلين الجانب للاهل ، وحسن الخلق والعشرة معهن «224» ، كمس الارنب لليانة مجسها ، ولدونة وبرها ، أما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تأويلات : احدها أنها أرادت بذلك طيب ثنائه في «225» الناس وانتشاره ، والثاني أنها أرادت طيب جسده وعطر أردانه ، والثالث أنها أرادت لين عريكته ، وحسن خلقه ، فيكون بمعنى الفصل الاول . ثم وصفته بالشجاعة والحزامة وأكدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بقولها : « وأغلبه والناس يغلب » ، وهذا مثل ما وقع في الحديث ان الاعشى الحرمازى المازنى أنشد النبى صلى الله عليه وسلم أرجوزة يشكو فيها امرأته ، قال في آخرها .

وهن شر غالب لمن غلب
فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بذلك ويقول وهن
شر غالب لمن غلب (59) ، ومنه قول معاوية : يغلبن الكرام
ويغلبهن اللئام .

«224» معهن : زك ، لهن : س .

«225» في : زك ، من : م س .

(59) أخرجه الامام احمد في مسنده ، في ضمن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن الاعشى الحرمازى عبيد الله بن الاعور (6 : 201 — 202) .

غريب قول التاسعة

« رفيع العماد » أصله عماد البيت ، وهى العيدان التى
تعتمد بها البيوت ، وجمعه عمد وعمد ، وأعمدة ، وقولها « طويل
النجاد » النجاد : حمائل السيف ، والنادى : مجتمع رجال
الحى ومجلس مشورتهم وحديثهم ، ويقال ندى ومنتدى ، قال
الله تعالى (فى نادىكم المنكر «226») وقال (واحسن
نديا «227») .

معناه :

قولها « رفيع العماد » وصفته بالشرف فى نسبه ، والسؤدد
فى قومه ، واستعارت لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العماد
من بيت المسكن المرئية ، كما قال :
فأما بيتكم ان عد بيت فطال السمك واتسع انفاء
وأما اسه فعلى قديم من العادى ان ذكر البناء
وقد قيل فى قول السموءل بن عادىاء :
لنا جبل يحتله من نجيره منيف يرد الطرف وهو كاييل

«226» سورة العنكبوت ، الآية 29 .

«227» سورة مريم ، الآية 73 .

رسا اصله تحت الثرى ، وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

انما عنى به شرفهم وحسبهم ، وقيل : أراد حصنه الفرد
الاباق ، وقد قيل ان معنى قولها « رفيع العماد » على ظاهره ،
وانما أرادت عماد البيت نفسه ، اذ هى عادة بيوت
الاشراف وأهل السؤدد ، وقال ابن ابى اويس :
أرادت أنه رفيع البيت ، طويل من الرجال ، وقد روى :
« طويل العماد » ، فيكون طوله اما لطول ساكنه وامتداد
قامته ، كما أشار اليه ابن أبى اويس ، أو لكرمه واطهار بيته
ليراه الوارد ، ويهتدى برفعة سمكه له القاصد «228» ، أو
لجلالة مكانه ، وسعة ثرائه ، وحاجته الى اعلاء سمائه «229» ،
وتوسعة أرجائه ، ليحمد لكثرة «230» خيره ، وجماع
غاشيته ، ومنتابى بره ، الا ترى قول أم زرع « بيتها فساح » ،
وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء :

طويل النجاد ، رفيع العما د ، ساد عشيرته امردا

وعليه حمل ثعلب قول الاعشى :

طويل النجاد ، رفيع انعما د ، يحمى المضاف ، ويعطى الفقير

وقد وصف أبو الطيب خيمة سيف الدولة فقال :

وتركز فيها القنا الذبل

«228» برفعة سمكه له القاصد : س ، بارتفاع سمكه القاصد له : ز .

«229» سمائه : س ، بنائه : ز .

«230» لكثرة : ز ، كثير : س .

وذهبوا بضد هذا ، فقال بعضهم :
إذا دخلوا بيوتهم أكبوا على الركبات من قصر العماد

وقال آخر :

قصار البيوت لا ترى صهواتها من اللؤم جثامون عند الثرائد
وقد يكون تريد بالعماد البيت ، ومعنى رفعتة اشرافه لموضع
مرتفع ، ليقصده الاضياف ، ثم وصفته بالكمال في صورته ،
وامتداد «231» القامة في بنيته ، وعرضت لذلك بقولها :

« طويل النجاد » فان الطويل القامة يحتاج الى تطويل
نجاهه ، وهذا مما تمدح «232» به الشعراء ، وتذم بضده ،
قال عقيل بن علفة «233» المدنى «234» :

طويل نجاد السيف وهم كأنما
تصول «235» اذا استنجدته بقبيل

وقال أبو خراش :

طويل نجاد السيف ليس بحيدر

اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

وقال مروان بن أبى حفصة :

قصرت حمائله عليه فقلصت

-
- «231» وامتداد : ز ك ، وامتداد : م س .
«232» تمدح : س ، تتماذج : ز ، تماذج : ك .
«233» علفة : ك س ، علفة : ز وهو تصحيف .
«234» المدنى : ك ، - : ز س .
«235» تصول : س ، تطول : ك .

ولقد تأنق قينها «236» فأطالها

وقيل معنى قولها « رفيع العماد » أى طويل ، قال المبرد : يقال رجل طويل العماد اذا كان معمدا «237» طويلا ، ومنه حديث يزيد بن أبى سفيان عند موته : قد علمت — يعنى قريشا — أنا أصبحهم وجوها ، وأطولهم عمودا ، وأسعدهم جدودا ، فعلى هذا يكون « طويل النجاد » تأكيدا لما تقدم ، وفى ضمنه أنه صاحب سلاح وشكة (60) ، فلهذا اقتضت من دلائل طوله على طول نجاده ، دون غير ذلك من ملابسه ، ثم وصفته بالكرم فى سجيته ، والجود بذات يده وكنت عن ذلك بقولها « عظيم الرماد » ، وذلك ان من كثر ضيفانه ، ونحره لهم واشتواؤه وطبخه اطعمتهم كثر ناره ، وكثر رماده ، فهذا تأويل حسن ، وقد أكثرت فى هذا انشعراء فقال بعض العرب وهو زياد بن حمل من أناشيد أبى تمام :

كم فيهم من فتى حلو شمائله جم الرماد اذا ما أحمد البرم
وفيه تأويل آخر ذهب اليه الخطابى : ان تكون ناره لا تطفأ
ايلا ولا نهارا ، ليهتدى اليه «238» الضيفان ، كما قال الشاعر :
متى تأتته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

«236» قينها فأطالها : ز م ك ، قيلها فطالها : س وهو تصحيف .

«237» معمدا : ز م ك ، معمرا : س وهو تصحيف .

«238» اليه : م س ، له : ز ك .

(60) الشكة (بكسر الشين وفتح الكاف المشددة) : هى السلاح ،
وقيل : الشكة ما يلبس من السلاح .

وكانت عادة أجواد العرب وقود النيران في ظلم الليل ، على
مشارف الارض لينتابها الضيفان ، وربما رفعت على الايدي
منها الاقباس ، قال الشاعر :

ومستنجح بات الصدى يستنبيه

فتاه ، وجوز «239» الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا ضرامها تليح الى السارى هلم الى القدر
وقال الآخر :

ومستنجح قال الصدى مثل قوله حضأت له نارا لها حطب جزل
وقمت اليه مسرعا فغنمته مخافة قومي أن يفوزوا به قبل

حضأت وحضوت النار اذا حركت جمرها ، وقال الآخر :

وانى لادعو الضيف بالضوء بعدما

كسى الارض نضاح الجليد وجامده

ثم أكدت ذلك بقولها « قريب البيت من الناد » ، تريد بذلك أنه
ينزل بين ظهرائى الناس ، ومجتمع الحى ، ومقصد الوارد
وطالب الضيافة ، لتكثر أضيافه ، ولا يتوارى بأطراف الحل
وأغوار المنازل ويبعد عن سمت الوارد ،
فرارا من القاصد ، وملاذا من الطارق ، لئلا
يهتدوا الى مكانه ويستبعدوا موضعه ، فيصدفون عنه ،
ويميلون الى غيره ، قال زهير :

يسط البيوت لان يكون مظنة من حيث توضع جفنة المسترشد

«239» وجوز : ك ، وجوز : م س . والجوز وسط الشئ ومعظمه .

أى يتوسط البيوت ليكون معلما لضيافة طالب الرشد . وقال ابن
هرمة :

أغشى الطريق بقبتي ورواقها واحل فى نشز الربا فاقيم
وقال طرفة :

ولست بمحلال انتلاع لبيته ولكن متى يسترفد القوم ارفد
وقال آخر :

له نار تشب على يفاع «240»
إذا النيران ألبست القناعا

أى سترت بوقودها فى الغيطان وتلاع الاودية ، وقنعت بذلك عن
أن تظهر ، وفى قولها أيضا « قريب البيت من النادى » معنى
آخر دلت به على شرفه وزعامته ، وذلك أن الاندية انما يجتمع
فيها لقرب «241» أبيات السادة ومنازل الزعماء ، الذين يؤتى
اليهم ويجتمع بهم . وقولها : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام
ليلة يخاف » ، وصفته بكرم النفس وشبعها ، ونزاهتها
وايثارها ، وقالة همه بالاكل وشربه له ، وانه اذا أضيف واحتفل
فى اكرامه ، وأكثر من اطعامه ، لم يكن همه شبع بطنه ، واكتفى
بأيسره ، واقتصر على ما يقيم صلبه ، ويرد قوته منه ، ولم
يظهر الحرص على مال غيره وطعامه ، والجشع للاكثار من أكله

«240» يفاع : م ك ، بقاع : ز ، يفاع : س وهما تصحيف ، واليفاع :
ما ارتفع من الارض .
«241» لقرب : ز ، بقرب : س .

واغنتامه ، بل اخذ منه ما يسد جوعته ، وتجاوى عن الاكثار
منه ، وخاف معرفته ، كما قال حاتم :

لقد كنت اختار القرى طاوى الحشا
محافظة من أن يقال لئيم

وكما قال دريد :
تراه خميص البطن والزاد حاضر
كثير ويغدو في القميص المقدد

وكما قال الآخر :
أقسم بطنى فى بطون كثيرة
واحسو قراح «242» الماء والماء بارد

وقال حاتم :
اكف يدى عن أن ينال التماسها أكف صحابى حين حاجتنا معا
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
وانى لاستحيى رفيقى أن يرى
مكان يدى من جانب الزاد افرعا «243»
وانك مهما تعط بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال طرفة يمدح نفسه ، ويهجو غيره بضده :
ويشرب حتى يغمر المحض قلبه وان أعطه أترك لقلبي مجثما

«242» قراح : زك ، قداح : م ، اقداد : س وهو غلط .

«243» افرعا : م ، افرعا : زك ، افرعا : س .

وقال عروة بن الورد يذم «244» :
يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
وهذه كانت وصايا العقلاء ، وخلق الانبياء والحكماء ، وأشرف
العرب ، فقد حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الانماطى من
كتابه ، قال : حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد ، حدثنا أبو
محمد ابن النحاس ، حدثنا حمزة بن محمد الحافظ ، حدثنا
احمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن سلمة ، حدثنا ابن وهب ،
أخبرنى معاوية بن صالح ، قال سمعت يحيى بن جابر يحدث
عن المقدم بن معدى كرب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ما وعاء شر من بطن » ، وفى غير هذه الرواية : « ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا من بطن ، حسب المسلم اكالات — وفى غير هذه
الرواية : لقيمات — يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلاث
لطعامه ، وثلاث لشرابه ، وثلاث لنفسه » (61) ، ويروى عن
بعض الحكماء مثله ، وقال : ودع الثلاث للتفكر ، اشارة لقولهم :
البطنة تذهب الفطنة . ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه :
لا تأكل شبعاً فوق شبع ، فانك ان تقذمه للكلب خير لك من أن
تأكله ، ونحوه قول الطرماح أنشدته القتبى :

«244» عروة بن الورد يذم : ز ، عروة بن الورد : م ك ، غيره : س .

(61) عن المقدم بن معدى كرب الكندى قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ،
حسب ابن آدم اكالات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلاث طعام
وثلاث شراب وثلاث لنفسه » . (مسند الامام احمد 4 : 132)
والاكلة (بضم الهمزة) اللقمة . ورواه ايضا الترمذى فى ابواب
الزهد ، باب ما جاء فى كراهية كثرة الاكل .

يمسى ويصبح جوفه من قوته وبه لمختلف الامور مجار
ويبيت جلهم يكت كأنه وطب يكون اناء بالاسحار
وقال حميد الارقط :

أتانا فلم يعدله سحبان وائل بياننا وعلمنا بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العى لما ان تكلم باقل

وقد يحتمل أن يكون معنى « يضاف » أى ينزل به الضيفان ،
يقال ضفت الرجل اذا نزات به ، وأضفته أمانته الى ضيافتى ،
تقول : فهو لا يشبع لا يثارهم بما عنده وتقدمهم على نفسه ،
قال الله تعالى (ويوثر على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)
«245» ، وكما قال :

طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصا وحاديه على الزاد حامد
وقد جمع هذه المعانى بعض شعراء العرب فقال :

وزاد وضعت الكف فيه تأنسا
وما بى لولا انسة الضيف من أكل
وزاد رفعت الكف عنه تكرما
اذا ابتدر القوم القليل من البقل
وزاد أكناه ولم ننتظر به غدا
الا ان بخل المرء من أسوأ الفعل

«245» سورة الحشر ، الآية 9 .

كذا أنشده وفسره صاحب الحماسة ، وقد يصح أن يكون :
الثقل ، قال الحربى : الثقل طعام القرى ، وأنشد :

ما ذاق ثقلا بعد عام أول

ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية الذمار احيان الخوف ، وأوقات
الذعر ، وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينام ، بل يباشره
بنفسه ، ويلقاه بحشاشته ، كما قال :

غير زميل ولا نكس وكل

غريب قول العاشرة

المزهر : العود الذى يضرب به ويغنى فيه ، والمسارح :
المراعى البعيدة ، يقال سرحت الابل فسرحت اللازم
والمتعدى واحد ، قال الله تعالى : (حين تريحون ، وحين
تسرحون) «246» ، والمبارح : نحو منه ، وهى حيث تبرح ،
والمهالك : جمع مهلكة .

عربيته :

قولها « مالك وما مالك » ، ما هاهنا
استفهام فيه معنى التعظيم والتهويل والتعجب ، وهذا كله من
معانى « ما » كما قيل :

لامر ما تدرعت الدروع

وحقيقة الكلام ما مالك ؟ وما هو ؟ أى أى شىء هو ؟
ما أعظمه وأجله وأكرمه ! ، ومثله قوله تعالى « الحاقة » ،
ما الحاقة «247» ، و (القارعة ، ما القارعة

«246» سورة النحل ، الآية 6 .

«247» سورة الحاقة ، الآية 1 - 2 .

«248») أى الحاقه أو القارعة أى شىء هى ؟ ما أعظمها وأهولها ! وكذلك قوله (ما أصحاب اليمين «249») و (ما أصحاب الشمال «250») وشبهه ، أى ما أعجب أمرهم وأهوله وأعظمه فى النعيم أو العذاب ! ولكن تكرير الاسم أدخل من الكناية فى باب التهويل والتعظيم ، كما أن اللفظ المبهم واستعماله هنا أعم وافخم من التصريح والتفصيل ، ومنه قول الشاعر :

ياسيدا ما أنت من سيد موطأ الاكناف رحب الذراع

واعراب قولها : أن « مالكا » مبتدأ أول ، و « ما » فى موضع رفع بالابتداء أيضا ، و « مالك » الثانى خبره ، والثالث مبتدأ ثالث ، وما بعده خبره وعليه تعرب الآيات المتقدمة ، الا أن الجملة الثانية فيها فى موضع خبر للمبتدأ الاول ، وجاز ذلك وليس فى الجملة ما يعود على المبتدأ الاول لان المعنى ما هم ؟ أى أى شىء هم ؟ فـ « هم » يعود على المبتدأ ، فهو كلام محمول على معنى « ما » ، لا على لفظه ، وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى الاعظام ، وتفسير لبعض الابهام ، وانه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، أو فوق ما اعتقده فيه من سؤدد وفخر ، وان قدره يربى على كل قدر ، وكنت بذلك اذ كان كالحاضر من قولها أو عقدها ، ويحتمل أن تعنى بـ

«248» سورة القارعة ، الآية 1 — 2 .

«249» سورة الواقعة ، الآية 27 .

«250» سورة الواقعة ، الآية 41 .

« خير من ذلك » أى المثنى عليه قبل ، وانه أجمع منه لخصال
السيادة والفضل .

معناه :

هذه وصفت زوجها بالكرم ، وكثرة الضيافة ، والاستعداد
للضيفان ، والمبالغة فى برهم واکرامهم ، ومعنى قولها « قليلات
المسارح ، كثيرات المبارك » ، أى انه لاستعداده للضيفان ،
بلحومها والبانها وكرم خلقه ، لا يوجهن نهارا الا قليلا ،
ولكنهن يبركن بفنائها ، فان فاجأه ضيف وجدها حاضرة ،
فيقریه من لحمها ولبنها ، ولم يجدها غائبة عنه فيتباطأ فيما
يكرمه به مدة طلبها ، كما قال بعض بنى ضبة :

ومختبظ قد جاء اوذى «251» قرابة
فما اعتذرت ابلى عليه ولا نفسى
حبسنا ولم نسرح لكى لا يلومنا
على حكمه صبرا معودة الحبس
فطاف كما طاف المصدق وسطها
يخير منها فى البوازل «252» والسدس

وقال آخر :

واموالنا وقف على مبتغى القرى رواهن للمستبحين وللجم

وقال آخر :

«251» او ذى : ز م س ، او ذو : ك .
«252» البوازل : ز م س ، البواقل : ك .

ونولفها «253» في السنين الفناء اذا لم يجد مكسبا كاسب

أى ثابتة مقيمة للمعتفين ، ومثله قول أم زرع في وصف ماله
« على الجمم محبوس » ، وسيأتى تفسيره ، وهذا قول أبى
عبيد والاكثر ، وقال بعضهم : ان كانت لا تسرح الا قليلا من
النهار فهي هالكة هزالا ، وان كان سرحن بالليل فقد ضاع
أضياف الليل ، والمعنى انها قليلة المسارح لقلة الابل ، وكثيرة
المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم تبرك ، فلكثرة ما يفعل هذا
بها تكثر مباركها ، وقال يعقوب بن السكيت : أى مباركها على
الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ، ومراعيها قليلة ،
أى انها تكثر اذا بركت «254» لمن ينتابها «255» من
الضياف وطلاب «256» الرشد ، وأنشد يعقوب عليه من قول
عروة بن الورد :

يريح على الليل قربان ماجد كريم ، وما لى سارحا مال مقتر
قال : يقول اذا راحت بالعشى راح فيها الاضياف ،
واذا سرحت بالنهار رثيت قليلة لانه لا أحد فيها منهم ، ونحوه
لابن الانبارى ، وقال اسماعيل بن أبى اويس عن أبيه : معناه
أن ابله كثيرة في حال بروكها ، قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر
منها للاضياف في مباركها ، وهذا نحو قول بعض العرب :

«253» ونولفها : س ، ونولفها : ز .

«254» بركت : ز ك ، تركت : م س .

«255» لمن ينتابها : ز ك ، بمن شابها : م س .

«256» طلاب : ز ك ، طلب : م س .

الى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحاح

لنا حمد أرباب المئين ، ولا يرى

الى بيتنا مال مع «257» الليل رائح

ويكون على رواية من روى « عظيمات » من هذا المعنى ، عبر
عن الكثرة بالعظم ، وقد يكون معنى « عظيمات المبارك »
كناية عن سمنهن وعظم جثثهن ، فعبر بعظم مباركهن عن ذلك ،
وقد يكون معنى « قليلات المسارح » عبارة عن قلة الامكنة
التي ترعى فيها من الارض ، وأنها لا تبعد في المرعى فتكثر
مسارحها ، واكن رعيها أبدا بقرب المنزل وحول الفناء ، وبحيث
لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ، ويزول اعتراض المعترض
بهزالها لقلة رعيها ، فقد يكون في قرب منازل أربابها ما يغنيها
لخصبه وكثرة كلئه ، ومعنى قولها « اذا سمعن صوت المزهري
أيقن أنهن هوالك » أى انه مما كثرت عادته بانزال الضيفان
واطعامهم وسقيهم وضرب المعازف عليهم ونحره الابل ، لذلك
صارت الابل اذا سمعت المعازف عرفت بجرى عادتها أنها
تنحر ، هذا معنى قول ابى عبيد وغيره ، ويؤيد هذا التأويل
قولها في الطريق الآخر « اذا سمعن صوت الضيف » ، وقيل :
المراد أنها اذا سمعت المزاهر أيقنت بالهلاك ، لما
اعتاده من نحرها اذا سمع الغناء وانتشى وهبت فيه الريحية ،
وهذا لا تعتاده الابل وتفهمه الا مع التكرار
والاستمرار ، وقد يحتمل أن يكون هذا استعارة لكثرة النحر ،

«257» مع : زك ، من : م س .

وترادف الحفاوة والبر ، وان كانت لم ترد فهم الابل لهلاكها ، ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاؤها ، ويوقن من يعقل به ، اضيف ذلك اليها ، اذ هو واقع بها على ضرب من الاستعارة ، وهذا النحو كله من فصيح الكلام وبديع البيان ، وهو نوع يسميه أهل النقد والبلاغة : الارداف والتتبع ، وهو أبلغ في الوصف ، كما سنذكره بعد ، ومنه في معنى ما نحن فيه ومثاله قول الشاعر :

ومستنبح تهوى مساقط رأسه
الى كل شخص وهو للسمع أصور
حبيب الى كلب الكريم مناخه
بغيض الى الكوماء والكلب أبصر

وذلك أن الكلب ينعم فيما يبلغ فيه مما ينحر له ، ويأكل من سقاطتها وعظامها ، فمتى رأى ضيفا أحب نزوله لذلك ، والكوم تبغضه لأنها تشقى بنزوله بالنحر والعقر ، فعبر عن النعمة والشقاء بالحب والبغض ، وعبر عن جود الموصوف ونحره للضياف بما هو من توابعه واردافه ، فان بغض الكوماء له تبع لنحرها بسببه ، ومحبة الكلب له ردف لتنعمه معه ، وكل ذلك تبع لأكرام ربها للضيفان ، وكناية عن جوده ، فكان هذا التشبيب أبلغ من قولها : اذا ضرب المزهري تحزن «258» ، أو : اذا نزل به ضيف نحر ، ومثل هذا ما أنشده

«258» تحزن او : ز ، نحرن اي : م ك ، نحره و : س .

الحربى «259» لاياس بن سلمة الاسلامى يمدح النبى صلى
الله عليه وسلم :

وابيك خيرا ان ابل محمد عزل تتاوح ان تهب شمال
واذا رأين لدى الفناء غريبة فاضت لهن على الخدود سجال
فترى لها زمن القتال على الثرى

رخما وما تحيى «260» لهن فصال
قوله « عزل » أى غير ممتنعة ، كالأعزل الذى لا سلاح معه
فيمينعه ، ويقول اذا هبت الشمال وجاء الشتاء والقحط تتاوح
بعضها الى بعض لعادتها بالذبح حينئذ «261» ، واذا رأت
غريبا طرق بكت لعلها أنها تذبح له ، وليس يحيى لها فصال
لكثرة ذبح أمهاتها ، واذا كان زمن الخصب وطلب الناس
الدخول اذ لا يطلبونها ولا يقدرون على ذلك زمن «262»
القحط والشدائد لشغلهم بأنفسهم لذلك كانت لهذه الابل البان
كثيرة تسيل على الارض حتى كأنها رخم لبياضها

تنبيه :

قال أبو سعيد النيسابورى : لم تكن تعرف العرب العود
الا من خالط الحضر منهم ، والذى نذهب اليه أنه المزهر ، وهو
الذى يزهر النار للاضياف الطراق فاذا سمعت صوت ذلك
ومعمعان النار أيقنت بالعقر .

«259» الحربى : س ، البحرى : ز .

«260» تحيى : م س ، يحيى : ز ك .

«261» حينئذ : ز ، — : ك س .

«262» زمن : س ، من : ز .

قال القاضي رضى الله عنه :

ولا نعرف احدا رواه « المزهر » كما قاله النيسابورى ،
وان كان يصح ، لان زهور السراج والنار تلالؤ سناها ، والذي
رواه الناس كلهم « المزهر » وهو الصواب ، لا ما قاله
ان شاء الله . وقوله « ان العرب كانت لا تعرف العود
الا من خالط الحضر منهم » فمن أخبره أن مالكا المذكور لم
يخالط الحضر ؟ ، وقد ذكرنا فى بعض طرق هذا الحديث ان
قرية من قرى اليمن وذكر أنه اجتمع بها احدى عشرة امرأة ،
والقرى هى الحواضر والمدن . قال الله تعالى « رجل من
القريتين عظيم » (263) « وفى الطريق الآخر أنهم من قريش ،
وأنهم من أهل مكة كما قدمناه ، مع أن اشعار العرب جاهليها
واسلاميها ، بدويها ، وحضريها ، قد ذكرت فيها المزاهر
وأشباهها ، قال الاعشى :

جالس حوله الندامى فما ينـ فـك يؤتى بمزهر مندوف
كذا أنشده «264» أبو عبيد وغيره ، وهى احالة من الرواية
وغلط ، والشعر : « يؤتى بموكد محذوف » ، يعنى الزق وبعده :
وصدوح اذا يهيجها الشر ب تزقت فى مزهر مندوف
وقال أيضا :

اذا قلت غمى «265» الشرب قامت بمزهر
يكاد اذا دارت به الكف ينطق

«263» سورة الزخرف ، الآية 31 .

«264» انشده : س ، اسنده : ز .

«265» غمى : م س ، غنى : ز ك .

وقال :

ومسمعتان وصناجة «266» تقلب بالكف أوتارها
وبربطنا معمل دائم فقد كاد يغلب اسكارها
وشاهدنا الورد والياسمين من والمسمعات بقصابها
ومزهرنا معمل دائب فأى الثلاثة ازرى «267» بها
ترى الصنج ييكى له شجوة «268»

مخافة أن سوف يدعى بها

وقال :

ومستجيب صوت الصنج يسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل
واكثره ذكره لهذا سمي الاعشى صناجة العرب ، وقال الأقيشر :
وبربط يجاوبه صنج اذا ما ترنما

وقال امرؤ القيس :

وان أمس مكروبا فيارب قينة منعمة أعملتها بكران
لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش اذا ما حركته يدان
والكران والمزهر هما عودا الغناء ، وكذلك
البربط ، والصنج آة له رومية ، وقال علقمة بن علاثة :
قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم

وقال برج بن مسهر الطائي :

وفينا مسمعات عند شرب

وقال ابن الطثرية :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم ازق عنا واصطفاق المزاهر

«266» وصناجة : س ، بصناجة : ز .

«267» ازرى : ز ، ازوا : م ، ازوى : ك ، اذو : س .

«268» شجوة : س ، نجوة : ز ، شجره : ك .

وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابى سعيد وغيره ويكون أشبه بالحال ، وهو أن يراد بالمزهر الدف المربع بوجهين ، وهكذا وقع تفسير المزهر لجماعة من قدماء الفقهاء والعلماء ، وقاله أصبغ بن الفرّج (62) وابن حبيب في واضحته ، فإن صح أن هذا الاسم عربى غير مولد ، فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها ، وعادتهم اطراب الضيفان بها وقد روى بيت الاعشى المتقدم بمزهر مجدوف أى مقطوع قد قطعت أكارع «269» جاده ، هكذا فسروه ، وهذا ينبىء أنه الدف الذى وصفناه ، وصحيح الرواية ما قدمناه ، ورأيت صاحب « لحن العامة » قال : ويقولون لبعض الدفنة مزهر ، وانما المزهر العود الذى يضرب به ، فدل قوله أنه ليس بعربى .

ومعنى قولها فى الرواية الاخرى « كثيرة المسالك ، قليلة المبارك » ، فإن لم يكن وهما من الرواية فمعناه أنها كثيرة فى حال سرحها ورعيها ، قليلة فى مباركها لكثرة ما نحر منها ، أو انها «270» كثيرة مسالك سبل الخير «271» والمعروف ، أى يوجهها ويسلك بها كل مسلك من

«269» اكارع : ز م ك ، اصارع : س .

«270» أو انها : م ك ، وانها : ز س .

«271» الخير : م س ، البر : ز ك .

(62) هو ابو عبد الله اصبغ بن الفرّج بن سعيد . دخل المدينة يوم توفى مالك ، وصحب ابن القاسم وابن وهب وأشهب ، له كتاب « الاصول » و « تفسير غريب الموطأ » ، وتوفى بمصر سنة 225 هـ .

المعروف ، من رقد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين ودية
وصلح ونحو ذلك ، كما قال بعض بنى العنبر :

فلم أر مثل الابل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

ومنه حديث على رضى الله عنه وقد سأل ابا الفرزدق غالب بن
صعصة عن ابيه فقال : يا أمير المؤمنين ذعذعتها «272»
النوائب ، وفرقتها الحقوق ، فقال على عليه السلام : ذلك أفضل
سبلا ، وكان غالب قبل ذا ابل كثيرة ، ويكون قولها في هذه
الرواية «273» : (كثيرة المسالك «274» ، قليلة المبارك) ،
كناية عن قلة بقائها في ملكه ، وبروكها بفنائها ، اكثرة خروجها
عن يده ، والله أعلم . ويكون معنى قولها على الرواية الاخرى :
« كثيرة المسارح ، قليلة المبارح » ، ان لم يكن وهما أى انها
في ذاتها كثيرة فهي كثيرة المسارح لذلك وهى مع ذلك قليلة
المبارح ، أى لا تبرح وتبعد عن قرب منزله لما قدمناه ،
والموفق لله .

وقولها في رواية ابن الانباري « وهو امام القوم في
المهالك » ، فيه تأويلات : قيل أرادت بالمهالك الحروب ، تصفه
بالشجاعة ، وانه لثقتة بشجاعته يتقدم ولا يتخلف ، كما قال
الشاعر :

«272» ذعذعتها : س ، ضعضعتها : ز ، ولعل الصواب الاول ،
والذعذة : التفريق .
«273» في هذه الرواية : ز ك ، في الرواية الاخرى : م س .
«274» كثيرة المسالك : م س ، — : ز ك .

وكتيبة سفح الوجوه بوسائل كالاسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت «275» أول عنفوان رعيها

فلففتها بكتيبة امثالها

وقال الآخر :

يغدو امامهم في كل مربأة طلاع أنجدة في كشحه هضم
وقيل بل أرادت أنه هاد في السبل الخفية عليهم بالطرق ،
والبيداء : الدوية ، والمهالك : المهامى والمفاوز ، وسميت مهالك
لاهلاكها لسلالكها ، وفي تسميتها مفازة ثلاثة وجوه ، قيل
هى «276» بمعنى الهالك أى مهاكة ، يقال فوز الرجل اذا
هلك كما قال :

اذا ما ثوى كعب وفوز جرول «277»

وقيل سميت مفازة على طريق التناؤل ، ليفوز سالكها ،
كما قالوا للديغ سليم ، وقيل بل سميت مفازة لان من قطعها
وجاوزها فاز من الهالك ، فوصفت هذه زوجها على هذا التأويل
بمعرفته بالهداية في المفاوز والقفار ، فهو يتقدم القوم لذلك ،
قال علقمة :

وقد اقود امام القوم «278» سلهبة

يهدى بها نسب فى الحى معلوم

وقال آخر :

ولقد هديت القرم فى ديمومة فيها الدليل يعض بالخمس

«275» قدت : ز ك ، قدن : م س .

«276» هى : س ، هو : ز م ك .

«277» جرول : ز ك ، جدول : س .

«278» القوم : س ، الحى : ز .

تفسير قول الحادية عشرة

عربيته :

قوله : « قالت الحادية عشرة » على صحيح الرواية في هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجارى على منهاج كلام العرب ، باثبات العلامتين في « الحادية » وفي « عشرة » ، ولك اسكان شين عشرة وكسرها (63) على اللغتين ، ولا تكون الحادية عشرة الى تاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والآخر ، لان الحادية مع عشرة كالكلمة الواحدة ، كحضر موت وبعلك ، كما فعلوا باحدى عشرة سواء ، وكذلك لو لم تدخل على الحادية الالف واللام لم تكن الا مفتوحة عند سيبويه ، وأما يعقوب فحكى هنا جواز الرفع والخفض الى تسعة عشر «279» ، على تقدير حادية احدى عشرة ، ولم يجره مع الالف واللام ، وكذلك لو

«279» تسعة عشر : س ، تسع عشرة : ز ، تسعة عشرة : ك وهو غلط .

(63) يجوز اسكان شين « عشرة » ويجوز كسرها اذا كانت مركبة غير مفردة ، كما هنا « قلت الحادية عشرة » ، والاسكان لاهل الحجاز والكسر لاهل نجد .

كانت لمذكر عند سيبويه لم يكن فيها الا الفتح ، وحكى الفارسي انه يجوز اسكان الياء في حادى عشر وثانى عشر ، وان كان موضعه نصبا في الاعراب ، كما قالوا قالى قلى «280» ، وهذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة ، واما من يقول خامسة خمس فيقول قالت الحادية احدى عشرة ، والحادية هاهنا معربة غير مبنية ، وقال بعضهم على هذا حادية عشرة «281» احدى عشرة ، قال سيبويه وهو القياس ولكنه حذف استخفافا ، لان فيه لفظ احد عشر فدل على ما حذف منه ، ووقع لبعض شيوخوا في رواية هذا الحديث : « قالت الحادى عشرة » ولبعضهم « الحادية عشر » وهذا كله خطأ لا مخرج له الا على بعد وتكلف وجهه .

غريبه :

قولها « أناس من حلى اذنى » أى حرك اذنى بالحلى من القرطة والشنوف ، والنوس حركة كل شىء متدل وسائل ، قال يعقوب : أناس أثقل حتى ناسا أى تدليا واضطربا ، وهذا نحو الاول ، قال ابن الكلبي : سمى ذا نواس أحد ملوك اليمن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ، ومنه حديث ابن عمر أنه دخل على حفصة (64) ونوساتها تنطف ، ومنه الحديث أنه

«280» كما قالوا قالى قلى : م س ، . . قلا : ك ، — : ز

«281» على هذا حادية عشرة : س ، على الحادية عشرة : ز .

(64) هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها الصحابي خنيس بن حذافة السهمي ، توفيت سنة 45 هـ .

كان للعباس (65) ضفيرتان تنوسان على ترائبه ، والحقى جمع ، ويقال بكسر الحاء ، وقرىء في الكتاب العزيز بهما جميعا ، والحقى واحد وهو كل ما تحلى به من ذهب وفضة وجوهر وشبهه ، وقولها « بجحنى فبجحت » أى فرحنى ففرحت ، قال الراعى :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ، ولكنا بقرباك نبجح

أى نفرح . هذا قول أبى عبيد ، وقال ابن الانبارى : معناه عظمى ، ويؤيده قولها : فبجحت الى نفسى ، أى عظمت عندى ، وتأول «282» البيت المتقدم : أى بقرابتنا منك نفخر ونتعظم «283» ، وقال يعقوب : بجحت فخرت ، وقال ابن أبى اويس : معناه وسع على وترفنى ، وقولها « وفرعى » فى رواية من زاده : فيحتمل أن تريد بالفرعين اليدين ، لانهما كالفرعين من الجسد ، تعنى أنه حلى اذنيها ومعصميهما ، وقد يحتمل أنها أرادت بالفرعين العنق مع اليدين ، وأقامت اليدين مقام فرع واحد لكونهما جنسا ، وأصل الفرع كل ما ارتفع ، فالرأس واليدان من غروع الجسد ، فاذا حليا فقد حلى فرعاه ، ويحتمل

«282» وتأول : ز ، وتأويل : س .
«283» نتعظم : ز م ك ، نتعاضم : س .

(65) هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل فتح مكة بقليل ، واستسقى به سيدنا عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى بالمدينة سنة 32 هـ .

أن تريد « بفرعى » غديرتيها «284» وقرنى رأسها ، والعرب
تسميها فروعا ، قال امرؤ القيس :

وفرع يغشى المتن اسود فاحم

وأضافت النوس اليه كما اضافته الى الاذنين لكونه فيهما ،
ولقربه من قرون رأسها ، ولأن ما يرخى مع القرون من نواصى
الحلى تنوس ايضا ، وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائر
شعورهن ، وتحلية نواصيهن وقرونها ، فلعل هذه فعلت مثل
ذلك من فعلهن ، ومن رواه « فرعى » فيحتمل فرع «285»
الشعر أو الرأس ، قال ابن ابى اويس : حلى رأسى فلذلك
يتدلى من كثرتة وثقله .

عربيته :

وقع فى بعض الروايات « اذنيه ، وعضديه ، وفرعيه
واليه » بزيادة الهاء ، وهذه هاء السكت الملحقة فى الوقف
وانقطاع الصوت ، وبعضهم يسميها هاء الاستراحة ، وهى
تلحق الاسماء والافعال والحروف لثلاث علل : لصحة الحركة
انتهى فى آخر الكلمة قبلها وتبيينها ، كقولك : غلاميه ، وماليه ،
ولم يغزه ، ولم يتسنه عند بعضهم ، وانه بمعنى نعم ،
وانيه «286» ، ولعله ، واشباه هذا ، أو لتمام الكلام المنقوص
واستقلاله بها ، كقولك : عيه ؟ وامه ؟ وقه ، ولا تشه ، والوجه

«284» غديرتيها : ز ، غديرتها : س .

«285» فرع : ز م ك ، فروع : س .

«286» وانيه : ك ، وايته : ز ، وابنه : س .

الثالث : للحاجة عند مد الصوت قبلها في آخر الكلمة ،
وذلك في النداء والندبة ، وقد الحقوها في الاسماء غير المتمكنة
(66) اذا كان قبلها ألف لضعف الالف ، نحو : هاهناه وهأؤلاه ،
ولم يفعلوا ذلك في المتمكنة وبعد الكنايات ، فقالوا :
ضربتكه ، وضربييه «287» ، وابييه ، وغلامييه «288» ،
ففرعى واذننى من هذا الباب ، وذلك لخفاء الياء وان ما قبلها
ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها من غيرها فبينت بالهاء .

معناه :

وصفته بأنه أحسن اليها ، وحلاها ، ورفه عيشها ،
وسمنها ، وأراها المصرة في أحوالها ، ومعنى قولها « ملأ من
شحم عضدى » قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده ، وانما
أرادت الجسد كله ، لان العضد اذا سمنت سمن سائر
الجسد ، ووجه اختصاصها للعضد بذلك — والله أعلم — لأنه
أقرب ما يلى بصر الانسان من جسده ، وأول ما يظهر له فيه
سمنه ، وفي حديث ابى هريرة : فجعلت أنظر في عطفى هل
سمنت ؟ .

وغريب قولها « وجدنى في أهل غنيمة » هى تصغير غنم ،
وقولها « بشق » والمحدثون يقولون بشق ، قال أبو عبيد :

«287» وضربييه : م س ، وضربته : ز ك .
«288» وغلامييه : س ، وعلايه وعلامييه وعلامييه : ز ، وعلامياه
وغلامييه : ك .

(66) الاسم المتمكن هو المعرب ، وغير المتمكن هو المنبى . وينقسم
المعرب الى متمكن أمكن وهو المنصرف ، والى متمكن غير أمكن
وهو غير المنصرف .

بالفتح هو موضع ، قال الهروى : وهو الصواب ، قال ابن الانبارى : هما بالفتح والكسر موضع ، قال ابن أبى اويس وابن حبيب : تعنى بشق جبل لقلتهم ، قال ابن أبى اويس : وقلة غنمهم .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

كأنه يريد انهم «289» لقلتهم وقلة غنيمتهم حملهم سكنى شق الجبل أى ناحيته أو بعضه ، لان الشق يقع على الناحية من الشئ ويقع على بعضه ، والشق أيضا النصف ، فيكون على هذا وعلى ما جاءت به الرواية صحيحا ، وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح ، وهو أليق بقولها «290» لقلتهم أى شق فى الجبل كالغار ونحوه ، وله وجه آخر ذهب اليه نفطويه ، ورأيت للقتبى ، هو بالحديث أولى وأصح لغة ومعنى : أن الشق بالكسر الشظف من العيش والجهد منه ، قال ابن دريد يقال : هو بشق وشظف من العيش أى بجهد منه ، وعليه تأول قول الله تعالى (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) «291» . وقولها « فى أهل سهيل واطيط ودائس ومنق » ، فالسهيل أصوات الخيل ، وعلى رواية « جامل وصاهل » أى جمال وخيل ، أو اصحاب جمال وخيل .

عربيته :

قولها « وجامل » فالجامل جمع جمل ، وهو اسم للجمع غير مكسر ، عليه الواحد ، قال النابغة :

«289» انهم : ز ك ، انه : م س .
«290» بقولها : م ك ، لقولها : س .
«291» سورة النحل ، الآية 7

أجادل يوما في شوى «292» وجامل

يريد في شاء وجمال ، ومثاله من « فاعل » الذى يراد به الجمع قولهم باقر وطائر وسامر ودائر «293» ودابر «294» وكابر ، ولذلك قالوا كابرا عن كابر ، وقال على «295» : رؤوس كرؤوس الطائر ، وقال الله تعالى (مستكبرين به سامرا تهجرون «296») ، وقد يكون « جامل وصاهل » أسماء فاعلين للرجال المالكين للجمال والخييل الصاهلة والطعام المداس ، كما قال :

فانك لابن بالضيف تامر

وقال :

كايبنى لهم يا أميمة ناصب

أى ذى نصب ، وذو تمر ولبن ، فيكون تقديره : فنقلنى من أهل جمال وخیل أو ذوى جمال وخیل ، وقولها « وأطيط » : قال أبو عبيد : الاطيط أصوات الابل ، قال يعقوب : الاطيط الابل (67) وهو زفيرها من البطنة . ومن أمثالهم : لا أفعل ذلك ما أظت الابل .

«292» شوى : زم ، شواء : س ، شواى : ك .

«293» ودائر : ز ، - : م ك س

«294» ودابر : م ك ، - : ز س .

«295» وقال على : س ، وقال . . على : ز

«296» سورة المؤمنون ، الآية 67 .

(67) « الابل » : كذا بالاصول ، ولعلها : صوت الابل .

قال الفقيه القاضي رضى الله عنه :

وأصل الاطبط صوت أعواد المحامل والرحال ، ويشبه «297»
أن تريد بالاطيط هذا ، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة ، لأن
المحامل لا يركبها الا أصحاب السعة والرفاهية «298» ،
وكانت قديما من مراكب العرب ، ثم ان الحجاج حسنها وزاد
فيها ، فلهذا نسب اليه عملها ، (فلهذا قيل :

أول عبد صنع المحاملا أخزاه ربي عاجلا وآجلا) «299»
وبهذا السبب غلط انقبتى أبا عبيد وهو الغلط لما ذكرناه ، وفي
الحديث فى ذكر سعة باب الجنة : « ليأتين عليه زمان وله أطيط
— يعنى صوتا — بالزحام (68) » ، وفى حديث غيره :
« وله أطيط كأطيط الرجل » ، قال الهروى : الاطيط نقيض
صوت المحامل ، وفى الجمهرة : الاطيط صوت الرجل الجديد
وانسع اذا سمعت له صريرا ، وكل صوت يشبه ذلك فهو
أطيط ، وقال ثعلب : الاطيط نقيض جلود الابل عند الكظة ،
و « الدائس » قال أبو عبيد : تأوله بعضهم من دياس
الطعام ، وهو دراسه ، وأهل العراق يقولون : اندياس ، وأهل
الشام : الدراس ، قال ولا أظنها واحدة من هاتين الكلمتين ،

«297» ويشبه : س ، والاشبه : ز .

«298» والرفاهية : ز س ، والرفاهة : م ك ، وكلاهما بمعنى واحد .

«299» فلهذا قيل . . وآجلا : ز ، — : م ك س

(68) هذا الحديث من مسند عتبة بن غزوان رضى الله عنه ، ونصه فى
مسند الامام احمد (4 : 174) : « والاه لقد ذكر لنا أن ما بين
مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم كظيظ
الزحام » . والكظيظ هو المكتظ ، أى الممتلئ ، الكثيف الزحام .

فان كان كما قيل فأرادت أنهم أصحاب زرع ، قال الهروى :
درس الطعام وداسه واحد ، وحكى عن بعضهم الدائس الاندر ،
قال يعقوب : الدائس الذى يدوس الطعام ، وقال بعضهم :
الدائس الطعام الذى أهله فى دياسه ، وعندهم من الطعام
غيره ، فخيرهم متصل وقولها « منق » فالمحدثون يقولونه
بالكسر ، قال أبو عبيد : ولا أدرى ما معناه ، قال : واحسبه
« منق » بالفتح ، فأرادت به من ينقى الطعام ، وحكى الهروى
عن بعضهم المنقى الغربال ، وقال اسماعيل بن أبى اويس :
المنق بالكسر نفيق اصوات المواشى والانعام ، تصف كثرة
ماله ، وقال أبو سعيد النيسابورى : هو مأخوذ من نقنقة
الدجاج ، يقال أنق الرجل اذا كان له دجاج تنقنق ، أى انهم
أهل طير أيضا ، وقال أبو مروان ابن سراج : ويجوز أن يكون
منق بالاسكان ان كان روى ، أى وانعام ذات نقى أى سمان .

معناه :

وصفته انه نقلها من شطف عيش أهلها وتبلغهم بغنيمتهم ،
(— أو تبلغها هى بغنيمتها — على مقتضى الروايتين —)
«300» الى أهل الثروة ، والاموال الواسعة ، من
الخييل والابل والارحال والزرع والبقر ،
والدواب الدائسة الكثيرة «301» والمعبيد
والخول ، والآلات المنقية للاطعمة ، المصلحة لها ، والماشية

«300» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز ، — : م ك س .

«301» الكثيرة : ز ، — : م ك س .

الكثيرة ، والطير المتنعم بأكلها ، وذلك أن اصحاب الغنم أهل شظف أو كفاف وعدم ثروة ، ومن دعاء العرب : ان كنت كاذبا فحلبت قاعدا ، أى صار مالك غنما يجلبها القاعد ، وبضد هذا أهل الخيل والابل ، وقد قال عليه السلام : « الفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل انفاديين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم » (69) ، فأخبرت هذه بانتقالها من تلك الحالة الى هذه ، ورغد عيشها بالبان هذه المواشى ولحومها ، وغير ذلك من الاطعمة ، لا سيما باشارتها بما «302» يداس وينقى الى الخبز ، وكان أرفع أغذية العرب وأعز أطعمتها ، اذ لا يجده منهم الا الكثير الثروة ومن قارب الارياف والحواضر ، والا فأكثر أطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان والتمر ، وعليه تدل أشعارهم . ومن غرابة أكل الخبز وعزته عندهم ما سمي عبد الله بن حبيب العنبرى « آكل الخبز » لاقتصاره عليه ، ورغبته عن غيره ، ولهذا قال كسرى ابرويز لهوذة بن على (70) وقد أعجبه كلامه : ما غذاؤك في بلادك ؟ قال : الخبز ، فقال

«302» بما : س ، مما : ز .

- (69) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى ، والفدادون : جمع فداد ، وهو مالك المئين من الابل .
- (70) هو هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو ، الحنفى ، صاحب اليمامة ، وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الاسلام وفي العهد النبوى ، دخل على كسرى فأعجب به كسرى ، كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وأرسل اليه سليط بن عمرو ، فأجاب بأنه ان جعل الامر له من بعده أسلم وسار اليه ونصره ، والا قصد حربه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، ولا كرامة ، اللهم اكفنيه » ، فمات بعد قليل .

كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر ، ومن غرابة حديث أبى (71) هريرة «303» قوله : وكنت أسمع أن من أكل الخبز سمن ، فجعلنا نأكل وننظر هل سمننا ، اذ وجدوا خبزة بخيبر «304» . الحديث .

وغريب قولها :

« فعنده اقول فلا أقبح » ، أى يقبح قولى على ويرده ، وقولها « أتقمح » قال أبو عبيد : أى أروى حتى لا أحب الشرب ، مأخوذ من الناقصة المقامح ، وهى التى ترد الحوض فلا تشرب وترفع رأسها رياء ، ومن رواه « فأتقمح » بالنون فان أبا عبيد قال لا أعرفه ولا أرى المحفوظ الا بالميم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

وحكى أبو على القالى فى كتابيه «البارع» « والامالى » : يقال قنحت الابل تقنح ، بفتح النون فى الماضى والمستقبل ، قنحا باسكان النون ، وقال شمر : قنحا ، اذا كرهت «305» الشرب بعد الرى ، وأكثر كلامهم تقنحت تقنحا قاله أبو زيد ، وقال نحوه ابن السكيت وأبو حنيفة ، فهما اذا بمعنى ، والميم

«303» أبى هريرة : زك ، أبى برزة : م ، أبى بزره : س ولعل الصواب الاول .

«304» بخيبر : ز ، تخبز : م ك س .

«305» كرهت : س ، تكارحت : ز ك .

(71) اختلف فى اسمه واسم ابيه اختلافا كثيرا ، لانه كان معروفا بكنيته لا باسمه ، وأصح ما قيل فى ذلك : عبد الرحمن بن صخر ، ويجوز فى « أبى هريرة » التثوين وعدمه ، الا ان الأشهر عند المحدثين منعه من الصرف . وهو أكثر الصحابة رواية للحديث ، توفى سنة 58 هـ أو التى بعدها .

تتوارد مع النون كثيرا ، مثل غيم وغين ، وامتنع وانتع ، وقال
شمر عن أبي زيد : التفتح الشرب فوق الرى ، قال ابن حبيب :
هو الرى بعد الرى ، قاله ابن أبي أويس ، وقال أبو سعيد :
هو الشرب على رسل لكثرة اللبن ، لأنها ليست تتأهب غيرها
الشرب ، إنما ينهاه عند القلة مخافة عجزه ، وقال يعقوب :
أفتح : لا يقطع على شربى ، ومن رواه « أفتح » بالفاء
وانتاء فان لم يكن وهما فمعناه عندى التكبر والزهو ، قال ابن
دريد : الفتحة انتيه والتكبر ، يقال فى فلان فتحة ، ومثله فى
كتاب العين للخليل ، ويكون هذا التيه والكبر من الشراب
انشوة مسكرة ، كما قال حسان :

ونشربها فتحسبنا «306» ملوكا واسدا ما ينهنها اللقاء
وقال المنخل :

واذا شربت «307» فاننى رب الخورنق والسدير
أو راجعا على انجمله لعزتها عنده ، وكثرة الخير لديها ، فهى
ترهو لذلك ، أو يكون « أفتح » كناية عن سمن جسمها
واتساعه ، يقال باب فتح اذا كان واسعا ، وقولها : « أتصبح »
أى أنام الصبحة ، وهى نوم أول النهار ، وقولها « وآكل
فاتمنح » أى اطعم غيرى ، يقال : منحه يمنحه ويمنحه اذا
أعطاه ، وأصله من المنحة والمنيحة ، وهو أن يجعل الرجل
للرجل لبن شاته أو ناقته مدة ثم يردّها ، ثم جعلت كل عطية
منحة ، وجاءت بلفظة « أتفعل » التى تقتضى تكرار الفعل

«306» فتحسبنا : س ، فتركنا : ز .

«307» شربت : س ، انتشيت : ز ، وكلاهما صحيح .

وملازمته للفاعل ، ومطالبة نفسه أو غيره به ، فكأنها تطلب من نفسها من تمنحه ، أو تحرك اذلك غيرها لتفضل عليه بما فضل من مأكوله لكثرتة .

معناه :

وصفت هذه بر زوجها بها وتدللها عليه وترفيهه لها وكثرة احسانه اليها ، فوصفت أنه لا يرد قولها ، ولا يقبح عليها ما تأتي به من كلام ، لآكرامه اياها ، وميله اليها وعزتها عنده ، وهذا مما يدل على العزة ، كما قال السموأل :

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وانها تنام صبحتها ، ولا تنبه من نومها حتى تنتبه ، ترفيها لها ،
ودل من هذا الفصل أن غيرها يقوم بمؤونة بيتها ، ومهنة أهلها ،
وان لها من الخدم من يكفيها ذلك ، فاذك تصبحت في نومها ،
كما قال امرؤ القيس :

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقال الحطيئة :

ولا تقوم باعلى الفجر تنتطق

أى تشد نطاقها للخدمة ، وانها تشرب حتى لا تجد له مساعا
فتكره الشرب بعد اتمام ربيها ، أو أنها لا يقلل مشروبها ،
ولا تناهب ، ولا يقطع عليها ، حتى تتم شهوتها فيه ، لكثرتة
وكرامتها ، كما قال النابغة :

وتسقى اذا ما شئت غير مصرد

أو أنها تعترئها لذلك نشوة وتيه ، وأنها تأكل وتفضل لها فضلات

تمنحها سواها ، وجاءت بفاء التعقيب المقتضية ان اعطاءها ومنحتها كانت بعد أكلها وتمام حاجتها ، أو أنها قد سمت عنده وحسن جسمها .

تنبيه : قال أبو عبيد : ولا أراها قالت ذلك الا من عزة الماء عندهم ، يعنى قولها « أشرب فاتقمح » .

قال الفقيه القاضى رحمه الله :

عنى أبو عبيد رحمه الله أنها لا تتفخر بالرى من الماء الا وهو عزيز ، والعجب منه ، وما اضطره الى هذا التأويل ؟ ، وكأنه لا شراب الا الماء ، فأين أنواع اللبن والخمر والنبيد والسويق وسائر أشربة العرب التى كانوا يستحلونها ويستعملونها «308» من صريف وضريب وصريح ورحيق ونبيد ومزر وجعة وبتع وفضيخ وطلاء وباذق وسويق (72) ،

«308» ويستعملونها : س ، — : ز .

(72) « الصريف » : اللبن الذى ينصرف به عن الضرع حارا . (وهى فى الاصول كلها : ضريف ، بالمعجمة ، وهو تصحيف) . و « الضريب » : الشهد ، بفتح الشين وضما ، وهو العسل ما دام لم يعصر من شمع . وعسل ضريب : مستضرب ، أى صار ضربا ، أى غلظ وابيض . و « الصريح » : اللبن اذا سكنت رغوته فأصبح خالسا . و « الرحيق » : صفوة الخمر و « النبيد » : ما يعمل من الاشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك ، سواء كان مسكرا أو غير مسكر . و « المزر » : نبيد الشعير والحنطة والحبوب ، وقيل : نبيد الذرة خاصة . و « الجعة » : نبيد الشعير . و « البتع » : نبيد العسل . و « الفضیخ » : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفصوخ وحده من غير ان تمسه النار ، و « الطلاء » : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه . و « الباذق » : الخمر الاحمر . و « السويق » : الخمر ، وقيل : السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .

بل كانوا يذمون بشرب الماء ، ويهجون به ، كما قال بعض
الـهـذليين :

ومن تقلل حلوبته وينكل عن الاعداء يغبقه القراح
أى من قل ماله وجبن عن الغارات ولم يصب المغانم «309»
رجع شرابه الماء القراح ، لاعوازه اللبن ، وقال
الآخـر :

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد
أى اوثر اضيافى وجيرتى بمطعمى ومشروبى ، واقنع بشظف
العيش وشرب الماء القراح البارد . بل الذى
أرادت اللبن وشبهه ، والله أعلم .

وكان عمدة أغذية العرب على اللبن وهو القائم مقام
طعامها وشرابها ، وفى الحديث : « ليس شئ يقوم مقام الطعام
والشراب الا اللبن (73) » ، وفى حديث بدر قال : « ما رأيت
كاليوم ، أما لكم رغبة فى اللبن ؟ » أى فى الغداء ، فيكون من ذلك
بأيديكم ابل ذات لبن ، أو مال يتوصل به الى اللبن ، ففيه كان
غالبا رغد عيشهم ، وطيب مطعمهم ، فهذا معنى قولها — والله
أعلم — ، اذ لم يذكر فى أكثر الاحاديث سوى المشروب ، وقد

«309» المغانم : م س ، الغنائم : ز ك .

(73) أخرجه ابو داود من حديث ابن عباس مرفوعا : « ، فانه
ليس شئ يجزىء من الطعام والشراب الا اللبن » ، (باب
ما يقول اذا شرب اللبن ، من كتاب الاثرية) ، وأخرجه الترمذى
فى الدعوات ، وابن ماجه فى الاطعمة ، والامام أحمد فى مسند
ابن عباس (1 : 284) .

يكون قولها « اشرب » كناية عن الشرب والاكل لصحبة
احدهما الآخر ، وقد استعملت العرب احدهما مكان صاحبه ،
قال الشعاعر :

شراب البان وتمر واقط

ولا نحتاج الى هذا ان ثبتت الزيادة المذكورة في الاكل من
قولها « وأكل فاتمنح » .

وغريب قولها في أم أبي زرع :

« عكومها رداح » ، قال أبو عبيد وغير واحد من الائمة :
العكوم الاحمال والاعدال والهينات التى تجمع
الاطعمة والمتاع ، واحدها عكم ،
والرداح الطعام الكثير الحشو ، قال الهروى :
الثقيلة ، ومنه قيل للكتيبة الواسعة : رداح ، اذا كانت ثقيلة
السير لكثرة من فيها ، ويقال للمرأة : رداح ، اذا كانت عظيمة
الاكفال ، ثقيلة الاوراك ، وجفنة رداح عظيمة ، وجمل رداح
عظيم ، وقال ابن حبيب فيما قرأته مضبوطا فى كتابه ولم أروه
سماعا : انما هو دراح ، أى ملاء ، كذا سمعت ابن أبى اويس
يقول : وليس كما قال شارح العراقيين ، الرداح غير هذا .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

ما قاله أبو عبيد وغيره صحيح معروف ، ومعناه ظاهر ،
ولا أدرى لم أنكره ابن حبيب ، وهو بنفسه معنى ما فسرته هو
به مع مساعدة سائر الرواة لما تاله أبو عبيد ، فان روايتهم
كلهم رداح ، لا كما قاله ابن حبيب عن ابن أبى أويس : دراح ، لم
يذكرها غيره ولا شرحها سواه ، ولا سمعناها من شيخ ،

ولا وجدت هذه اللفظة في جماهير اللغة ، وصاحح العربية ، الا
أن تكون من قرأهم رجل درحاية ، أى ضخم ، حكى ذلك ابن
دريد قال : وهو من الدرح وهو فعل ممات ، وأنشد :

عكوك اذا مشى درحايه

وفي كتاب العين : الدرحاية القصير ، وقال يعقوب : الدرحاية
القصير الكثير اللحم ، الا أن يكون قد وهم عليه ، وانما أراد
رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط ، ولقوله وجه ، ويكون
رداح هاهنا بمعنى ما قال أبو عبيد لكنه جمع رادح «310»
كتائم وقيام ، ومنه الحديث : « ان من ورائكم فتنا رادحة
(74) » ، وكذا وجدته مضبوطا عند بعض رواة هذا الحديث
بكسر الراء .

عربيته :

قولها « عكومها رداح » اعلم أن وجه اعراب رداح أن
يكون خبرا لمبتدأ مضمّر ، ولا يصح أن يكون خبرا للعكوم لان
العكوم جمع واحدها عكم ، والرداح واحد جمعه رداح ، ومنه
حديث على رضي الله عنه في وصف الفتى : متماحلة رداح ،
أى طويلة عظيمة ، وقال الشاعر :

الى رداح من الشيزى «311» عليها لباب البر يابك بالشهاد

«310» رادح : ك ، رداح : ز م س وهو غلط .

«311» الشيزى : ز ك ، الشيزى : س .

(74) لم أجده في المرفوع الى النبی صلى الله عليه وسلم . وعزاه ابن
منظور الى سيدنا على رضي الله عنه بلفظ : ان من ورائكم فتنا
مردحة ، (لسان العرب ، مادة رداح) .

فلا يصح أن يكون « رداح » خبرا للعكوم ، لانه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز ، والا أحرفا مسموعة ، مثل قولهم درع دلاص ، وادرع دلاص ، وقد قيل دلص ، وامرأة هجان ونسوة هجان ، وقد قيل هجائن ، وشمال «312» للواحد والجمع ، وفلك للواحد والجمع ، في احرف قليلة ، وقيل : منه قولهم : رجل سلم ، وخصم ، وعدو ، وقوم سلم ، وخصم ، وعدو ، في أحرف سمعت ، وقد اختلف أهل العربية في قوله تعالى « أولياؤهم الطاغوت «313» » فقال بعضهم هو واحد ، وذهب المبرد الى أنه جمع ، وقرأ الحسن : أولياؤهم الطواغيت ، قال سيبويه : هو اسم واحد مؤنث يقع للجمع كهيئته للواحد ، وقال الفارسي : هو مصدر كالرغبوت والرهبوت ، كما قال :

فهم رضى وهم عدل

وأما رأس هذا العلم ومقتدى القوم الخليل بن أحمد فله في هذه الكلمات مذهب ، فعنده أن هجانا واحد مع الواحد جمع مع الجمع ، وانه عنده في الجميع بمنزلة ظراف ، قال الفارسي : كأنهم كسروا فعلا على فعال كما كسروا فعلا على فعل ، في قولهم فلك للواحد والجمع ، قال فالحركة التي في « هجان » للجمع ليست التي في المفرد ، فان الحقنا هذا بما ذكرناه وادخلناه في بابه على اختلاف مذاهبهم توجه لكونه مسموعا في هذا الحديث ، أو نجعل « رداحا » مصدرا كالذهاب والثبات

«312» شمال : س ، وشمال : ز .
«313» سورة البقرة ، الآية 257 .

والطلاق والكمال ، فيكون خبرا للعوام ، كما قالوا : قوم عدل ،
ورضى ، على قول بعضهم انها مصادر ، أو تكون على طريق
النسبة والاضافة أى عكومها ذات رداح ، كما قال الخليل رحمه
الله تعالى فى قوله تعالى : « السماء منفطر به »314 « أى
ذات انفطار ، أو تكون أرادت بعكومها الكفل ، فقالت « رداح »
وردته على الكفل الذى كنت عنه بالعوام لعظمه ، فكان « رداح »
خبرا له حملا على المعنى اذا «315» كان واحدا ، كما قال :

ثلاث، شخوص كاعبان ومعصر «316»

فانث حملا على المعنى اذ كن نساء ، والا فوجهه أن يكون
« رداح » خبر مبتدأ مضمحل عليه ما قبله ، وتقدير ذلك :
عكومها كلها رداح ، أو عكومها كل عكم منها رداح ، كما
قال علقمة «317» :

جدورها من أتى الماء مطموم
على رواية من رواه بالجيم ، أى جدورها كل جدر منها أوكلها
مطموم ، أى مملوء ، والجدور جمع جدر وهى حواجز الشربات
التي تحبس الماء فى أصول النخل ، وأنشد بعض النحاة عليه
قول الاسود بن يعفر يصف جفنة :

ترى جوانبها بالشحم مفتوقا
أى ترى كل جانب منها مفتوقا ، ولم تقبح هذه المجازات فى

«314» سورة المزمل ، الآية 18 .
«315» « اذا » : كذا بالاصول ، ولعل الاصول (اذ) .
«316» معصر : ز م ك ، معصم : س ، وهو تصحيف .
«317» علقمة : م س ، علفة : ك .

كلامها لاجل الازدواج والتسجيع ، على حد كلام العرب ومذهبهم في الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع ، وقولها « فياح » الفياح والفساح بمعنى واحد ، أى بيتها واسع ، يقال بيت فسيح وفساح ، ودار فيحاء ، أى متسعة ، وبيت أفيح ، ومنه الحديث فى شدة الحر : « انه من فيح جهنم (75) » ، أى من سعة حرها وانتشاره ، ومن رواه « فياح » فعلى باب من المبالغة .

معناه :

وصفتها بسعة المال وكثرة الخير والآلات ، وسعة فناء البيت وكبره ، وهذا لا يكون الا مع الوجد ، وقد يحتمل أن يكون كنى بالعكوم ورداحتها عن كفلها وعظمه ، كما قالوا جارية رداح ، أى عظيمة الكفل ، وجعل الكفل عكوما وهو جمع لعظمه ، كأن كل ناحية منه عكم ، وكنى بسعة البيت وفسحة انفاء عن كثرة خيره ، ورغد عيشه ، والبر بنازله ، كما كنوا بالرحب عن ذلك فى قولهم : مرحبا ، وقالوا : فلان رحب المنزل ، ولا يريدون سعة قطره ، بل كثرة خيره ، ووفور بره ، فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيان ، ووقع فى بعض روايات شيوخنا فى هذا الفصل : أم زرع وما أم زرع ؟ ، فان صحت هذه الرواية فانها انما وصفت نفسها ، وكذا حدثنا بها بعض ثقة شيوخنا عن أبى العباس العذرى .

(75) رواه الامام مالك واحمد والدارمى والستة .

وغريب قولها في ابن أبي زرع :

« كمسل الشطبة » قال أبو عبيد والحربى
«318» : واصل الشطبة ما شطب من جريد
النخل وهو سعفه ، وهو أن تشق منه قضبان رقاق تتسج منها
الحصر ، قال يعقوب : الشطبة السقة (76) من سدى الحصر ،
وقال ابن الاعرابى وأبو سعيد النيسابورى : أراد بمسل
الشطبة سيفاً سل من غمده ، وقال ابن حبيب : الشطبة العويد
المحدد كالمسلة ، والجفرة : الانثى من أولاد المعز «319» ،
والذكر جفر وهو ابن أربعة أشهر ، كذا قال أبو عبيد وغيره ،
وجمعه جفار ، وقال ابن الانبارى : هو من ولد الضأن ، وكذا
قال ابن دريد ، قال : وهو الثنى منها ، وفي كتاب العين : الجفر
من أولاد الشياه ما استجفر أى صار له بطن ، قال الهروى :
الجفر من أولاد الغنم ، فاذا أتى على ولد الغنم أربعة أشهر
وفصل عن أمه وأخذ في الرعى قيل له جفر والفيقة : ما يجتمع
في الضرع بين الحلبتين ، والفواق : ما بين الحلبتين ، واليعة
العناق ، والذكر اليعر ، وقولها « وتميس » تتبختر ، والنثرة :
الدرع ، وهو ما لطف منها ، كذا قال الهروى ، وقال نحوه ابن
الانبارى ، قال : هى القصيرة ، وعند الخليل : هى السلسلة
الملبس ، وقال الثعالبى وثابت : انها الواسعة ومثله النثلة
والزغفة والفضفاضة .

«318» والحربى : س ، الحربى : ز .

«319» المعز : ز ك ، العنز : م س .

(76) السقة : كذا بالاصول ، ولعلها « السفة » . والسفة : ما يسف
من الخوص كالزبيل ونحوه ، أى ينسج .

معناه :

وصفته بأنه مهفف الخلق ، ضرب اللحم ، ليس ببطين ولا جظ جعظرى جواظ (77) ، وكنت عن ذلك بأن مضجعه الذى ينام فيه فى الضيق كمسل شطبة واحدة اذا سلت من الحصر فبقى مكانها فارغا بين «320» أخواتها ، وهو مما يتمادح به رجال العرب ، أو أنه مثل غمد السيف ، وهو قريب من الاول ، قال أبو سعيد : شبهته بسيف مسلول ذى شطب يمان ، وسيوف اليمن كلها ذات شطب . قال ابن حبيب : عنت انه خفيف المئونة مهفف ، وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف ، فوجه تشبيهها بذلك اما لخسونة جانبها ومضائها «321» ، أو جمال رونقها ولألائها ، أو كمال صورتها فى اعتدالها واستوائها ، كما قال الشاعر :

يشبهون سيوفنا فى صرائهم وطول أنضية الاغناق والامم
وقال آخر :

كان جبينه سيف صقيل

«320» بين : س ، من بين : ز .
«321» ومضائها : س ، أو مضائها : ز .

(77) فى هذا اقتباس من الحديث الذى رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . (رقم الحديث 6580) ، و « الجعظرى » (بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة) : الفظ الغليظ المتكبر ، و « الجواظ » (بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة) : مثله . و « الجظ » : قريب منه .

وقال آخر :
في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقال الاعشى :
ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائدا
وقالت الاعرابية :

أحبه بازل عام كالمهند الصمصام

وكذلك أيضا شبهوهم بالرماح ، كما قال :
هما رمحان خطيان كانا من السمر المثقفة الصعاد

وقال آخر :
مصاليث أمثال الردينية السمر
ثم وصفته بقلّة الاكل والشرب ، وهو مما يتمادح به أيضا كما
تقدم ، ثم وصفته بأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء في موضع
القتال .

وغريب قولها في ابنته :

« صفر ردائها » فالصفر : الخالى
الفارغ ، وقولها : غيظ جارتها : أى ضررتها ، ويحتمل أيضا أن
تكون الجارة بالسكنى ، فالضرة انما سميت جارة لمجاورتها
ضررتها ، وتسمى الزوجة جارة أيضا لمجاورتها الزوج ،
قال الشاعر :

أيا جارتا بينى فانك طالق

و « عقر جارتها » في رواية من رواه ، وكذا أخرجه مسلم في
صحيحه عن الحسن بن على الحلوانى : أى دهش جارتها ، قال

صاحب كتاب الجمهرة : عقر فلان عقرا : اذا خرق من فزع ،
قال صاحب كتاب العين : عقر الرجل : اذا دهش ، وقد قال
أهل المعاني في قول الشاعر :

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبي العقير

انه الدهش ، وقد يكون أيضا من العقر الذى هو القتل ، من
قولهم : عقر الرجل ابله ، أى نحرها ، ومنه : كلب عقور ،
وفرس عقير ، وصيد عقير ، واصله من عقر النخل ، وهو قطع
رأسها فتهلك ، ويكون هذا بمعنى الرواية الأخرى « حين
جارتها » وهى رواية شيخنا القاضى التميمى فى بعض طرق
النسائى ، وكذلك قيده بخطه عن أبى على الحافظ ، فالحين
الهلاك ، أو يكون من العقر الذى هو الجرح ، قال الخليل :
العقر كالجرح ، ومنه قولهم : سرج معقر «322» اذا كان
يعقر ظهر الدابة ، أى يجرحه ، ومن معناه ما تقدم فى قولهم
كلب عقور أى يجرح ، وصيد عقير أى مجروح ، ومن رواه
« عبر جارتها » حكى ذلك الانبارى والهروى ، وهى رواية
الهيثم بن عدى ، فمن العبرة التى هى البكاء ، أو العبرة التى
هى الاعتبار ، أى ان ضررتها تبكى حسدا لما تراه منها من خلق
أو خلق ، أو تعتبر من ذلك ، قال ابن الانبارى : معناه أن ضررتها
ترى منها ما يعبر عينيها «323» أى يبكيها ، قال وفيه معنى
آخر : انها ترى من عفتها ما تعتبر به ، ومن رواه « غير

«322» معقر : م س ، معقر : ز ، معقرا : ك .

«323» عينيها : س ، عينيها : م ك .

جارتها « وكذا رويناه في بعض الاحاديث المنثورة «324» عن
ابى بكر محمد بن عبد الله الفقيه من رواية ابى سلمة المنقرى ،
فهو من الغيرة ، قال الخليل : غار الرجل غيرة وغيرا «325»
فهو غيران ، فكأن الهاء حذفت وابدلت من الالف ياء ، وقد حكى
غيره : الغيرة والغير والغار بمعنى ، والغير أيضا مصدر غار
أهله ، أى مارهم ، قاله ابن دريد . ومن رواه « حير » فمن
الحيرة ، وكذا وقع في كتاب النسائي عند بعضهم ، وأراه هكذا
عند ابن الاحرر القرشي ، قال صاحب العين : حار بصره يحار
حيرا وحيرة اذا نظر الى الشيء فعشى وتحير ، واستحار
اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران ، وهذه الالفاظ كلها بمعنى متقارب
من الرواية المشهورة ، أعنى « غيظ جارتها » ، ومن رواه
« حبر » بالباء ، وكذا وجدته في بعض الاصول ولم اروه ، فان
صح فهو من معنى قولها قبل : « طوع أبيها وأمها وحبر
جارتها » أى مسرة مجاورتها ، ولا تكون الجارة هنا الضرة ،
لكن المجاورة فى المحل والمنزل ، فهى مسرورة بما تراه من
جمالها وعفتها ، أو بما توليها من احسانها ونعمتها ، والحبرة
السرور ، ومنه قوله تعالى « فى روضة يحبرون » «326» ،
والحبر والحبار الاثر ، قالوا : ومنه سمي السرور ، لان اثره
يظهر فى وجه صاحبه .

«324» المنثورة : س ، المشهورة : ز .

«325» وغيرا : س ، وغارا : ز .

«326» سورة الروم ، الآية 15 .

معناه :

وصفتها بأنها ممتلئة الجسم ، كثيرة اللحم ، وعبرت عن ذلك بامتلاء كسائها ، لأنها لا تمتلئ الا لعظم جسمها ، وكمال شخصها ، وكثرة لحمها ، ونعمة جسمها ، وهذا مما يمدح به النساء ، ويذممن بضده ، قال امرؤ القيس :

وببيت عذارى يوم دجن ولجته يطفن بجماء المرافق مكسال
سباط البنان والعرايين والقنا لطاف الخصور في تمام ولكمال
وقال غيره :

ومخملة باللحم من دون ثوبها تطول القصار والطوال تطولها
وقال الحرمازى «327» في ضده :

لا يعجب المرء منها حين يعجلها
من دون أثوابها عرض ولا طول
كأنها مشجب شكت مآثره «328»
أو طائر من بنات الماء مهزول
وقال الآخر :

في كل عضو لها قرن تصك به
جنب الضجيع فيضحى واهى الجسد
وفي المثل : لو قيل للشحم أين تذهب ؟ لقال : اصلح العوج ،
وعابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن ، فعابوا الفرضاة ،

«327» الحرمازى : زك ، الحرمازنى : م س ، ولعل الصواب الاول ،
والحرمازى : هو اعشى بنى حرماز واسمه كهس .
«328» مآثره : س ، مآثره : ز .

والمفاضة ، والعفضاج ، والعضنكة ، والجائب (78) ، ومدحوا
المبتلة ، والخذلجة ، والبرهرهة ، والعبهرة ، والدرماء ،
واللفاء (79) ، وعابوا الدمية (80) ، والقصيرة ، ومدحوا
الطويلة والعطبول ، والفارعة ، والخرعبة ، والممشوقة ،
والمهفهفة (81) ، قال الشاعر :

طويلة خوط المتن عند قيامها ولى بطويلات المتن ولوع
وقال الآخر :

وانت التى حببت كل قصيرة الى ، وما تدرى بذاك القصائر
اردت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطى ، شر النساء البحاتر

(78) « الفرضاخة » : العريضة الغليظة كثيرة اللحم عريضة
الثدين . و « المفاضة » : العظيمة البطن المسترخية اللحم .
و « العفضاج » : مثله . و « العضنكة » : العجزاء اللفاء الكثيرة
اللحم المضطربة ، وقيل : هى التى ضاق ملتقى فخذيها مع
ترارتها وذلك لكثرة اللحم ، والترارة السمن . و « الجائب » :
القصيرة .

(79) « المبتلة » : التامة الخلق التى انفرد كل شئ منها بحسنه .
و « الخذلجة » : الرياء المتلثة الذراعين والساقين .
و « البرهرهة » : السمينه التى لها بريق من صفائها .
و « العبهرة » : المتلثة الرقيقة البشرة الناصعة البياض .
و « الدرماء » التى لا تستبين كعوبها ولا مرافقها لكثرة اللحم
فهى غير ناثلة ، وهو دليل السمن . و « اللفاء » : ملتفة
الفخذين ، أى ضخمة الفخذين مكتنزة .

(80) « الدمية » : القبيحة .

(81) « العطبول » : الجميلة الفتية المتلثة الطويلة العنق .
و « الفارعة » : الطويلة . و « الخرعبة » : الشابة الحسنة
الجسيمة فى قوام . و « الممشوقة » : حسنة القوام قليلة اللحم .
و « المهفهفة » : الخميصة البطن الدقيقة الخصر .

وقال عروة بن الزبير : ما عشقت من امرأة قط الا شرفها ، قيل طولها ، وقيل حسبها ، ثم وصفتها بعظم الروادف ، وقيام الصدر ، وحسن بنية الكتفين ، وضمور البطن ، واندماج الخصر ، بقولها « صفر ردائها » أى ان رداءها كالفارغ الخالى منها ، اذ لا يمس من جسمها شيئاً ، فردفها وكتفها تمنع مسه من خلفها شيئاً من جسمها ، ونهداها يمنعانه أن يمس شيئاً من مقدمها ، وقد قال الآخر :

ابت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشى تتلوت نبهن حاسدة وهجن غيورا
وذهب الهروى الى ان معنى قولها : « صفر ردائها » أى انها ضامرة البطن ، والرداء ينتهى الى البطن ، وقال أبو الحسن ابن ابى معشر النحوى : « صفر ردائها » تصفها بأنها خفيفة موضع الاردية «329» ، وهو أعلى بدنها ، و « ملء كسائها » تقول : ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنها ، ونحوه لابن ابى اويس ، وهذا كما قال الآخر :

تساهم ثوباها ففى الدرع رادة وفى المرط لفاوان ردفها عبل
وكما قال ابن الطثرية :

عقيلية أما ملأت ازارها فدعص ، وأما خصرها فبتيل
ويؤيد هذا المعنى ما وقع فى بعض الروايات « ملء ازارها » فى موضع « كسائها » ، فجاء مطابقا للبيتين ، فان الازار هو ما اثتر به ، والمرط : كساء من صوف مربع كان النساء يأتترن

«329» الاردية : س ، الردية : ز م ك .

به ، وقد يكون من غير الصوف ، وقال ابن دريد : المرط ملحفة يؤتزر بها ، فاستبان من هذا ان الكساء والازار هاهنا بمعنى المرط في البيت ، ثم أكدت الثناء عليها بأنها خير نسائها ، أى نساء وقتها أو قومها ، وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها في الكمال وخلقها : غيظ جارتها ، أى ضررتها ، أو مجاورتها ، وان ما تراه من ذلك يغيظها وتغار له ، وتحار منه ، وتعتبر حتى لا تهتدى لامرها ، ولا تستقيم لسبيلها ، ويكاد بصرها يعشى اذا نظرت الى جمالها وكمالها ، اذ ليست كذلك ، ويعقرها ويبيكها حسدا لها ، وغيره بها ، فيكون معنى يعقرها : اما يهلكها حسدا ويسبب حينها ، أو يجرح لذلك قلبها ويبيكها «330» ، على ما تقدم من تفسير عقر ، ويكون معنى هذه الالفاظ كلها منتسابها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

في هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن مجهولات ، فبنت أبى زرع وان كانت منسوبة فهي في حكم المجهولة ، لبعد وقتها ، وفناء زمنها ، ومجهلة عينها وابيها ، والذي يمنع من ذلك : وصف النساء المعينات بحضرة الرجال ، وان يذكر من أوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال اشفاف النظر اليه ، أو توصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء عليه ، وقد قال عليه السلام :

«330» يبيكه : م س ، ينكيه : ك .

« لا تصف احداكن جارثها الى زوجها حتى كأنه يراها (82) » .
وزجر عليه السلام « هيت » المخنث ، ويقال « ماتع »
المخنث ، والنقصة لهيت أشهر ، ومنعه الدخول على نسائه اذ
سمع منه من وصفه لبادية بنت غيلان الثقفية ما سمع ، فقال له :
لقد غلغلت النظر يا عدو الله ، وفي رواية الا أرى هذا يعلم
ما هاهنا ، ثم نفاه عن المدينة اذك الى الحمى (83) . وكراهة

(82) رواه البخارى فى باب لا تباشر المرأة المرأة فتسنتعها لزوجها من
كتاب النكاح ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :
قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة المرأة فتسنتعها
لزوجها كأنه ينظر اليها » . ورواه ابو داود فى باب ما يؤمر به
من غض البصر من كتاب النكاح (رقم 2150) . ورواه
الترمذى فى الاستئذان ، والنسائى ، والامام أحمد (رقم 3609 ،
3668 ، 4175) .

(83) روى البخارى فى باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على
المرأة من كتاب النكاح ، عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه
وسلم كان عندها وفى البيت مخنث ، فقال المخنث لآخى أم سلمة
عبد الله ابن ابى أمية : ان فتح الله لكم الطائف غدا ادلك على
ابنة غيلان ، فانها تقبل بربع وتدبر بثمان . فقال النبى صلى
الله عليه وسلم : « لا يدخلن هذا عليكم » . ورواه البخارى
أيضا فى المغازى وفى اللباس . ورواه مسلم فى باب منع المخنث
من الدخول على النساء الاجانب من كتاب السلام ، وادخل فى
الباب حديث عائشة قالت : كان يدخل على أزواج النبى صلى
الله عليه وسلم مخنث ، فكانوا يعدونه من غير أولى الأربعة ،
قال : فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض
نسائه وهو ينعت امرأة ، قال : اذا اقتبلت اقتبلت بأربع ، واذا
ادبرت ادبرت بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا
أرى هذا يعرف ما هاهنا ، لا يدخلن عليكن » . قالت : فحجبوه .
ورواه الامام مالك فى الاقضية ، وابو داود فى الادب ، وابن
ماجه فى النكاح وفى الحدود .

قال ابن حجر : وزاد ابن الكلبى فى حديثه : فقال النبى
صلى الله عليه وسلم : « لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله » ،
ثم أجلاه عن المدينة الى الحمى .

النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنه لوجوه :
احدها : ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من أجسامهن
وعوراتهن بين النساء والرجال مما لا يجوز الاطلاع عليه .
والوجه الثانى . انه أنكر عليه غلظة النظر الى أن وصل منه
الى معرفة ذلك مما لا يباح للنساء ، فكيف للرجال ؟ .
والثالث : انهم كانوا يعدونه من غير اولى الاربة من الرجال
الذين يجوز لهم الاطلاع على ظواهر محاسن النساء ، فلما رآه
يقصد من أوصاف النساء الى ما يستحسنه الرجال دل ذلك على
أن عنده اربة فى النساء وميلا الى ما يرغبه الرجال ويميلون
اليه ، وقولها « طوع أبيها ، وطوع أمها » أى انها بارة
بهما ، غير خارجة عن رأيهما ، وهذا يدل على عفتها وعقلها ،
ومن رواه « زين » فمعناه أن من له مثل هذه البنت فى كمالها
وجمالها يتزين بها ويتجمل ، قال الله تعالى : « المال والبنون
زينة الحياة الدنيا » « 331 » .

وغريب قولها « برود الظل » أى انها حسنة العشرة ،
كريمة الجوار ، يقال فلان يأوى الى ظل فلان ، اذا كان تحت
اكرامه وعزه وحمائته ، كأنه استراح اليه
استراحة المستجير « 332 » بالظل « 333 » ، والظل يعبر به
عن العز ، حكاه ابن دريد ، وهذا يؤيد رواية من روى « حبر
جارتها » ، وقولها « وفى الال » أى العهد ، قاله ابن الانبارى

« 331 » سورة الكهف ، الآية 46 .
« 332 » المستجير : ز ، المستحر : م ك ، المستريح : س .
« 333 » بالظل : سن ، للظل : ز ك .

والهروى ، و « الال » أيضا القرابة ، قال الله تعالى :
 (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة «334») أى قرابة ولا عهدا
 عند بعضهم ، وقولها « كريم الخل » أى الخليل والصاحب ،
 وقد تصفها بشرف الزوج فهو خلها ، وقد تريد بـ « الخل »
 هنا المخاللة والصحبة ، قال الحربى : يقال فلان كريم الخللة
 والخل والمخاللة أى الصحبة .

عربيته :

ذكر « برودا وكريما ووفيا » ، والموصوف به مؤنث لأنها
 ذهبت به مذهب التشبيه ، أى هى كرجل بهذه الصفة ، قاله ابن
 «335» الانبارى وأنشد عليه لعروة بن حزام :
 وغفراء «336» عنى «337» المعرض المتوانى
 وفيه وجه آخر : على تقدير الحمل له على مذكر محذوف ،
 كأنها قالت هى شخص أو شىء برود الظل وكذا وكذا «338» ،
 وقد حمل عليه معنى بيت عروة المذكور .

معناه :

وصفتها بحسن الصحبة والرعاية لمن صحبتها وجاورها ،
 وكرم العشرة معهم وعزهم فى جوارها ، وانها ذات خل كريم ،

-
- «334» سورة التوبة ، الآية 10 .
 «335» ابن : ز س ، — : م ك .
 «336» غفراء : ز ك ، عقراء : م ، غفراء : س .
 «337» عنى : ز ك ، اعنى : م س .
 «338» وكذا وكذا : س ، او كذا : ز ، او كذا وكذا : م ك .

وزوج شريف ، ان فسرنا الخل بالخليل ، اوانها كريمة المخاللة
والمعاشرة ان كانت كنت بالخل عن ذلك ، وانها وفيه لعهود
الزوج والجار ، وصوله لمن بينها وبينه ذمة أو سبب .

غريب قولها في جارية ابي زرع : « لا تبث حديثنا » أى
لا تنشره وتظهره ، يقال بثثت فلانا سرى ، أى أظهرته له
واطلعته عليه ، واصله النشر ، قال الله تعالى « كالفراش
المبثوث » «339» ، ومن قال (تنث) بالنون : فمعناه تظهر ،
يقال نث الحديث ينث ، قال ابن الاعرابى : النثاث المغتاب ،
وقال ابن حبيب : النث والنبث بمعنى ، ويؤيده «340» ما ورد
مفسرا في الحديث الآخر قولها « ولا تخرج حديثنا » ،
و « تبثيثا » «341» مصدره ، ومن رواه
« تفتيثا » «342» فمعناه استقصاء على حديثهم ونما بهم .
وقولها « ولا تنثت ميرثنا تنقيثا » قال ابو عبيد : التنقيث :
الاسراع في السير ، أى لا تذهب به وتخون فيه ، وهذا مثل
قوله في الرواية الثانية « تنقل » ، واصله من قولهم : تنقثت
العظم ، اذا استخرجت ما فيه ، وقال النيسابورى : التنقيث
اخراج ما في منزل أهلها الى غيرهم ، وهما متقاربان ،
وقال ابن حبيب : معناه لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ،

«339» سورة القارة ، الآية 4 .
«340» ويؤيده : س ، ويعضده : م ك ، وبعضه : ز وهو تصحيف .
«341» تبثيثا : ز ك ، تنثيثا : م س ، ولعل الاول اولى .
«342» تفتيثا : ز ، تغشيثا : ك ، تغشيثا : م س ، ولعل
الاول اصوب .

وليس من الاسراع فى السير ، والتتقيث من الفساد والتفرقة ، وقال ابن السكيت : تنقيثا أى نقلا ، وقال ابن ابي اويس : لا تسرق ، وعلى رواية من قال تغث «343» فمعناه تفسد ، وكذلك روى « تفسد » مفسرا فى الحديث الآخر ، ومنه حديث ابي بكر : ان مما صغر عندي هذا الفتحة وغثته «344» على بكاء الحى على القبيل ، قال ثابت : أى أفسده ، واصله من العثة «345» ، وهى السوسة ، يقال عثت الصوف اذا أكلته .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

فعلى هذا أيضا يصح معنى « تغث » أى تأكل أكل فساد كما تفعل السوسة (84) ، وقولها فى رواية الزبير « تفسد ميرتنا تقشيشا » «346» فمعناه عندي قريب من الاول ، أى لا تفسد ميرتنا بالنقل والخيانة والاحتجان والاسراف فى أكلها ، قال الخليل رحمه الله : أقش القوم وانقشوا اذا اختلطوا ، قال : والقش والاقشاش طلب الاكل ، قال ابن دريد : والتقشيش مثله ، قال : وقش ما على الخوان اذا أكله أجمع ، قال : وقششت الشيء قشا اذا جمعته ، وحكى الثعالبي عن الليث : القش والتقشيش طلب الاكل من هنا وهنا . و « الميرة » ما يمتاره البدوى من الحضر

«343» تغث : ز ، تعث : س .

«344» غثته : ز ، عثته : س .

«345» العثة : م ك ، الفثة : ز ، العثته : س وهو غلط .

«346» تقشيشا : س ، تعشيشا : ز . ولعل الصواب : تقشيشا .

(84) « تغث » : بالغين المعجمة ، أما « العثة » التى هى السوسة : فبالعين المهملة . تأمل .

من دقيق «347» وغيره ، فمعانى هذه الالفاظ وان اختلفت متقاربة ، وقولها « ولا تملأ بيتنا تعشيشا » فمن رواه بالغين المهمة فمعناه أى انها مصلحة للبيت ، مهتبله بتنظيفه والقضاء كناسته وابعادها منه ، وليست ممن تضم كناسته وسقطه هاهنا وهاهنا ، وتتركها مجتمعة فى أماكن منه كأنها الاعشاش ، هكذا فسر هذا المعنى بعضهم ، وقال ابن ابى اويس عن أبيه : أرادت انها تقيم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب فكأنه عش طائر فى قذره وقشبه . وقال الهروى : لا تفسد ميرتنا تعشيشا «348» ، معناه أنها لا تخوننا فى طعامنا فتخبأ فى هذه الزاوية شيئا وفى هذه شيئا كالطيور اذا عششت عششة فى مواضع شتى ، وقال الخطابى : هو مأخوذ من قولهم عشش الخبز اذا فسد ، يريد انها تحسن مراعاة الطعام ، وتتعاوده بأن تطعم منه أولا فأولا طريا ، ولا تغفله فيفسد ، ومن قال « تغشيشا » بالغين المعجمة فهو من الغش ، قال الهروى : وهو بمعنى الاول ، وقال ابن السكيت : هو من النميمة ، وقولها « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » أى لا تستخرجها استخراجا ، والنجيثة ما يخرج من البئر من تراب .

معناه :

وصفتها بالامانة على السر «349» والمال ، والقيام

-
- «347» دقيق : س ، طعام : ز .
«348» لا تفسد ميرتنا تعشيشا : س ، — : ز . ولعل الصواب اثباتها .
«349» السر : س ، الامل : ز .

بمصالح خدمتهم ، والنصح لهم ، وانها لا تقشى لهم حديثا ،
ولا تبذر لهم طعاما ، ولا تخون فيه ، ولا تنقله الى غيرهم ،
ولا تفسده ، ولا تسيء صنعتة وتضيعة ، ولا تدخل بينهم
الضعائن ، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم .

وغريب قولها في ضيف أبى زرع « في رتع وري » أى
تنعم «350» . قال الله تعالى (نرتع ونلعب «351») (85)
وأكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة ، وقولها : « طهاة أبى
زرع » أى طباخوه ، قال امرؤ القيس :

فظل طهاة اللحم من بين منضج

وقولها « لا تفتتر » أى لا تسكن ولا تضعف في خدمتها ،
والفتور السكون ، والفتور الضعف ، وقولها « ولا تعدى » أى
لا تصرف ، قاله ابن الانبارى ، يقال «352» عداه عن الشيء

«350» تنعم : س ، لهو : ز .

«351» سورة يوسف ، الآية 12 .

«352» يقال : س ، قال ابن دريد : ز .

(85) قوله تعالى : « نرتع ونلعب » بنون المضارعة في الكلمتين ،
وباسكان العين في « نرتع » : على رواية حفص عن عاصم .
والمعنى من الرتع ، أى الاكل والشرب ما شاء الانسان في خصب
وسعة ، أو هو الاكل والشرب رغدا في الريف ، وأكثر تفاسيره
ترجع الى اللهو والمسرة كما قال القاضى عياض رحمه الله .
أما رواية ورش عن نافع فهي : « يرتع ويلعب » بياء
المضارعة في الكلمتين ، وبكسر العين في « يرتع » والمعنى
فيها من الرعى .

يعدوه اذا صرفه عنه ، قال ابن دريد «353» : ويقال العداء والعدواء الشغل، يعدوك عن الشيء ، وقولها « تقدح » أى تغرف والمقدحة المغرفة ، قاله الهروى وغيره ، « وتنصب » ترفع على النار ، قال ابن دريد : نصب القوم السير اذا رفعوه ، وكل شىء رفعته فقد نصبته ، والمنصب شىء من حديد تنصب عليه القدور ، وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ذو منصفة أى كد وتعب ، وقولها فى ماله « على الجمم معكوس » الجمم جمع جمّة وهم القوم يسألون فى الدية ، قاله ابن الانبارى ، وأنشد :

نضرب فى الهيجا ونعطى فى الجمم

و « معكوس » أى مردود معطوف ، و « العفاة » ، السائلون ، و « محبوس » موقوف عليهم .

معناه :

وصفت توسعته على ضيفانه فى المأكول والمشروب ، واکرامهم بما يطربهم ويلهيمهم ويسرهم ، وانه جواد كريم ، لا ينقطع اطعامه ، ولا تغب قدوره ، ولا تستريح طهاته ، وان ماله محبوس على السؤال والطالبين ، موقوف على مبتغى الرشد وقاصدى النيل ، مردود عليهم .

وغريب قولها « والاطواب تمخض » : الاوطاب تختص بأسقية اللبن ، وتسمية غير اوعية اللبن بها على ضرب من

«353» ابن دريد : س ، الخليل : ز .

المجاز والمشابهة ، واحدها وطب ، وجمعه المعروف وطاب في الكثرة وأوطب في القلة ، وقد جمعوا اوطبا على اواطب ، وأما اوطاب فنادر . تنبيه : ذكر ابو سعيد النيسابوري أن جمع وطب على أوطاب في هذا الحديث منكر في العربية ، لان فعلا لا يجمع على أفعال .

قال الفقيه القاضي رضى الله عنه :

لم يقل ابو سعيد شيئا ، اما انكاره أن يجمع وطب على أوطاب في العربية فهذه عربية صحيحة ، منقولة عن أفصح العرب ، وبأصح الطرق ، فحكاها النبي صلى الله عليه وسلم أو حكنتها عائشة بحضرته ، ورواها فصحاء التابعين ، ولا يحكون لنا ، وذكروها عن عرب عاربة وجاهلية بائدة قولها حجة ، وليتنا وجدنا مثل هذه الطرق في أكثر اللغة ، ولا يقال في مثل هذا منكر ولا خطأ ، ولكنه يقال نادر ، وكيف وأئمة هذا الشأن يخافونه ؟ قال الخليل : جمع الوطب وطاب واوطاب ، وحكى مثله ابن دريد في الجوهرة ، وأما قوله فان فعلا لا يجمع على أفعال ، فغير مسلم ، فقد جمع فعل على أفعال في حروف معلومة ، قالوا : ازناد وأفراخ وأفراد واجداد ، وانف وآناف ، ورفع وارفاغ ، ورأد وأراءد ، حكاها سيبويه ، قال : وقد يجىء في فعل افعال مكان افعل ، كما قال الشاعر :

وزندك أثقب ازنادها

قال سيبويه : وليس ذا بالباب في كلام العرب ، يعنى انه ليس بالمطرد ، ومثله :

وأمست على أنافها غبراتهما

قال : والقياس في فعل أفعل في القليل ، وفي الكثير فعال أو فعول ، وما سوى ذلك فلا يعلم الا بالسمع ، وحكى الفراء : احلاق جمع حلق ، وفي الحديث الصحيح : « على أنقاب المدينة ملائكة (86) » ، جمع نقب ، واما ما كان عينه ياء أو واو من باب فعل فجمعه في القليل افعال ، نحو أسواط وأثواب وأنواع وأقواس وألواح وأبيات وأقياد وأشياخ وأعيار وأعيان ، وهو باب مطرد كثير مستعمل معروف في المعتل ، وهو في الصحيح نادر ، وقد قالوا أهل واهال وارض وارض ، ومثله أجفان وأشكال ، وحكى بعضهم حمل وأحمال وحبر وأحبار ، وقد يقال ان أفعالا هاهنا محمول على فعل ، فقد قالوا حبر أيضا ، وقالوا حمل ، كما حملوا أشعارا وأنهارا على فعل من شعر ونهر ، فلا ينكر ما جاء على هذا اذا سمع كما قال سييويه رحمه الله ، وقد رأيت في بعض روايات هذا الحديث في أصل قديم من كتاب النسائي رواية حمزة الحافظ والاطاب تمخض ، مبشور الواو مصلحا ، فان صحت هذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا ، فهي على الاصل وجمع وطاب ، ثم ابدل الواو همزة ، كما قالوا أشاح ووشاح ، ووعاء واعاء ، ووكاف واكاف ، ووقاء واقاء ، ووسادة واسادة والله تعالى أعلم . ووقع في رواية يعقوب بن

(86) رواه البخارى في باب لا يدخل الدجال المدينة من كتاب الفتن ، عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على انقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » . واخرجه ايضا في فضائل المدينة . ورواه مسلم ومالك واحمد

السكيت في زيادة غريبة وقعت في بعض نسخ الالفاظ له :
« والوطاب تمخض » على الاصل ، حدثنا بهذه الزيادة «354»
شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان النحوى عن خاله ابى
محمد غانم بن وليد ، وفي أصله قرأت ومنه نقلت ، عن ابى عمر
السهمى بسنده الى يعقوب .

معناه :

قولها « فخرج من عندى ابو زرع والاطاب تمخض »
يحتمل أنها أرادت تبكير خروجه من منزلها ، وغدوه لذلك ،
لانه وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم ومهنتهم ، وانطوى أثناء
ذلك كثرة خير داره ، وغزر لبنه ، وان عندهم منه ما يشرب
صريحا ومخيفا ، ويفضل عن حاجتهم ، حتى يمشوه في
الاطاب ويستخرجوا زبده وسمنه كما قالت : « فنقلنى الى
أهل صاهل وجامل ودائس ومنق » ، ومن هذا حديث الحجاج
وقد سأل وافدا عليه عن الغيث ، فقال له : كانت سماء ولم
أراها ، وسمعت الرواد تدعو الى زيادتها ، وسمعت قائلا يقول :
هلم أظعنكم ، الى محلة تطفأ فيها النيران ، وتشتكى فيها
النساء ، وتنافس فيها المعزى ، قال فلم يفهم الحجاج مراده ،
فاعتل عليه ، وقال له : انما تخاطب أهل الشام فأفهمهم ،
فقال : اما طفاء النيران فاخصب الناس وكثر الزبد والسمن
واللبن ، فاستغنوا عن النار للخبز ، واما تشكى النساء فان
المرأة تربق بهما ، وتمخض لبنها ، فتبيت ولها أنين من

«354» الزيادة : ز م س ، الرواية : ك .

عضديها ، فى حديث طويل ، ويحتمل أن تريد أنه خرج فى استقبال الزمن وطيبه وربيعه ، ووقت يمخض الناس ، وأن خروجه اما اسفر أو غيره كان فى هذا الزمان ، فتكون الفائدة فى الاحتمال الاول تعريفها بخروجه عنها بكرة من النهار ، وفى الاحتمال الثانى اعلامها بوقت خروجه عنها فى «355» فصول الزمان ، وقولها « معها ولدان كالفهدين » وفى رواية « كالصقرين » وصفت ولديها بالفهدين أو الصقرين لاسر خلقهما ، واكتناز اجسامهما ، واحتاجت الى ذكرهما هاهنا — والله اعلم — لتنبه أن ذلك كان احد أسباب تزويج ابى زرع لها ، لان العرب كانت ترغب فى الاولاد ، وتحرص على النسل وكثرة العدد ، وتستعد لذلك بالنساء المنجبات فى الخلق والخلق ، فيحتمل أن أبا زرع لما رأى هذه المرأة ، واعجبه خلقها ، وولداها ، لكمال خلقهما ، وظهور مخايل النجابة فيهما ، حرص عليها ، وقال اسماعيل بن ابى اويس : « كالفهدين سارين حسنين نفيسين » ، ومن رواه « أخواها » خلاف المشهور والاصح والاكثر من الروايات ، فان حمل على ظاهره كان أمدح لها ، وأدل على صغر سنها ، ونهود ثديها ، كما قال الهذلى :

لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ويؤيده قوله فى رواية غندر « فمر بجارية ثابة » «356» وقد يتأول فيجمع بينه وبين رواية من روى أنهما ولداها بأن يجعلها

«355» فى : م س ، من : ز ك .
«356» ثابة : ز م س ، — : ك .

أخوين لها في حسن الصورة ، وكمال الخلقة ، وقولها « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » ذهب بعضهم الى أنه أراد ثدييها ، ورد هذا أبو عبيد قال : وليس هذا موضعه ، وإنما أراد أنها ذات كفل عظيم ، فاذا استلقت نثا الكفل بها عن الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان ، ويؤيد تأويل أبي عبيد ما ورد في أحد (87) الروايات المتقدمة « يرمى من تحت خصرها بالرمانتين » ولا يقال في الثديين « يرميان » ، ويعضده أيضا ما وقع مفسرا في حديث أبي معاوية عن هشام الذي قدمناه ، وقولها فيه « فمر بجارية يلعب معها أخوها ، وهي مستلقية على قفاها ، وأخوها معها رمانة يلعبان بها ، يرميان بها من تحتها ، فتخرج من الجانب الآخر ، من عظم أليتها » ، ففسر الامر كما تراه ، فان سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال ، على أن هذا الكلام بعيد من نمط كلام أم زرع جدا ، ويعضد التأويل الآخر قولها في الرواية الاخرى « يلعبان من تحتها » و « من تحت صدرها » وقوله في رواية غندر « يلعب من تحت درعها برمانتين » ، ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم بالرمان تحت اصلاب امهاتهم ، وكيف تجلس هذه المرأة لهم وتستلقى حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم ؟ ، وأيضا فان حمل الرمانتين بالالف واللام على ما وقع في بعض الروايات على رمانتين من الرمان لا يجوز في العربية ، لان رمانتين من

(87) « أحد » كذا بالاصول ، والاولى : « احدى » .

الرمان نكرتان ولا يصح أن يدخل فيها الالف واللام ، ولا يصح أن تريد رمانتين من الرمان معهودتين ، والاشبه أن يكون المراد بهما النهدين ، ويكون قوله « يلعبان من تحت خصرها ، أو صدرها أو درعها » : أى أن ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين ، وان ولديها كانا فى حضنيها ، أو حفاى جنبها ، وتشبيهه النهدين بالرمانتين يدل على نهودهما وكعوبهما ، وذلك لصغرهما ، وفتاء سنها ، وانها بعد ممن لم تسن وتترهل وتهبل فتتكسر «357» ثدياها وتتدلى ، وليسا يشبهان حينئذ بالرمان ، وذهب الداوودى الى أن معنى هذا : أى يرميان من تحتها اذا رقدت على جنبها لرقعة خصرها ، والكلام فيه على ما تقدم .

وقولها : « وكل بدل أعور » فهذا مثل ، ومعناه أن البديل من الشيء لا يقوم مقام المبدل منه ، وانه دونه وانزل منه ، وقولها « أعور » أى معيب ردىء ، وليس من عور العين ، حكى ثعلب : الاعور الردىء ، قال : والعرب تقول للردىء من كل شيء أعور ، وللانثى عوراء ، ومنه قالوا كلمة عوراء ، أى قبيحة ، قال الشاعر :

اذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ، ولو شاء لانتصر
وقال الكميت :

ولا استعذب العوراء يوما فقالها

«357» فتتكسر : س ، فتتكسر : ز ، ولعل الصواب بياء المضارعة بدلا من التاء ، وتتدلى : لعل الصواب فيها : يتدليا .

فأخبرت أن هذا البذل لم يسد مسد أبى زرع كما فسرته بعد هذا ، و « السرى » بالسین المهملة الرجل السيد ذو السرو ، أى المروءة ، قال الحربى فى تفسيره : سخيا ، والسرى من كل شىء خياره ، ويقال بالثین المعجمة أيضا ، والجمع سرارة وشرارة ، حكاهما يعقوب ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن سراج رحمه الله عن أبى على القالى : أن الشرارة بالثین المعجمة أيضا الردى فهو من الاضداد ، والشرى أيضا «358» بللثین المعجمة الفرس الذى يشتى فى سيره ، أى يلج ويمضى بلا فتور ولا انكسار ، قال ثابت : شرى البعير فى سيره اذا اسرع ، ومنه شرى البرق اذا كثر لمعانه ، وشرى الامر اذا تفاقم وترامى ، وقال معمر : معناه جاد «359» السير ، وقال يعقوب : فرس شرى خيار فائق ، ومن روى « اعوجيا » فهو منسوب الى فرس اسمه «360» أعوج ، هو من الخيل العرب المشهورة التى تنسب العرب اليها جياذ الخيل ، وهما فرسان : احدهما فرس كان لكندة ثم تصير لسليم ثم لبنى هلال بن عامر ، قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك ، يعنى من كندة ، فغزا بنى سليم فقتلوه وأخذوا فرسه ، وقال أبو العباس المبرد : اعوج فرس لغنى ، وقيل لبنى كلاب ، قيل وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن

«358» والشرى أيضا : س ، وقال الخليل الشرى : ز ، والشرى : ك .

«359» جاد : س ، حاد : ز .

«360» اسمه : س ، اسمها : ز ، وكلاهما صحيح لان الفرس تطلق على الذكر والانثى .

تشدد عظامه فاعوجت قوائمه ، وقيل بل اعوج ظهره ، وامه
سبل فرس كانت لغنى مشهورة ايضا ، وهذا هو أعوج
الاصغر ، واما اعوج الاكبر فمشهور أيضا ، وهو ولد فرس
اسمه ارا الهجرس «361» ، والهجرس ولد فرس اسمه
الدينار ، والدينار ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داود
عليهما السلام ، من بقية الخيل التي خرجت له من البحر ، وكان
أعطاه لقوم وفدوا عليه من جرهم ، وقال لهم تصيدوا على
هذا الفرس ما شئتم ، فكان لا يفوته شيء ، فسمى زاد
الراكب ، قال ابن خالويه : واليه تنسب أكثر
الافراس المشهورة ، ذكر لنا ذلك كله الاستاذ أبو عبد الله
ابن سليمان ، وبعضه عن غيره ، وذكر مثله ابن لهيعة
الاخبارى فى كتاب الحلائب والجلائب و « الخطى » الرمح ،
نسب الى الخط ، وهو موضع من ناحية البحرين ، تأتى
الرماح اليها من الهند ، ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب
فينسب اليه ، ولا يصح قول من قال ان هذا الموضع ينسب
الرماح ، وقيل ان سفينة فى أول الزمان مملوءة رماحا قذفها
البحر مرة الى هذه الناحية ، فخرجت رماحا فيها ، فنسبت
اليها ، وقيل الخط الساحل ، وكل ساحل خط ، حكاه صاحب
الجمهرة عن بعض اللغويين ، قال والخط سيف البحرين
وعمان ، و « أراح » من الرواح ، ومعناه أتى بها للمراح ،
وهو موضع مبيت الماشية ، ولهذا سماها بعد « رائحة » ،

«361» ارا الهجرس : م ، اربى الهجرس : ز ، ارى الهجرس :
ك ، ارا المبحرس : س .

وقال ابن ابي اويس : تقول غزا فأتى بنعم كثيرة ، والنعم الابل خاصة ، جمع لا واحد له من لفظه ، وذكر بعضهم أنه ينطلق أيضا على جماعة المواشى اذا كان فيها ابل ، والانعام المواشى من الابل وغيرها ، وقد قيل ان النعم والانعام بمعنى واحد ، والنعم تذكر وتؤنث ، قال الله تعالى « ومن الانعام حمولة وفرشا »362» ، ثم قال « ثمانية أزواج »363» « فذكر أنواع الماشية ، ووقع في بعض الروايات « نعما » جمع نعمة ، والاشهر « نعما » بالفتح ، والثرى الكثير من كل شئ ، يقال ثرى بنو فلان بنى فلان أى صاروا أكثر منهم ، ويقال اثرى الرجل اذا كثر ماله ، وقوله « ميري أهلك » أى صليهم بالميرة وهى الطعام ، وأصله من امتيار البوادي من الحواضر

عربيته :

قولها « نعما ، أو نعما ثريا » والنعم مؤنثة ، وجاء بـ « ثرى » الذى هو وصف للمذكر ولم يأت فيه بعلامة تأنيث فيقول « ثرية » ، وكذلك يلزم على القول بتأنيث النعم ، ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقى التأنيث غلك وجهان فى اظهار علامة تأنيثه فى الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركها ، وكذلك فى جموع من المذكر والمؤنث الحقيقى ، كما قال الله تعالى

«362» سورة الانعام ، الآية 142 .

«363» سورة الانعام ، الآية 143

(وقال نسوة «364») و (قالت الاعراب «365») وقال :
(رجالا كثيرا «366») و (أعجاز نخل منقعر «367»)
وقال الشاعر :

طويلا سواريه شديدا دعائمه

وقال :

لئيم مآثره ، تعدد «368»

كما لو قال : كثيرة ومنقعة وطويلة وشديدة ولئيمة الوجهان
جائزان ، واما على رواية « النعم » والقول بأنها مذكرة فهو
الوجه ولا يحتاج فيه الى كلام .

معناه :

وصفت هذا الرجل الذي تزوجته بالسؤدد في ذاته ،
والسعة في ذات يده ، وانه صاحب حرب وركوب ، وبالاخصان
اليها ، والتفضل على أهلها «369» ، ثم أخبرت انه مع هذا كله
لم يقع عندها موقع أبى زرع ، وان كثيره دون قليل أبى زرع ،
فكيف بكثيره ؟ وان حال هذا الآخر عندها معيب اذا اضافته
الى حال أبى زرع ، مع اساءة أبى زرع لها أخيرا في تطليقها ،

«364» سورة يوسف ، الآية 30 .

«365» سورة الحجرات ، الآية 14 .

«366» سورة النساء ، الآية 1 .

«367» سورة القمر ، الآية 20 .

«368» تعدد : ز ، مد : س وهو غلط ، والقعد : الجبان اللئيم

القاعد عن المكارم .

«369» على أهلها : س ، عليها : ز .

والاستبدال بها ، ولكن حبها له بغض اليها الناس بعده ، ولهذا كره أولو الرأي تزويج (88) امرأة لها زوج طلقها ، لميل نفسها اليه ، وقالوا : لا نتزوج حنانة ولا أنانة ولا منانة ، ففي الحنانة وجهان : احدهما التي لها زوج فهي تحن اليه ، والثاني الولد ممن قبلك ، فهي أيضا كثيرة الحنين اليه ، مشغلة به عنك ، والانانة : الكثيرة الامراض ، فهي تتن أبدا ، فلا يصفو عيشك معها لذلك ، والمنانة : التي لها مال تمن به عليك ، وقولها « وأعطاني من كل رائحة » ويروى « وآتاني من كل سائمة زوجا » ، وآتاني واعطاني بمعنى واحد ، والسائمة : الراعية ، والرائحة : أصله الآتية وقت الرواح ، وهو آخر النهار ، ومنه سمى المراح ، وهو موضع مبيتها ، والرواح ضد الغدو ، وفي الحديث : « لغدوة في سبيل الله اوروحة (89) » ، وفيه : « كالطير تغدو خماسا وتروح بطانا (90) » ، وقد وجد للعرب استعماله في النهار كله ، حكاة الهروى وغيره ، وعليه حمل الشافعى وغيره حديث رواح

-
- (88) « تزويج » كذا بالاصول ، والاولى : « تزوج » .
(89) رواه البخارى في باب الغدوة والروحة في سبيل الله من كتاب الجهاد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها . ثم رواه من طريق أبى هريرة ، ورواه مسلم ايضا .
(90) ذكره السيوطى في الجامع الصغير برقم 7420 ، ولفظه : « لو انكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير : تغدو خماسا ، وتروح بطانا » . رواه الامام احمد ، والترمذى وابن ماجه في الزهد ، والحاكم في الرقائق ، والنسائى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا .

الجمعة (91) ، ويقال تروح القوم وراحوا اذا ساروا أى وقت كان ، ومن رواه « وأراح على من كل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين » ، فالآبدة : أصلها «370» المتوحشة ، والجمع أوابد ، يقال أبدت تابدا وتأبد اذا توحشت ، ومنه : كلمة آبدة ، ورماء بآبدة أى بكلمة غريبة لم يعهد مثلها ، والاوابد : الوحش ، قال امرؤ القيس :

قيد الاوابد هيكل

وقد تشبه بها الابل المؤبلة «371» والنعم المهمة .

عربيته :

ومن رواه « من كل ذى رائحة » فعلى قوله ذا صباح

«370» أصلها : ز ، - : م ك س .
«371» المؤبلة : ز ك ، الطويلة : م س ، ويقال للابل « مؤبلة » اذا كانت للقنية .

(91) حديث رواح الجمعة هو ما رواه الجماعة الا ابن ماجه ، عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وقد حمل الشافعى وغيره « الرواح » المذكور فى هذا الحديث على التفكير فى الذهاب للجمعة قبل الزوال ، فيكون قد فسر الرواح باستعماله فى النهار كله . اما المالكية فقالوا ان المراد بالساعات خمس لحظات لطيفة اولها زوال الشمس وآخرها قعود الخطيب على المنبر ، فيكون قد فسر الرواح باستعماله فى العشى الذى هو ضد الغدو .

وذا ت يوم ، فكأنه دعم للكلام وصلة له ، والا فذى أصلها ألا
تضاف الا الى الاجناس ، كقولك ذو مال وذو علم ، ولا تضاف
الى الصفات فتقول ذو عالم ولا ذو عاقل ، لانه يكتفى بذكر
الصفة عنها ، بخلاف الجنس الذى لا تصف به اذا أردت الوصف
الا بذى ، أو بتصريف اسم صفة منه ، فادخلت « ذى »
لتتوصل بها الى الوصف بالاجناس ، ولأجل ذلك لم تضاف الى
صفة مشتقة ، وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ، ولا أعلم لهذه
اللفظة مثلاً فى كلام العرب .

معناه :

أرادت بقولها هذا كثرة ما أعطاها من جميع ما يروح الى
منزلها ويرعى بفنائها «372» ، من ابل وبقر وغنم وعبيد
ودواب ، وانه اعطاها أصنافاً من ذلك ولم يقتصر على الفرد فى
ذلك «373» ، حتى ثناه وضعفه احساناً اليها ، وتكرماً عليها ،
وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى مثنى ، ويضيفها الى
ما اكتسب واقتنى ، و « الزوج » يقع على الواحد ويقع على
الاثنين ، ولذلك قالوا زوجان ، ولكن لا يقع على الواحد الا
اذا كان معه آخر ، قاله الهروى ، وقال ابن دريد : الاثنان زوج
وزوجان ، والزوج : الصنف ، ومنه قوله تعالى (أو يزوجهـم
ذكرانا واناثا) «374» وقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة «375»)

«372» ويرعى بفنائها : ز ، ـ : م ك س .

«373» الفرد فى ذلك : ز ، ـ : م ك س .

«374» سورة الشورى ، الآية 50 .

«375» سورة الواقعة ، الآية 7 .

أى اصنافا ، وانكر ابن الانبارى أن يسمى الاثنان زوجا ،
وانما يقال لهما زوجان .

**وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة : « كنت اك كابتى
زراع لأم زراع » :** تطيبيا لنفسها ، ومبالغة فى حسن معاشرتها ،
لما ذكرته أم زراع من حسن صحبتها لها ، وشكرته فى «376»
جماع حاله معها ، ثم استثنى من ذلك الامر المكروه
منه ، بقوله عليه السلام « انه طلقها وانى لا اطلقك » تتميما
لتطيب نفسها ، واكمالا لطمأنينة قلبها ، ورفعاً للإيهام ، لعموم
التشبيه بجملة أحوال أبى زراع ، اذ لم يكن فيها ما يذم سوى
طلاقها لها ، ومثله قوله عليه السلام فى الرواية الاخرى « فى
الالفه والرفاء لا فى الفرقة والخلاء » ، أى فى الاتفاق لا فى
الافتراق ، لان الرفاء هو من باب الفه والاتفاق ، والخلاء من
باب الفرقة والطلاق ، قال أبو عبيد : يكون الرفاء بمعنيين :
يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، ومنه رفاء الثوب ، لأنه
يضم بعضه الى بعض ، ويكون الرفاء من الهدوء والسكون ،
وقال أبو زيد : الرفاء الموافقة ، وقيل الرفاء المال ، حكاة
المفضل عن اليمامى فى منتخبه ، وقيل الرفاء السرور ، وقال
ابن الانبارى : الخلاء المبالغة والمجانبة ، وكأنه مأخوذ من
خلاء الابل ، وهو كالحران للدواب ، ومنه حديث النبى صلى

«376» فى : ز ك ، من : م س .

الله عليه وسلم يوم الحديبية : « ما خلأت القصواء (92) » ، لا سيما وقد ورد في رواية ابي معاوية الضريير ما دل أن الطلاق لم يكن من قبل أبي زرع واختياره فانه قال « فلم تنزل به أم زرع حتى طلقها » ، وقول عائشة رضى الله عنها « بأبى أنت وأمى ، بل أنت خير لى من أبى زرع » : جواب مثلها في فضلها وعلمها ، فان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرها انه لها كأبى زرع لأم زرع لفرط محبة أم زرع له واحسانه لها ، أخبرته هي أنه عندها أفضل ، وهى له أحب من أم زرع لأبى زرع .

عربيته :

قوله عليه السلام : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » أى أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، كما قال بعضهم فى قوله تعالى « كنتم خير أمة » (377) أى انتم ، وكان زائدة ، قالوا : « (378) مثله قوله تعالى (من كان فى المهد صبيا «379) » أى هو فى المهد ، وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها «380) » أى أنت عليها ، و (صدقت أم كنت من الكاذبين «381) » ،

«377» سورة آل عمران ، الآية 110 .

«378» قالوا : ز ، — : ك س .

«379» سورة مريم ، الآية 29 .

«380» سورة البقرة ، الآية 143 .

«381» سورة النمل ، الآية 27 .

(92) رواه البخارى فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط ، من كتاب الشروط ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وعلق هذه الفقرة من الحديث فى كتاب الجهاد . ورواه ابو داود والامام احمد .

وفي بعض هذا اختلاف ، قالوا : ومنه قوله في الحديث : « كن أبا ذر (93) » . وقد يحتمل عندي هذا غير ما قالوه ، وانشدوا :

وجيران لنا كانوا كرام

وقد يصح أن تكون « كنت » هاهنا على بابها في النقص والاستعمال وإفادة زمان محصل ، أي كنت لك في سابق علم الله وقضائه كأبي زرع لأم زرع ، في احسانه لها ، ومحبتها فيه ، ويتوجه هنا فيها أيضا وجه ثالث : وهو ان تكون « كان » على بابها ، ثم يراد بها الاتصال ، أي كنت لك فيما مضى من صحبتي لك وعشرتي اياك كأبي زرع وانا كذلك لا اتبدل عنه ، كما قالوا في قول مرة بن محكان السعدي :

أنا ابن محكان اخوالى بنو مطر

انمى اليهم وكانوا معشرا نجبا

أي كان من مضى منهم نجيبا ومن بقى كذلك ، وفي الكتاب العزيز (وكان الله سميعا بصيرا) «382» ، و (ان الله كان عليما حكيما) «383» و (انه كان حليما غفورا) «384» في أمثلة

«382» سورة النساء ، الآية 134 .

«383» سورة النساء ، الآية 11 .

«384» سورة الاسراء ، الآية 44 .

(93) رواه ابن هشام في السيرة ، في « غزوة تبوك » .
وابو ذر هو جندب بن جنادة ، من بنى غفار ، صحابي جليل ،
قديم الاسلام ، اصدق الناس لهجة ، وكان كريما لا يدخر من
المال قليلا ولا كثيرا . توفي سنة 32 هـ .

كثيرة ، وهو تعالى كان فى الازل كذلك ، وكذلك هو جل اسمه ،
وعليه حمل بعضهم قوله تعالى (كنتم خير أمة) «385» و (من
كان فى المهد صبيا) «386» .

«385» سورة آل عمران ، الآية 110
«386» سورة مريم ، الآية 29 .

فقه

قال المهلب ابن أبي صفرة (94) الفقيه : فيه من الفقه جواز التأسي بأهل الاحسان من كل أمة ، الا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته فامثله النبي صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضى الله عنه :

وهذا عندي غير مسلم ، لأننا لا نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم اقتدى بأبي زرع ، بل اخبر أنه لها كأبي زرع ، وأعلم ان حاله معها مثل حال ابي زرع «387» ذلك ، لا على التأسي به ، وأما قوله بجواز التأسي بأهل الاحسان من كل أمة فصحيح ما لم تصادمه «388» الشريعة .

وفيه من الفقه جواز قول المرء لصاحبه : بأبي أنت وامى ،

«387» ابي زرع : س ، — : ز م ك .

«388» تصادمه : م س ، ترده : ز ، تضاده : ك ، وكلها بمعنى .

(94) هو ابو القاسم المهلب بن احمد بن اسيد ابن ابي صفرة التميمي ، المالكي ، من اهل العلم الراسخين في الفقه والحديث والعبادة والنظر ، اختصر صحيح البخاري ، وشرح الموطأ ، وهو غير المهلب ابن ابي صفرة امير البصرة ، توفي سنة 433 هـ .

وفداك أبى وأمى ، وهما بمعنى واحد ، وقد قاله النبى صلى الله عليه وسلم لسعد (95) رحمه الله والزبير (96) رضى الله عنهما وغيرهما ، وهو من معروف كلام العرب ، وقاله أبو بكر وغيره للنبى صلى الله عليه وسلم (97) ، وكذلك قولهم : جعلت فداك ، ونفسى فداؤك ، وقاله أبو طلحة (98) وأبو ذر

(95) قول النبى صلى الله عليه وسلم لسعد : « ارم ، فداك ابى وامى » : رواه البخارى فى باب المجن ومن يترس بقرس صاحبه ، من كتاب الجهاد ، عن على رضى الله عنه ، وفى مناقب سعد ابن ابى وقاص ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، عن سعد ، ورواه الامام احمد (1 : 124) .

وسعد هو سعد ابن ابى وقاص مالك بن ابيب القرشى الزهرى ، فاتح العراق ، واول من رمى بسهم فى سبيل الله ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 55 هـ .

(96) قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير : « فداك ابى وامى » : قتاله له حينما اتاه بخبر بنى قريظة ، رواه البخارى فى باب مناقب الزبير بن العوام ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن الزبير . ورواه الامام احمد (1 : 164) . والزبير هو ابن العوام بن خويلد الاسدى ، ابن عمه النبى صلى الله عليه وسلم ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 36 هـ .

(97) قول ابى بكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب ، وفى مناقب ابى بكر ، وقاله ابو بكر ايضا للنبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بعد ان جاء وكشف عن وجهه وقبله ، رواه الامام احمد (1 : 5) .

(98) رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب . واخرجه ايضا فى الادب المفرد (رقم الحديث 802) ، والامام احمد (3 : 261) .

وابو طلحة هو زيد بن سهل بن الاسود التجارى الانصارى ، صحابى ، من الشجعان الرماة ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان جهير الصوت ، توفى سنة 34 هـ .

(99) ورافع بن خديج (100) للنبي صلى الله عليه وسلم
(101) ، وفي شعر حسان :

فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم فداء «389»

وفيه الرد على من لم يجز قول هذا ، وما يحكى من انكاره
عن الحسن ، ومن قال بقوله ، وانه لا يفدى احد بمسلم ، وان
النبي صلى الله عليه وسلم انما قاله لأن ابويه مشركان . وهذه
عائشة رضى الله عنها أبواها مسلمان ، وقد قالت له صلى الله
عليه وسلم . وما روى من كراهية عمر لقول القائل له جعلنى
الله فداك ، وكراهية النبي صلى الله عليه وسلم مثل
ذلك من الزبير من قوله جعلنى الله فداك يا رسول الله ،

«389» فداء : س ، وقاء : ز .

(99) رواه ابو داود فى كتاب الادب (رقم 5226) ، والبخارى فى الادب
المفرد (رقم الحديث 803) ، وكذا رواه البخارى فى الرقاق
ومسلم فى الزكاة .

(100) هو الصحابى رافع بن خديج بن رافع الانصارى الاوسى
الحارثى ، كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد احدا والخندق ،
توفى سنة 74 هـ .

(101) ومما روى ايضا فى تفدية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : ما رواه الامام احمد ان عمر فدى النبي صلى الله عليه
وسلم بالاب والام (5 : 355) ، وما رواه الامام احمد ان
ابا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك ابى
وامى (2 : 335 ، 355) ، وما رواه البخارى فى الادب
المفرد ان بريدة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جعلت فداك
(رقم الحديث 805) ، وما رواه الترمذى فى الشمائل ،
باب ما جاء فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان
ابا الهيثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه
وامه .

وقوله له : ما تركت اعرابيتك (102) بعد : وقد ضعف الطبري هذه الآثار ، وتأول انكارها ان صحت ، وبجواز ذلك قال هو وغيره .

وفيه من الفقه شكر المرأة احسان زوجها ، وهكذا ترجم أبو عبد الرحمن النسائي على هذا الحديث ، وخرج في الباب معه حديث ابن عمر : لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها ، الا ترى أم زرع كيف شكرت فعل زوجها بها «390» ، ثم انظر عائشة رضى الله عنها بعد كيف شكرت للنبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بأنه خير لها من أبي زرع لأم زرع .

وفيه من الفقه تقريظ الرجل في وجهه بما فيه اذا علم ان ذلك غير مفسد له ، ولا مغير نفسه ، والنبي صلى الله عليه وسلم مظنة كل مدح ، ومستحق كل ثناء ، وان من أثنى عليه بما أثنى فهو فوق ذلك كله ، وقد ورد في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثناء الا من مكافئ (103) ، قال

«390» بها : ز ، — : ك س .

(102) روى هذا الاثر عن الزبير الطبراني كما قال ابن حجر في فتح الباري ، باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب .

(103) رواه الترمذى في الشمائل عن سيدنا على رضى الله عنه في صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (شرح جسوس 2 : 187) .

القتبي : معناه : الا أن يكون ممن أنعم عليه صلى الله عليه وسلم فيكافئه الآخر بالثناء ، ورد هذا ابن الانباري وقال : هذا غلط ، لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى بعثه للناس كافة ، وهداهم ورحمهم به ، فكلهم تحت نعمته ، والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به ، وانما المعنى : لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ممن لا يبنز بنفاق ، وقيل : « مكافئ » مقارب في مدحه ، غير مفرط فيه ، كما قال عليه السلام : « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى (104) » .

وفيه من الفقه جواز ترفية المتزوج بلفظ الرفاء على ما كانت عليه عادة العرب لقوله عليه السلام كنت لك كأبي زرع لأم زرع «391» في الالفه والرفاء فيستفاد من هذا اللفظ — ان لم يصح النهي عنه — جواز قوله للمتزوج ، لأنه اذا قاله احد الزوجين لصاحبه فما يمنع أن يقوله الاجنبي لأحدهما ؟ .

وقد اختلف العلماء في هذا ، فروى جوازه ، قال عبد الملك بن حبيب : واستحبوا تهنئة الناكح والدعاء له ، وكان مما يقال : بالرفاء والبنين ، برك الله لك ، ولا بأس بالزيادة على هذا من

«391» لام زرع : ز ، — : ك س .

(104) رواه البخاري عن عمر ، باب واذكر في الكتاب مريم ، من كتاب احاديث الانبياء .

فكر السعادة وما احب من خير ، وحكى عن شريح انه قال
لمتزوج : بالرفاء والبنين (105) ، وكرهه آخرون ، فروى عن
عقيل ابن أبى طالب أنه تزوج امرأة فقالوا له بالرفاء والبنين ،
فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك
الله لكم ، وبارك فيكم (106) » ، ذكره النسائي ، وفي رواية
« عليكم » مكان « فيكم » ، وقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم النهى أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين ، حدثناه
القاضي أبو عبد الله التميمي وغيره ، قالوا حدثنا أبو مروان
بن سراج ، حدثنا أبو القاسم الزهرى ، حدثنا أبو زكرياء بن
عائد قال : حدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا علي بن عبد العزيز ،
قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا هاشم «392»
بن القاسم عن شيخ سماه ، عن الحسن عن عقيل بن أبى طالب

«392» هاشم : زك ، هشام : م س .

(105) أخرجه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق ، كما قال ابن حجر عند
باب كيف يدعى للمتزوج ، من كتاب النكاح . وشريح هو أبو
أمية شريح بن الحارث ، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر
الاسلام ، ولى قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى
ومعاوية ، توفي سنة 78 هـ .

(106) رواه النسائي والطبراني كما قال ابن حجر ، ورواه الامام
أحمد (1 : 201 ، 3 : 451) .

وعقيل هو أبو يزيد عقيل ابن أبى طالب عبد مناف بن عبد
المطلب ، الهاشمي القرشي ، ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، صحابي ، فصيح اللسان ، اعلم قریش بأيامها
ومآثرها ومثالبها وانسابها ، توفي سنة 60 هـ .

عن النبي صلى الله عليه وسلم (107) ، واختلف في توجيهه :
فحكى المفضل بن سلمة (108) في كتابه « الفاخر » فيه
وجهين : أحدهما أن ذلك كان لأن العرب كانت تعتقد بقولها
ذلك اجتماعا لا فرقة فيه ، وهذا ليس كذلك ، والثاني أنه كلام
ليس فيه ذكر الله ، والله أعلم ، وذكر هذا الحديث الطبرى
والخطابى ، قال الطبرى : إلا أن الحسن راوى حديث عقيل بن
أبى طالب لم يسمع منه ، وقد حدث به غيره فلم يرفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الطبرى : والذى اختاره
ما صحت به الرواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رفا
الرجل يتزوج قال : بارك الله لك وبارك عليك ، قال : والزيادة
غير محظورة ، وقد ذكر أبو داود (109) والترمذى هذا الحديث من
طريق أبى هريرة وزاد فيه : « وجمع بينكما فى خير » .
أخبرناه هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه ، قال حدثنا
أبو على الحافظ ، قال : حدثنا أبو عمر ابن عبد البر ، قال :
حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر ابن

(107) ورواه أيضا الإمام أحمد (1 : 201 ، 3 : 451) . وللإمام
أحمد روايتان لهذا الاثر ، ذكر كليهما فى كلا الموضعين :
أحدهما ان النهى عن الترفية مرفوع الى النبي صلى الله
عليه وسلم ، والاخرى ان النهى موقوف على عقيل رضى
الله عنه .

(108) هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغوى أديب ، من
كتبه « البارع » فى اللغة ، و « الفاخر » فى ما تلحن به العامة ،
و « الاستدراك على العين للخليل بن أحمد » وغيرها ، توفى
نحو سنة 290 هـ .

(109) باب ما يقال للمتزوج ، من كتاب النكاح (رقم 2130) .

داسة ، قال : حدثنا أبو داود السنجي «393» ، حدثنا قتيبة ،
حدثنا عبد العزيز بن محمد بن سهل «394» ، عن أبيه ، عن
أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ... الحديث ،
وترجم البخاري (كيف يدعى للمتزوج) وادخل حديث عبد
الرحمان بن عوف وقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد رأى
عليه أثر صفرة : ما هذا ؟ قال : انى تزوجت امرأة ، قال :
« بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » . وقد روى عن معاذ بن جبل
شهد النبي صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال :
« على الألفة والخير والطير الميمون والسعة في الرزق ،
بارك الله لكم (110) » .

وفيه من الفقه جواز المزح في الاحايين واباحة
المداعبة مع الاهل ، وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس
بالكلام الطو السهل ، فهو من حسن العشرة وطيب النفس ،
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ،
وروى عنه أبو هريرة قال : قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : انك تداعبنا ، قال : انى لا أقول الا حقا (111) .

«393» السنجي : ز ، السجري : ك .
«394» بن سهل : ك س ، عن سهل : ز .

(110) قال ابن حجر : اخرجه الطبراني بسند ضعيف ، واخرجه في
الاوسط بسند اضعف منه ، واخرجه ابو عمرو البرقاني في
كتاب معاشره الاهلين من حديث انس ، وزاد فيه « والرءاء
والبنين » ، وفي سنده ابان العبدى وهو ضعيف .
(111) رواه الامام احمد (2 : 340) ، والترمذى في البر ، وفي باب
مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمائل .

ورويت عنه احاديث مشهورة في مزارحته بلالا وأبا عمير
وخواتا وزاهرا وأنسا وعائشة وغيرهم (112) ، وقال لعجوز :
ان الجنة لا تدخلها العجوز (113) ، وقال لامرأة سألته عن
زوجها : أهو الذى بعينه بياض ؟ ، وقال لآخر : لاحتلك على
ابن الناقة (114) ، وقال لجابر : فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ،

(112) روى الترمذى فى باب مزاح النبى صلى الله عليه وسلم فى
الشمائل عن انس بن مالك قال : ان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لآخ لى صغير : « يا ابا عمير ،
ما فعل النغير » ؟ ورواه البخارى فى باب الكنية للصبي وقبل
ان يولد للرجل ، من كتاب الادب . وابو عمير هو كبشة بن
طلحة بن زيد ، اخو انس من امه .

وروى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم
اتى زاهرا يوما وهو يبيع متاعه ، واحتضنه من خلفه ،
ولا يبصره ، فقال (اى زاهر) : من هذا ؟ ارسلنى ، من هذا ؟
فالتفت ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يالو
ما الصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ،
فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من يشتري هذا
العبد » ؟ ، فقال : يا رسول الله ، اذن والله تجدنى كاسدا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست
بكاسد » .

وروى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا ذا الازنين » . يعنى يمازحه . ورواه ابو داود
(رقم 5002) .

(113) غولت تبكى فقال : « اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز » .
رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن البصرى مرسلا . وروى
الخير الذى بعد هذا ابن ابى حاتم وغيره ، كما فى شرح الشمائل
لجسوس (2 : 34) .

(114) فقال : يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « وهل تلد الابل الا النوق » ؟ .
رواه الترمذى فى الشمائل عن انس .

ويروى : تلاعبها وتلاعبك (115) ، في اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه ، وقد روى القاسم بن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسانيدهم عن عكرمة يرفعه ان «395» النبي صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ، وذلك أن «396» مع المزح والانبساط التحبب والقبول لا سيما مع الاهل والاصحاب ، وقد مدح بمثله الاشراف والكرام ، كما قال الشاعر :

هو الظفر الميمون ان راح أو غدا به الركب والتلعبا المتحبيب

ويحكى مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل على وابن ثابت وابن سيرين والشعبي وغيرهم ، ولا أعلم احدا منع

«395» ان : زك ، الى : م س .

«396» ان : زك ، — : س .

(115) رواه البخارى في باب تزويج الثيات ، من كتاب النكاح ، ورواه ابو داود في باب في تزويج الابكار ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه . والرواية في كتب الحديث : « تلاعبها وتلاعبك » ، اما رواية « تداعبها وتداعبك » والتي قدمها القاضى عياض في الذكر فلم اجدها ، وقد قال ابن حجر عند شرحه لرواية « تلاعبها وتلاعبك » : (زاد في رواية انفقات « وتضاحكها وتضاحكك » ، وهو مما يؤيد انه من اللعب ، ووقع عند الطبرانى من حديث كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل فذكر نحو حديث جابر وقال فيه « وتعضها وتعضك » ، ووقع في رواية لابي عبيدة « تداعبها وتذاعبك » بالذال المعجمة بدل اللام) . ولم اجد في العربية « ذاعب ، يذاعب » ، والظاهر ان رواية ابي عبيدة رويت بالمعنى ووقع فيها تصحيف فرويت بالذال المعجمة بدل الدال المهملة ، ولعل رواية « تداعبها وتذاعبك » بالدال المهملة قد وقعت للقاضى عياض في احدى رواياته للحديث ، والله اعلم .

الدعابة «397» مع الاهل والانبياء مع الحامة «398» وأهل البيت ، وقد قال عمر رضى الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي ، فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس في أهله وأزمتهم اذا جلس مع القوم .

وأما ما روى في ذم المزاح والنهي عنه مثل ما حدثناه القاضي محمد بن اسماعيل ، عن أبي الوليد هشام بن محمد بن مسلمة ، عن أبي محمد ابن النحاس ، عن أبي سعيد ابن الاعرابي ، عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن عبد الملك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمار أخاك ولا تمازحه (116) » ، وحدثنا احمد بن محمد الخولاني اجازة ، عن أبي عمر الطلمنكي ، عن احمد بن عون الله ، عن أبي سعيد ابن الاعرابي ، عن أبي داود ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمان ، حدثنا شعيب بن اسحاق ، عن ابن أبي ذئب ، عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جادا لاعبا (117) » ، وقول عمر بن عبد العزيز : اياك والمزاح

«397» الدعابة : م س ، المداعبة : ز ك .
«398» « الحامة » : كذا بالاصول ولعله تصحيف ، ولعل الصواب :
« الخاصة » .

(116) ورواه الترمذي في البر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(117) رواه ابو داود في باب من يأخذ الشيء على المزاح ، من كتاب الادب ، (رقم 5003) والامام احمد (4 : 221) .

فانه يجر القبيحة ، ويورث الضغينة ، وقول خالد بن صفوان :
المزاح سباب النكى ، فليس هذا من المزاح
المحمود المباح ، فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب
والكذب أو يتسلط «399» به على عرض رجل أو ماله فليس
هو من المزاح المحمود ، ولا هو من جنس
ما مازح «400» به النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس في
«401» مزاح النبي صلى الله عليه وسلم شيء زائد على خفض
الجناح ، وبسط الجانب ، وجلب التودد ، ومن ذهب الى أنه
يسقط الهيبة كما قال اكثم بن صيفي فلعله في الاكثار منه ،
والتخلق به ، حتى يؤدي الى سقوط المروءة واستشعار سمة
السخر والمجانة ، وانما المحمود منه
ما قل ونذر ، واستجمت به النفس عند كلالها ، كما قدمناه في
أول الكتاب وبيناه ، أو بسطت به «402» نفس الغير عند
انقباضها كما شرحناه ، وقد قال أبو الفتح البستي :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة يجم ، وعله بشيء من المزح

ولكن اذا أعطيته المزح فليكن

بمقدار ما تعطى «403» الطعام من الملح

وأما قول من قال : انما سمي المزاح

«399» يتسلط : س ، تسلط : ز ك .

«400» مازح : ز س ، مزح : ك .

«401» في : ز ك ، من : م س .

«402» به : ز ك ، له : م س .

«403» تعطي : ز ك ، يعطى : م س .

مزاحا لأنه زاح عن الحق ، فلا يصح لفظا ولا معنى ، أما
المعنى فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا
حقا ، وأما اللفظ فان «404» الميم في المزاح أصلية ثابتة في
الاسم والفعل ، ولو كان أصله كما قال كانت زائدة ساقطة من
الفعل ، وأنشد أبو عبيد في ذمه لبعضهم .

أما المزاح «405» والمرء فدعهما
خلقنا لا أرضاهما لصديق

انى بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاور جارا ولا لرفيق
وانشدت أنا في هذا المعنى مما قلته قديما ، وهو من
المتشابه القوافي :

إذا ما بسطت بساط انبساط
فمنه «406» فديتك فاطو المزاح

فان المزاح كما قد رآه «407»
أولوا العلم قبل عن الحلم زاحا
وفيه من انفق ان المشبه بالشيء لا ينزل منزلته في كل
شيء ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شبه نفسه النفيسة في

«404» فان : ز س ، فلان : م .
«405» المزاح : ك س ، المزاح : ز ، ولعل الصواب الاول
لضرورة الوزن .
«406» فمنه : ز م س ، فعنه : ك .
«407» رآه : س ، رأى : ز ك .

صحبة «408» عائشة رضى الله عنها بأبى زرع ، ومن فعل أبى زرع معها الطلاق ، فلم يكن لازما ، ولو أن رجلا ذكر امرأة له قد طلقها فوصفها لزوجة أخرى له بأوصاف كثيرة جيدة أو رديئة ، ثم ذكر انه طلقها ، ثم قال للآخرى : وانت مثلها ، ولم ينو مثلها فى الطلاق ، لم يلزمه الطلاق ، وحمل على مراده فى التشبيه «409» لها فيما تقدم ذكره ، ولم يلزمه طلاق حتى ينو مثلها فى الطلاق ، أو يكون لم يذكر شيئا من الاولى سوى الطلاق ، مثل أن يقول : نلانة طالق أو قد طلقته أو فلان طلق زوجه فلانة ، ثم يقول لزوجة له أخرى : وانت مثلها ، فهذا يلزمه الطلاق نواه أو لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة ، اذ لا احتمال اقوله سوى الزام الطلاق .

تنبيه : ذكر بعض من تكلم على معانى الحديث ان فى هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد ، قال : لان أم زرع أخبرت بما أخبرت فامثله النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا قبوله ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا نقول انه امثل حال أبى زرع فى احسانه لام زرع ، بل قد كان كذلك ، وانما أخبر عائشة أنه لها مثل أبى زرع لأم زرع ، الا تراه كيف قال : « كنت لك »

«408» صحبة : ز س ، صحبته مع : ك .
«409» فى التشبيه : س ، من التشبيه : ز .

فاخبر عن حالة «410» كائنة ثابتة ، وان كان انما تأسى
بشيمة أبى زرع ، كما قال المهلب قبل ان فيه التأسى بأهل
الاحسان من كل أمة ، فليس هذا من باب قبول خبر الواحد ،
لان التأسى بمحاسن الاخلاق شيمة أهل الفضل ، وامثال
محاسن السير من شمائل «411» اولى العدل «412» ، وخبر
الواحد من باب آخر ، مأخذه ومستنده الى صاحب الشرع ،
وقبوله وامثال مقتضاه حكم طريقه عند أهل التحقيق القطع ،
وفيهما المعنا به من القول كفاية لا يحتمل أكثر منها الوسع .

«410» حالة : ز س ، حال : م ك .
«411» شمائل : ز م ك ، شيم : س .
«412» العدل : س ، العقل : ز .

بيان

ونحن الآن نفى بما وعدنا به من ذكر ما اشتمل عليه هذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغة ، والابواب الملقبة بالبديع في هذه الصناعة ، من لفظ رائق ، ومعنى فائق ، ونظم متناسب ، وتأليف متعاضد متناسق ، وبالجمل فكلهم هؤلاء النسوة في الروايات المشهورة «413» من الكلام الفصيح الالفاظ ، الصحيح الاغراض ، البليغ العبارة ، البديع الكناية والاشارة ، الرفيع التشبيه والاستعارة ، وبعضهن أبلغ قولا ، وأعلى يدا وأكثر طولا ، وأمكن قاعدة وأصلا ، وكلام بعضهن أكثر رونقا وديباجة ، وأرق حاشية وأعلى مجاجة ، وبعضهن أصدق في الفصاحة لهجة ، وأوضح في البيان محجة ، وأبلغ في البلاغة والايجاز حجة ، فانت اذا تأملت كلام أم زرع وجدته مع كثرة فصوله ، وقلة فضوله ، مختار الكلمات ، واضح السمات ، بين «414» القسمات ، قد قدرت الفاظه قيس معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، وجعلت

«413» في الروايات المشهورة : ز ، — : م ك س .
«414» بين : م س ، مجلو : ز ، نير : ك .

لبعضه في البلاغة موضعا ، وأودعته من البديع بدعا ، وإذا لمحت كلام التاسعة صاحبة العماد والنجاد والرماد ، ألفيتها لأفانين البلاغة جامعة ، ولعلم البيان رافعة ، وبعضا الإيجاز والقصد قارعة ، واعتبر كلام الأولى فانه مع صدق تشبيهه ، وصقالة وجوهه ، قد جمع من حسن الكلام أنواعا ، وكشف عن محيا البلاغة قناعا ، وقرن بين جزالة الألفاظ «415» وحلاوة البديع ، وضم تفاريق المناسبة والمقابلة ، والمطابقة والمجانسة ، والترتيب والترصيع ، فاما صدق تشبيهها فعلى ما شرحناه قبل ، والتشبيه احد أنواع «416» البلاغة ، وابدع أفانين هذه الصناعة ، وهو موضوع «417» للجلاء والكشف ، والمبالغة في البيان والوصف «418» ، والعبارة عن الخفى بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، والشئ بما هو أعظم منه وأحسن ، أو أخس وأدون ، وعن القليل الوجود بالمألوف المعهود ، وكل هذا لتأكيد البيان ، والمبالغة في الإيضاح ، فانظر أين قول القائل : الذين كفروا أعمالهم لا ينفذون بها من قوله تعالى (الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة «419») الآية ، وتأمل بون ما بين الموضعين من البيان ، وفرق ما بين الكلامين في «420» الإيضاح ، وان

«415» الألفاظ : م س ، اللفظ : ز ك .

«416» انواع : س ، ابواب : ز .

«417» موضوع : ز ، موضع : س .

«418» الوصف : س ، الرصف : ز .

«419» سورة النور ، الآية 39 .

«420» في : ز ك ، من : م س .

كان الغرض واحدا والموضوع سواء ، وكذلك قول امرأة :
 زوجي بخيل لا يوصل الى شيء مما عنده ، وبين كلام هذه
 المرأة المتكلم عليه ، ووجه بلاغة التشبيه ما فيه من الجلاء
 والايضاح ، كما قدمناه ، وأكثر تشبيهات الكتاب العزيز من هذا
 النمط ، كقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح «421»)
 الآية ، و (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء «422»)
 الآية ، أو لما فيه من المبالغة والغلو ، وهو من أبواب
 البلاغة ، ومرجعه الى البيان والايضاح ، كتشبيه الشيء بما
 هو أعظم منه وأكبر ، نحو قوله تعالى (وله الجوار المنشئات
 في البحر كالأعلام) «423» ، أو أفضل منه واحسن ، كقوله
 تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) «424» ، أو أحقر منه
 وأدون ، كقوله (كمثل الكلب) «425» الآية ، أو لما فيه من
 التخريج والتوليد لغريب الشبه ومخيلة «426» المثال ، وهو
 وجه بلاغته ، كقول المعري في كف الثريا :

كان يمينها سرقتك شيئا ومقطوع على السرقة البنان
 وقد يقع تشبيه الشيء بالشيء تشبيها مجردا ، لضرب من
 الشبه ، ليس في شيء من الابواب المتقدمة ، كقول امرئ
 القيس :

-
- «421» سورة النور ، الآية 35 .
 «422» سورة يونس ، الآية 24 .
 «423» سورة الرحمن ، الآية 24 .
 «424» سورة الرحمن ، الآية 58 .
 «425» سورة الاعراف ، الآية 176 .
 «426» مخيلة : س ، تحلية : ز .

كان قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها : العناب والحشف البالى
لكنه يلحق بنوع التوليد والتخريج ، الذى بلاغته الفطنة
لادراك التشبيه لا غير وصدقه فيه ، وان كان لبعضهم فى هذا
البيت مقال لا ارتضيه ، ولا بد أن يكون التشبيه صادقا من
الوجه الذى وقع به التشبيه ، والا اختل به الكلام ، وهذه
المرأة قد شبّهت بخل زوجها ، وانه لا ينال ما عنده ، مع شراسة
خلقه ، وكبر نفسه ، بلحم الجمل الغث ، على رأس الجبل
الوعث ، فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل ، وبعد خيره ببعد
اللحم على رأسه ، والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد
فى لحم الجمل الغث ، فاعطت التشبيه حقه ، ووفته قسطه ،
وهذا من تشبيه الخفى بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير
بالخطير ، ومما جاء فى كلام صواحبا من التشبيه قول الثالثة :
« أنا منه »427 على مثل حد السنان المذلق « ، فصدقت
التشبيه لأنها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم الاستقرار
كمن هو على مثل حد السنان المحدد : اما أن تحيد عنه فتهلك
سقوطا ، أو تثبت فيها كها ، فبينت بهذا التشبيه قولها قبل « ان
اسكت اعلق ، وان انطق اطلق » ، وكذلك وجه «428»
تشبيه الاخرى زوجها بليل تهامة ، وغيث غمامة ، وهذا كله من
تشبيه الخفى بالجلي ، والمتوهم بالمحسوس ، وهو من باب
المبالغة والغلو ، ومثل هذا قول أم زرع « مضجعه كمسل

«427» أنا منه : ز ، — : م ك س .

«428» وجه : ز ، — : م ك س .

شطبة « ، فهو من باب الغلو ، الى سائر ما عندهن من التشبيهات ، فكلها حسان بينات ، قد تقدم الكلام عليها في مواضعها ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » تشبيه أيضا ، ولكن بغير أداة التشبيه ، فان التشبيه على ضربين : بأداة وهي الكاف وكأن ومثل وشبه واخواتها ، وبغير أداة التشبيه ، ومثله قول أم زرع « يلعبان من تحت خصرها برماتين » على تأويل انهما النهدان ، ومثله قول الرابعة « والغيث غيث غمامة » ، فهذا تشبيه بغير آلة التشبيه ، كقوله تعالى : « تمر مر السحاب » 429 « وكقول امرئ القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
ثم انظر حسن نظم كلامها وتطارده ، واخذه حقه من المؤالفة والمناسبة في الالفاظ ، التي هي رأس الفصاحة ، وزمام البلاغة ، فانها وازنت الفاظها ، ومائلت كلمها ، وقدرت فقرها ، وحسنت اسجاعها ، فوازنت في الفقرة الاولى لحم برأس في الثانية ، وجمل بجبل ، وغث بوعث ، في الرواية الواحدة ، و « قحر » « بوعر » ، في الرواية الاخرى ، فافرغت كل فقرة في قالب أختها ، ونسجتها على منوال صاحبته ، ومن هذا الباب في القرآن العزيز في حسن التأليف ومناسبة الالفاظ ومقابلة الكلمات كثير ، كقوله تعالى : (اذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور » 430) وقوله : « فاثرن به نقعا ،

« 429 » سورة النمل ، الآية 88 .

« 430 » سورة العاديات ، الآية 9 — 10 .

فوسطن به جمعا «431» على أن هذا داخل في باب
الترصيع ، ومنه قول السادسة « ان أكل اقتف ، وان شرب
اشتف ، وان هجع التف » ، وقول الخامسة : « ان خرج اسد ،
وان دخل فهد » ، وقول الرابعة : « لا حر ولا قر ، ولا مخافة
ولا سئامة » ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح
زرنب » ، فهذا كله من حسن النظم ، ومناسبة اللفظ ، وهو
باب آخر من البديع يسمى المناسبة ، ومنه قول التاسعة
« رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد » ، فكل لفظة على
وزن صاحبها ، وكقول أم زرع « أناس من حلى اذنى ، وملأ
من شحم عضدى » ، وقولها « صفر ردائها ، وملء كسائها » ،
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه لعائشة : « في
الالفه والرفاء ، لا في الفرقة والخلاء » ، وقولها « ارقد فاتصبح ،
واشرب فانتقمح ، واكل فاتمنح » ، وقول العاشرة « قليلات
المسارح ، كثيرات المبارك » .

وفي كلام الاولى نوع ثالث من البديع يسمى
« الترصيع » ، وقد يسمى بالموازنة وبالتسميط وبالتضفير
وبالتسجيع ، وهو أن تتضمن الفقر أو بيت الشعر مقاطع اخر
بقوافي متماثلة ، غير فقر السجع وقوافي الشعر اللازمة ،
فيتوشح بها القول ، ويتفصل بها نظم اللفظ ، كما أتت هذه
« بجمل » في وسط الفقرة الاولى ، و « جبل » في وسط
الفقرة الاخرى ، ففصلت بذلك الكلام ، على حد من المقابلة ،

«431» سورة القارة ، الآية 4 — 5 .

أثناء السجعين اللذين «432» هما « غث ووعث » ، فجاء لكل
فقرة سجعان متماثلان متقابلان ، ومثله قول أم زرع في إحدى
الروايات « لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنتفت ميرتنا تنقيثا ،
ولا تغث طعامنا تغثيثا » ، فان التزام الثاء في « تبث
وتنتفت وتغث » ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقر ، وقول
الثامنة « شجك أو فلك أو بجك أو جمع كلا لك » ، ومنه في
الحديث قول على رضى الله عنه : « انه انقى لثوبك ،
وأبقى لربك » .

وفي طيه باب رابع من البديع ، وهو مجانسة جمل بجبل ،
وهو ان لم يجانسه في كل حروفه فقد جانسه في اكثرها ، وقد
اختلف أرباب البلاغة والنقد في هذا النوع
اذا لم يكن مشتقا من أصل واحد : فسماها بعضهم « مجانسة »
تغليبا للاكثر . واما أبو الفرج قدامة فسمى هذا النوع
« مضارعة » ، وهذا مثل قول أم زرع أيضا « رجلا سريا ،
ركب شريا » وقولها « بيتها فساح ، وفناؤها
فياح » ، وقول الثانية « عجره وبجره » ، وقول أم زرع
« تعشيثا وتغثيثا » ، وأما التجنيس الحقيقي فهو أن يكون
في الكلام لفظتان احدهما مشتقة من الاخرى ، كقوله تعالى
« ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم »433»

«432» السجعين اللذين : ز م ، السجعتين اللتين : س ، السجع
الذي : ك .
«433» سورة التوبة ، الآية 127 .

و « يحق الله الربا ويربى الصدقات » «434» ، أو بمنزلة المشتق كقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والابصار) «435» وقوله (واسلمت مع سليمان) «436» وقوله صلى الله عليه وسلم : (اسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله) (118) ، وقال امرؤ القيس :

لقد طمح الطمح من بعد أرضه

في أمثلة كثيرة ، أو تكون لفظتان على صيغة واحدة ، مختلفة المعانى ، كقوله عليه السلام : (الظلم ظلمات يوم القيامة) (119) ، ومن قول من تقدم فيه قول الافوه الاودى :
واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل غيرانة عنتريس
وقريب من هذا الباب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) «437» ، وولع المحدثون والمتأخرون بعد به «438» حتى اكثرؤا منه ، فمن مقصر ومجيد ، كقول البستى :
سمى وحمى بنى سام وحام فليس كمثله سام وحام
وقول الطائى :

ان الصفائح منك قد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

«434» سورة البقرة ، الآية 276 .

«435» سورة النور ، الآية 37 .

«436» سورة النمل ، الآية 44 .

«437» سورة القيامة ، الآية 22 — 23 .

«438» بعد به : ز م ، بعد به : س .

(118) رواه البخارى والترمذى فى المناقب ، ومسلم فى فضائل الصحابة ، والدارمى فى السير ، والامام احمد عن ابن عمر (2 : 20) .

(119) رواه مسلم فى البر ، والامام احمد عن ابن عمر (2 : 92) .

وقول الخطابي :

وكان عقابي في سلوك عقاب

وكان ابو الفتح البستي يسمى ما كان على صيغة بيت
الافوه بـ (المتشابه) ، واخترع قوم من المتأخرين أنواعا
غريبة سموها (تجنيس التركيب) كقول المعري :

مقاليتا مقاليتا . ومطاييا مطايا

وهو نوع متكلف من غير حدود البلاغة ، ولكن ربما يندر منه
المستحسن ، كقول الميكالي «439» :

تمت محاسنه فما يزرى بها مع فضله وسخائه وكماله
الا قصور وجوده عن جوده لا عون للرجل الكريم كماله
وقول البستي : فهل لمنهاجى من هاجى ، وقوله : فدعنى فان
يقينى يقينى ، وقول الآخر :

الى أجلى مشى قدمى أرى قدمى أراق دمي

والحقوا به أيضا (تجنيس التصحيف) ، وهو مشاركة
«440» صورة الحرف في الخط دون اللفظ ، وهذا لا يدخل في
باب البلاغة انمستجادة ولا المتكلفة أصلا ، ولا في شيء من
حدود الكلام ولا «441» صناعته ، اذ لا يقرع السمع منه
لهجة ، ولا يقوم له في النطق حجة ، وقد رأيت ابا منصور

«439» الميكالي : زك ، الميكالي : س .

«440» مشاركة : س ، مشاكلة : ز .

«441» ولا : س ، ولا في : ز .

الثعالبي قد عد هذا الباب في باب «442» التجنيس ، وذكر فيه قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) «443» واشباها لهذا من الكلام ، وليس عندى من هذا الباب ، وهو من الباب الاول الذى سماه قدامة بالمضارعة ، وهو التجنيس في أكثر الكلمة أو بعضها ، وذكر في هذا الباب قول بعضهم : النار في الفتيلة كالتعادي للقبيلة ، وقول بعضهم : الصب مع الضب ، وسجف وسخف ، وصحاصح وضحاضح ، وشبه هذا ، فلم يحسن هذا ، ولم يقل شيئا لاجل صورة الحروف ، اذ لاحظ لهذا كما قلناه في الفصاحة ، ولاحظ له من التجنيس ، وانما حسن لوزن الكلمتين ، واتفاق أواخرهما ، وقرب مخارج أوائلهما وأواسطهما ، فهذه هى أنواع التجنيس ، الا أن قدامة بن جعفر كان يسمى اتفاق صيغتي اللفظ باختلاف المعنى الذى من جنس بيت الانوف بالطباق ، والناس كلهم على خلافه ، وقد رد قوله هذا الاخفش وابو القاسم الآمدى وغيرهما ، وحكوا أن مذهب الخليل والاصمعي خلافه .

ثم أتت هذه المرأة في كلامها بنوع خامس من البديع ، وهو المسمى بالمطابقة عند الجمهور ، وهو مقابلة الشيء بضده ، فقابلت الوعر بالسهل ، والغث بالسمين ، في الفقرتين الاخيرتين ، وهو مما يحسن الكلام بمقابلته ، ويروق بمناسبته ، لا خلاف بين ارباب النقد في ذلك ، وانما اختلفوا في تلقيبه ،

«442» في باب : س ، من باب : ز .

«443» سورة الكهف ، الآية 104 .

فكان قدامة يخالف فيه أيضا ، ويسمى هذا (المتكافئ) ،
وخالفه في هذا الجميع ، ولا يكون هذا النوع عنده متكافئاً الا
اذا كانت الكلمة وضدها الحقيقي ، كما وقع هاهنا من مضادة
السمن للهزال والسهولة للوعورة ، ومثل السواد مع البياض ،
والنطق مع السكوت ، فاما اذا لم يكن له بضد حقيقي ، ولا جاء
معه على طرفي نقيض بين ، ولكن على حد ما من التقارب
كالبياض مع الحمرة ، والسواد مع الضوء ، فبعضهم يجعله
(طباقاً) ، وبعضهم يسمى الاول بطباق محض ، وهذا بطباق
غير محض ، وبعضهم يسمى هذا (مخالفاً) ، والاول (مطابقاً) ،
ومن الباب الاول قول الله تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب
لكم ، وان يخذلكم) «444» الآية ، وقوله تعالى (تحسبهم
جميعاً وقلوبهم شتى) «445» ، وقول النبي صلى الله عليه
وسلم لعائشة في هذا الحديث (في الالفه والرفاء ، لا في الفرقة
والخلاء) ، فطابق الالفه بالفرقة ، التي هي ضدها ، والرفاء
بالخلاء ، ومثله قول أم زرع (صفر ردائها ، وملء كسائها) ،
فصفر ضد ملء ، ومثله قول الثالثة (ان انطق اطلق ، وان اسكت
اعلق) ، فطابقت انطق باسكت الذي هو ضده ، وقول الرابعة
(لا حر ولا قر) ، وقول الخامسة (ان دخل فهد ، وان خرج
أسد) ، فدخل وخرج طباق في اللفظ ، وأسد وفهد طباق من
جهة المعنى ، ولكنه لا يسمى طباقاً ويسمى مقابلة ،
ومثله قول العائشة (كثيرات المبارك ، قليلات المسارح) ،

«444» سورة آل عمران ، الآية 160 .

«445» سورة الحشر ، الآية 14 .

ومثال الوجه الثانى مقابلة وعث — على رواية من رواه —
بسهل ، وانما ضد وعث الصلب أو اللبد ، وضد السهل الوعر
أو الحزن ، وان كان قد روى أيضا (ليس بلبد) ، وهذا ضد
(وعث) فيكون طباقا حقيقيا ، ومن هذا الباب قول أم زرع
(اشرب فانتقمح ، واكل فانتمنح) ، فجاءت بالاكل والشرب
لتقاربهما وتناسبهما ، وكذلك قولها (تشبعه ، وترويه) ،
وقولها (ملء كسائها ، وصفر رداؤها) ، فجاءت بالرداء
والكساء لمناسبتهما ، وقول السادسة (ان أكل ، وان شرب) .

وفى كلام هذه المرأة اعنى الاولى من الفصاحة وفنون
البلاغة نوع سادس من البديع ، وهو حسن التفسير ، وغرابة
التقسيم ، وابداع حمل اللفظ على اللفظ ، والمعنى على
المعنى ، فى المقابلة والترتيب ، وذلك فى قولها (لا سهل
فيرتقى ، ولا سمين فينتقى) ، فانها فسرت ما ذكرت ، وبينت
حقيقة ما شبعت ، وقسمت كل قسم على حياله ، وفصلت كل
فصل من مثاله ، وجاءت للفقرتين الاوليين بفقرتين مفسرتين ،
وقابلت (لا سهل فيرتقى) بقولها (لا سمين فينتقى) ، وهذا
يسمى (المقابلة) عند أهل النقد ، لا سيما على رواية وقعت فى
النسائى ، بتقديم (لا سمين) ، فيكون أول تفسير لأول مفسر ،
وهو قولها : (كنحم جمل) ، والثانى للثانى ، فحملت اللفظ على
اللفظ ، وردت المقدم الى المقدم ، والمؤخر الى
المؤخر ، فتقابلت معانى كلماتهما ، وترتبت ألفاظها ، ومثاله

قوله تعالى (لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون) «446» ، على ما قدمناه أول هذا المجموع ومثالاته بما يغنى عن اعادته ، ولا أعلم في كلام صواحبه له مثالا ، الا في التفسير من قول الرابعة (زوجي كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سامة) ، فانها أجادت التفسير ، وحسنت التعبير ، بل «447» قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة (كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، في الالفه والرفاء ، لا في الفرقة والخلاء) من هذا .

ومما في كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع ، وهو التزام ما لا يلزم في سجعها ، وبعضهم يجعله احد انواع الترصيع في قولها (فيرتقى ، وينتقى) ، فالترمت القاف والتاء في كل سجع قبل القافية ، وقافية سجعها الألف المقصورة ، وكذلك قولها في الرواية الاخرى « ينتقل ، ويتوقل » ، فقافيتها اللام والتزمت قبلها القاف ، وهذا نوع زيادة في تحسين الكلام وتماثله ، واغراق في جودة تشابهه وتناسبه ، ولهذا في الاسجاع والقوافي طلاوة وديباجة ، يشهد الطبع له ، ويجده الذوق ، وعلته المشابهة والمناسبة لا سيما عند المقاطع وفصل الكلام ، وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا ، وأولع به المتأخرون ولوعا كثيرا ، فمن مجيد ومقصر ، وبالجمله فلا يحسن منه ومن جميع ما مخضنا «448» القول عنه الا ما ساقه الطبع ،

«446» سورة الصافات ، الآية 47 .

«447» بل : ك ، بلى : ز س .

«448» مخضنا : ز م ، محضنا : ك ، حصلنا : س .

وقذف به خاطر ، دون تكلف ولا مقاساة «449» ، ووجد لفظه تابعا لمعناه ، منقادا له ، موضوعا عليه ، غير مرغم فيه «450» ، ولا منافر له ، وقد جاء من مليح الالتزام في كتاب الله تعالى في فواصله ومقاطع آياته ما لا شيء في الحسن والفصاحة وقلة التكلف مثله ، كقوله تعالى (والطور ، وكتاب مسطور) «451» و(فلا اقسم بالخنس ، الجوار الكنس) «452» (والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق «453») و « فاما انيتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر «454» و (أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها) «455» و « ما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون «456» » وقوله (فاذا هم مبصرون ، واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون «457» » وقوله (كلا اذا بلغت التراقي ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئذ المساق) «458» ، في اشياء كثيرة ، والقرآن منزله عن أن يقال انه مسجع ، أو على اسلوب من اساليب كلام العرب ، ولكن الفاظه عربية ، وبلاغته جامعة لمحاسن البلاغة ، معجزة بانفرادها ، على الصحيح من اقوال أهل الحق ، ومثاله

-
- «449» مقاساة : ز م س ، معاناة : ك .
«450» فيه : ز ك ، له : س ، له فيه : م .
«451» سورة الطور ، الآية 1 — 2 .
«452» سورة التكوين ، الآية 15 — 16 .
«453» سورة الانشقاق ، الآية 17 — 18 .
«454» سورة الضحى ، الآية 9 — 10 .
«455» سورة الاسراء ، الآية 16 .
«456» سورة القلم ، الآية 2 — 3 .
«457» سورة الاعراف ، الآية 202 — 203 .
«458» سورة القيامة ، الآية 26 — 30 .

من كلام صواحبا قول أم زرع (واشرب فانتقنح ، واكل فانتمنح) ، وقولها في وصف ابنه (الجفرة ، ثم اليعرة ، ثم الفثرة) وقولها أيضا في وصف الخادم في بعض الروايات (ولا تغش طعامنا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا) ، وقولها (رجلا سريا ، ركب شريا) ، ثم ذكرت بعد ذلك (ثريا) ، وقول السابعة (شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلاك) ، وقول السادسة (اقتف ، والتف ، واشتف) ، وقول الثامنة (أرنب ، وزرنب) ، فروى سجعها الباء ، والتزمت قبلها حرفين الراء والنون ، وجاء في كلام التاسعة (مالك ، وذلك ، ثم مهالك ، وهوالك) فالتزمت اللام في أكثر سجعها ، وفي كلام الثالثة (اطلق ، واعلق ، ومذلق) فالتزمت اللام المشددة قبل قاف سجعها ، ومثل هذا الالتزام هو المحمود ، لما فيه من عدم الكلفة .

وفي قول هذه الاولى أيضا نوع ثامن من البديع يسمى (الايغال) ، ويسميه قوم (بالتبليغ) ، وهو ان يتم كلام الشاعر قبل البيت ، أو الناشر قبل السجع ان كان كلامه مسجعا ، أو قبل الفصل والقطع «459» ان لم يكن كذلك ، فيأتى بكلمة لتمام قافية البيت ، أو السجع ، أو مقابلة الفصول والقطع ، يفيد معنى زائدا كقول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا . البيت (120)

«459» والقطع : زك ، والمقطع : م س .

(120) وتمام البيت :
وارحلنا ، الجزع الذي لم يثقب

فشبهه عيون الوحش بالجزع ، فتم قوله ، ثم قال : الذى لم يثقب ، فزاده كمالا ، وقول ذى الرمة : رسوما كاخلاق الرداء ، فتم ، ثم قال : المهلهل ، فافاد اغياء ، فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل ، على رأس جبل ، لاكتفت ببعد مناله ، ومشقة الوصول اليه ، والزهد فيه ، وهو غرضها ، لكنها زادت بسجعها (غث ، ووعث) معنيين بينين ، وبالغت فى القول ، وافادت بزيادتهما التناهى فى غاية الوصف ، وكان من هذا الباب قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية «460») وقوله (كعصف مأكول) «461» ، فخاوية ومأكول ضرب من الايغال ، ومنه قوله تعالى (كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة) «462» ، فان التشبيه اكتفى بقوله (حمر مستنفرة) ، وانتهى : مستنفرة ، فلما قال (فرت من قسورة) بالغ فى وصف النفار ، وأوغل فى الاغياء فيه بذلك ، ومثله قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) «463» ، وقوله (فجعلناه هباء منثورا) «464» ، فان (القديم ، ومنثورا) افادا زيادة فى الوصف بعد اكتفاء المعنى بما تقدم قبل واستقلاله .

وفى قول الثالثة — سوى ما تقدم ذكرنا له فى كلامها وكلام الثانية والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام وتشبيه — اشارة الى الاستعارة بقولها (اعلق) ، فان الشئ المعلق ليس

-
- «460» سورة الحاقة ، الآية 7 .
«461» سورة الفيل ، الآية 5 .
«462» سورة المدثر ، الآية 50 — 51 .
«463» سورة يس ، الآية 39 .
«464» سورة الفرقان ، الآية 23 .

بمطمئن الثبوت والقرار في السفلى ولا في العلو ، وهو بين
الحالين ، ولهذا قيل : علقت هذا الامر ، أى تركته مرددا بين
الامضاء والترك ، وقيل للمرأة اذا لم تكن مطلقة ولا مراعاة
الصحة (معلقة) تشبيها بالشئ المعلق ، والاستعارة في
الحقيقة نوع من التشبيه ، الا انها قد انفصلت عنه في الصيغة
واللقب ، وقد فصل أبو الحسن الرمانى بينهما بأن التشبيه له
أداة ، يريد حروف التشبيه ، ولا. اداة للاستعارة ، والحق ما
قال غيره : ان الفرق بينهما غير هذا ، اذ قد يكون التشبيه
بأداة وبغير أداة ، بل ان التشبيه مبقى على وضعه ، ممثلا به ،
والاستعارة منقولة عن موضوعها ، مستعملة استعمال غيرها
للإبانة ، وقد اشار الى هذا الرمانى ايضا ، والاستعارة باتفاق
من أهل البلاغة ارفع درجات البديع ، واعلى محاسن الشعر ،
وأنق منظر الكلام ، واعجب تصرفات البليغ ، ولها موقع في
الإبانة لا يقعه سواها ، ومنزع في الإيجاز والاختصار لا يوجد
في غير بابها ، فانظر ما بين قولك : كثر شيب رأسى ، وقوله
تعالى « واشتعل الرأس شيئا » « 465 » ، وبين قولك : تذلل
لهما ، وقوله « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » « 466 » ،
وبين قولك : انتشر ضوء الفجر حتى غابت النجوم ، وقول ذى
الرممة :

ولف الثريا في ملاءته الفجر

وبين قولك : فرس سابق الاوابد حتى كأنها مقيدة لم

« 465 » سورة مريم ، الآية 4

« 466 » سورة الاسراء ، الآية 24

تسابقه ولا جرت معه حين جرى ، من قول امرئ القيس :
« قيد الاوابد هيكل » « 467 » ، وكذلك انظر قول التاسعة
(رفيع العماد) على من جعله الحسب ، أين هو في باب « 468 »
البلاغة من قولها لو قالت : زوجي حسيب أو شريف ، وانظر
ايجاز قولها (أيقن أنهن هوالك) وما تحته من المبالغة في كثرة
نحره ، واستمرار عادته ، وجلاء ما قصدته من ذلك باستعارتها
لهن اليقين ، وما بينه وبين قولها لو قالت : اذا ضرب المزهري
نحرن ، واذا « 469 » كانت المعانى في هذا كله واحدة ،
والمقاصد متفقة ، ولكن للاستعارة فضل بيان وابلاغ ، وحسن
طلاوة « 470 » وابداع ، وجودة اختصار في بعض المواضع
وايجاز ، كما ورد في قول الخامسة (ان دخل فهد ، وان خرج
اسد) ، فانها استعارت له في كل واحدة من الحالتين خلق واحد
من هذين الحيوانين ، فجاء كلامها « 471 » في « 472 » غاية من
الايجاز والاختصار ، ونهاية من المبالغة والبيان ، فان مثال
قولها (فهد ، واسد) : اذا دخل تغافل وتناوم ، واذا خرج
صال وشجع . وليس يقتضى هذا انه أبدا في دخوله وخروجه
بهذه الاوصاف ، فلما استعارت له خلقى هذين السبعين في
الحالين اللازمين لهما ، المختصين بوصفهما ، اعربت بذلك عن

« 467 » هيكل : ك ، — : س .

« 468 » باب : ز ، — : س .

« 469 » واذا : ك ، وان : ز م س .

« 470 » طلاوة : س ، وطلاوة : ز .

« 471 » كلامها : ز م س ، كلاهما : ك .

« 472 » في : س ، على : ز ك .

تخلقه بهما ، والتزامه لوصفيهما ، وعبرت عن جميع ذلك كله بكلمة كلمة كل واحدة من ثلاثة حروف ، حسنة التركيب ، غير عسيرة ، مع جمالهما في اللفظ ، ومناسبتهما في الوزن ، وسهولتهما في النطق ، ثم جاءت بإشارة بديعة عن كرمه وكثرة جوده ، وبذل ما بيده ، وللاخذ بالحزم لجميع اموره ، بقولها (ولا يرفع اليوم لغد) ، فان هذا نوع من الاشارة ، وضرب من الكناية ، وهو عندى ادخل في باب التتبع والارداف ، وكله من باب الكنايات والاشارات ، وهو التعبير عن الشيء بأحد توابعه ، كما سنبينه ، واما كناية السادسة بقولها (لا يولج الكف) — على المذهب الصحيح — فمن الكنايات الحسنة ، كما قد فسرناها قبل في شرح كلامها ، وكذلك قولها (واذا هجع التف) من هذا الباب ، وهو داخل في باب التتبع والارداف ، لأنها عبرت بقولها (التف) واكتفت به عن الاعراض عنها ، وقلة الاشتغال بها ، وذكرنا هاهنا ما في كلامها من مناسبة وملاءمة وطباق والتزام ومضارعة ، كما ذكرنا ما في كلام السابعة من ترصيع والتزام ، مع ما فيه من حسن التقسيم ، وبديع الوحي والاشارة ، بقولها (كل داء له داء) ، فهذا من لطيف الوحي والاشارة ، على مذهب قدامة بن جعفر ، وذلك انه انطوى تحت هذه اللفظة «473» كلام كثير ، واشتملت هذه الكلمة على شرح طويل ، كقول امرئ القيس :

«473» اللفظة : ز م س ، اللفاظ : ك .

يعطيك قبل سؤاله افانين جرى

فتحت قوله « افانين » جملة كثيرة ، وأما على ما حكاه
الحاتمي عن غيره : فان الوحي والاشارة أرق وجود الاستعارة ،
كقوله .

جعلن السيف بين الجيد منه وبين سواد لحيته عذارا

ومن باب الوحي والاشارة عندي على القول الاول قوله
تعالى « قضى الامر » « 474 » وقوله (يحسبون كل صيحة
عليهم) « 475 » وقوله (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)
« 476 » وقوله (فغشيهم من اليم ما غشيهم) « 477 » ، وهذه
جمل أنبأت بوجازة الفاظها ، واعربت بلطائف اشاراتها ، عن
معان كثيرة وفصول طويلة ، فهي كما قيل : البلاغة لمحة دالة .
وفي قول الثامنة سوى ما ذكرنا من المناسبة والالتزام
« 478 » : صحة المقابلة ، وهي من أنواع البلاغة ، وذلك في
قولها « وأغلبه والناس يغلب » ، فقابلت غلبتها اياه بغلبته
للناس ، وهي مطابقة من جهة المعنى .

وفي هذه الفقرة نفسها نوع آخر من البديع يسمى
« التتميم » ، فانها لو اقتصرنا على قولها « وأغلبه » لما كان
مدحا ، ولتخيل انه جبان ضعيف ، فلما قالت « والناس يغلب »

« 474 » سورة يوسف ، الآية 41 .

« 475 » سورة المنافقون ، الآية 4 .

« 476 » سورة الانبياء ، الآية 22 .

« 477 » سورة طه ، الآية 78 .

« 478 » « الالتزام » : لعل الصواب هكذا ، وهي بالاصول : (والالتزام) .

دل على ان «479» غلبها اياه من حسن عشرته ، وكرم سجاياه ، فتممت بهذه الكلمة قصدها ، وابانت جهد ما عندها ، ومثله قوله تعالى « كوني بردا وسلاما » «480» وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) «481» ، ومثله قول طرفه :

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمل

وفي قول التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من البلاغة يسمى « الارداف والتتبيع » ، وهو من اجلى وجوه البلاغة ، وارق أنفاس البديع ، وله من الايجاز والاختصار المحل الرفيع ، وهو لاحق بابواب الاشارة والوحى والكناية ، وموضوعه أن يقصد الابانة عن معنى فيترك اللفظ الخاص به ، الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ من توابع معناه اللازمة ، واسبابه المتعلقة ، واردافه المتضمنة ، وهو نوع يسميه البلغاء بالارداف ، وبعضهم بالتتبيع ، وفي الوصف به والتعبير مع ايجازه نوع من المبالغة ، ومنه قوله تعالى « مدهامتان » «482» ، فانه عبر بهذه اللفظة الواحدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمة هذه الجنة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريها ، وجمال منظرها ، وتمام حسن اشجارها ، ورونق نباتها ، بتابع من توابعها ، وهي دهمة خضرتها ، التي لا تكون الا مع تنهاى الرى ، وشباب النبات ،

«479» على ان : س ، ان : ز م ك .

«480» سورة الانبياء ، الآية 69 .

«481» سورة طه ، الآية 22 .

«482» سورة الرحمن ، الآية 64 .

وعدم الآفات ، وكذلك قوله تعالى في ذكر المسيح وأمه « كانا يأكلان الطعام » «483» ، فعبر عن حدوثهما ، وإبان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى أكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار الى أن من يأكل الطعام يكون منه الحدث ، وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية ، فتضمنت الآية الارداق والتتبع والكناية والوحى والاشارة ، فان تحت قوله « يأكلان الطعام » معانى عظيمة ، وفصولا كثيرة .

ويجب أن يتحقق أن الوحى والاشارة قد تتداخل صورها أحيانا مع الارداق والتتبع ، ومع الكناية ، كما فى هذه الآية ، وأحيانا تدخل فى باب الاستعارة كقوله : قيد الاوابد ، وقد عد قوله « قيد الاوابد » فى الابواب الثلاثة : الاستعارة ، والوحى والاشارة ، والارداق والتتبع ، وأحيانا تأتى الكناية والارداق كشيء واحد كما فى هذه الآية ، فانها تدخل فى باب الوحى والاشارة ، وفى باب الكناية والتعريض ، وفى باب الارداق والتتبع ، وذلك ان وجه بلاغة هذه الابواب واحد ، وهو المبالغة فى الوصف والإيجاز ، ولذلك تشاركها الاستعارة أحيانا ، فتأمل هذه التنبيهات تستفيد بها معنى ما تجده متفرقا ومختلفا فى كتب ارباب هذا الشأن : من تسمية بعضهم شيئا بغير ما يسميه به الآخر ، وإدخال بعضهم الآية أو البيت فى غير الباب الذى يدخله الثانى فيه «484» ، وعلة

«483» سورة المائدة ، الآية 75 .
«484» فيه : — : ز م ك س ، وإثباتها ضروري لتضمن العائد على اسم الموصول .

ذلك ما قلته من تغليب احد الالقاب عليه ، لظهوره في احد الابواب أكثر من ظهوره في الآخر ، فكذلك قول هذه « طويل النجاد » ، فان طول النجاد من توابع الطول ولوازمه ، فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا ، وكذلك قولها « عظيم الرماد » من توابع الكرم وروادفه ، لأنه لا يكثر رماده الا لكثرة وقوده النيران للضيفان ، وكذلك قولها « قريب البيت من النادى » من التتبع البديع أيضا ، اذ العادة انه لا ينزل قرب النادى الا المنتصب للضيفان ، فكان ردفا لجوده وكرمه ، وكان قولها « طويل النجاد » اكمل وابلغ من قولها : طويلا ، اذ ثم طول دون طول ، نلما عبرت عنه بما هو من توابعه بقولها « طويل النجاد » بالغت في طوله ، وكأنها أظهرت طوله للسامع صورة يراها ، مع ما في هذه الصيغة من طلاوة اللفظ مع الایجاز ، اذ لو أرادت تحقيق طوله المحمود لطلال كلامها ، وكذلك العبارة بكثرة النيران ، ونزول قرب النادى ، مبالغة في الوصف بالكرم ، وتحت هذه الالفاظ الوجيزة جمل كثيرة ، أعربت هذه الكنايات اللطيفة والاشارات الخفيفة عنها ، وأينها في البلاغة والمبالغة من قولها لو قالت : زوجى كريم كثير الضيفان ، أو أكرم الناس وأكثرهم ضيفانا ؟ فان واحدا من هذه الاوصاف على كثرة الفاظها ، ومبالغة أوصافها ، لا ينتهى منتهى واحد من قولها « عظيم الرماد » ، أو « قريب البيت من النادى » ، ومن هذا الباب قول العاشرة « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » .

على أن هذه قد امتد نفسها في الوصف قليلا ، ولكن باحسن عبارة ، واملح استعارة ، والطف اشارة ، وليس من شرط الاردا ف والتتبع أن يكون موجز اللفظ ، ولكنه قد يأتي أحيانا كذلك ، ولكن يأتي في الكلام على هذا النحو كيفما جاء من الديباجة والحسن ما لا شيء فوقه ، ومثله قول أم زرع (أناس من حلى أذنى) ، فعبرت عن كثرة ما حلاها به بأحد توابعه وهو صوت حركته ، ولا يكون ذلك الا مع كثرته ، ولو قالت « حلى أذنى » لم يقع من المبالغة وحسن اللهجة موقع قولها « أناس من حلى أذنى » ، ومنه قولها « أقول فلا اقبح ، وارقد فأتصبح ، واشرب فأتقمح ، وآكل فأتمنح » ، فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملا من الكلام ، حسب ما قدمناه ، فكنت عن العزة والكرامة عنده بأنه لا يقبح قولها ، وهو ردف من روادف العزة لازم ، وفصل من فصولها ثابت ، فاكتفت بذلك عما وراءه ، وعبرت عن ترفيها عن المهنة ، واعفائها من الخدمة ، وكونها مكفية المئونة مدلة ذات خدم وسعة : بنومها الصبحة ، اذ لا ينامها الا من هو بهذه الصفة ، ثم ابانت عن رغد عيشها ، وكثرة نعمتها ، ووفور طعامها وشرابها ، وفضلته عن حاجتها ، بقولها « أتمنح » و « أتقمح » ، اذ لا يكون الرى بعد الرى ، ولا تمنح المرأة وتعطى — مع وصفهن بالبخل — الا مع كثرة الشيء ، وبعد فضله عن حاجتها ، ومن بديع هذا الباب قول أم زرع « ملء كسائها ، وصفر ردائها » ، فعبرت عن اعتدال خلقها ، وتقسم جسمها بين الرقة والغلظ ، وكون كل عضو منها موفى حقه ، بتابع من توابعه ، وهو ملء الكساء ، وصفر الرداء ،

ثم جمعت كل ثناء ، وطوت كل مدح ، وادمجت كل حسن : من خلق وخلق ، تحت لفظتين ، بقولها « غيظ جارتها » ، فهو من باب الارداف ، وان شئت قلت «485» من باب الوحي والاشارة ، فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجاز كل مذهب ، وأنت فيها من البلاغة والمبالغة والغلو بكل معجز .

وفي كلام أم زرع من البديع حسن التسجيع ، وكذلك في كلام هذه انتاسعة ، بل كلهن حسان الاسجاع ، متفقات الطباع ، غريبات الابداع ، غير مستكرهات الالفاظ ، ولا ملفقات القوافي ، ولا قنقات الفواصل ، لا سيما هذه التاسعة ، فلا شيء أسلس من كلامها ولا أربط من نظامها ، ولا اطبع من سجعها ، ولا أغرب من طبعها ، وكأنما فقرها مفرغة في قالب واحد ، ومحذوة على مثال متوارد ، ثم مدت نفسها في الفقرة الرابعة ، فأطأنتها شيئاً استرواحاً للخروج ، وإشارة للقطع ، وهذا حكم الاسجاع ، فانها تحتاج الى تقدير ، ويكره فيها التطويل ، فان وقع في أول فقرة من الفقرتين كان عيا ، وخرج عن حد البلاغة ، وتخاذل به الكلام ، وهو في آخر الفقرتين غير معيب ، بل ربما جاء مستحسنًا - لا سيما ان توالى الفقر على سجع واحد ، وجاءت «486» على تقدير متعاقد ، فالخروج من آخرها بعد زيادة فيها على تقدير اخواتها أحسن في السجع ، وواقع في

«485» قلت : س ، — : ز م ك .
«486» جاءت : ز م ك ، توالى : س .

السمع ، وهذا ما «487» لا ينكره حسن الذوق في الكتابة ،
ولا يجله «488» الا طبع الطبع في الخطابة .
وأما تكرير أم زرع اسم أبي زرع في كلامها ، وتصريحها
به في أول فصولها ، فليس من عيب الكلام ، ولا من باب
التكرار ، لأن التكرار المعيب إنما يكون
إذا كان في جملة واحدة ، وأما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها
فليس بعيب . ولكنه منه ما يكون محتملا ، ومنه
ما يكون حسنا ، من باب البلاغة ، كقولها « أبو زرع ، فما أبو
زرع ؟ » ، فان التصريح هنا أبلغ من الكناية ، لما فيه من
التعظيم والتعجب ، كما قلناه في قول العاشرة « مالك ، وما
مالك ؟ » وقوله تعالى (الحاقة ، ما الحاقة) «489» ، فقد تقدم
فيه ما أغنى ، وإنما يقبح إذا كان على غير هذا الوجه وكان في
جملة واحدة ، وأما في جمل مختلفة فليس بقبيح «490» ،
قال الله تعالى « مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل
رسالاته » «491» ، وقد عد الحاتمي وغيره بعض هذا النوع
من أبواب البديع ، وسماه « الترديد » ، وهو أن يعلق الشاعر
لفظة في البيت — أو النثر في الفصل — بمعنى ، ثم يرددها فيه
ويعلقها بمعنى آخر ، كقول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندا خالقا

-
- «487» ما : ز م ك ، مما : س .
«488» يجله : م ك ، ينكره : ز ، يجعله : س وهو تصحيف .
«489» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .
«490» بقبيح : م س ، يقبح : ز ك .
«491» سورة الانعام ، الآية 124 .

وقال الآخر :

لبس (121) البلى مما لبسن اللياليا

فكرر (يلق) و (لبسن) .

ونازعه في ذلك الخفاجي ، وقال : ان هذا الترديد كسائر

التأليف

قال الفقيه القاضى الاجل وفقه الله وسدده : والذى

عندى ان ما كان من ذلك يضطر الكلام اليه ، ولا يتم المعنى
الا به ، فهو على ما قاله الحاتمي ، وهو يفيد الكلام حسنا
ورونقا ، لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى ، نحو ما ذكرناه
من المثال ، ومثله قوله تعالى « واذا رأيت ثم رأيت نعيما
»492« وقوله (الذى علم بالقلم ، علم الانسان
»493«) وما كان منه على غير ذلك وكان من جملة أو جملتين
كقول الفرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه ولا منسى معن ولا متيسر

وقول الآخر :

لا أرى الموت يسبق الموت شىء

نقص الموت ذا الغنى والفقير

وقول امرؤ القيس :

الا اننى بال ، على جمل بال يتود بنا بال : ويتبعنا بال

«492» سورة الانسان ، الآية 20 .

«493» سورة العلق ، الآية 4 - 5 .

(121) « لبس » : كذا بالاصول . ولعلها : « لبسن » .

فغير مستحسن ، بل هو قبيح ، الا أن يأتي للتعظيم كقول الله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) «494» ، وعليه حمل بعضهم ما تكرر في البيتين الاولين من ذكر «معن» ، والموت ، أو للتأكيد كقوله تعالى (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) «495» على قول بعضهم ، وكتكراره عليه السلام كثيرا من كلامه ، أو للبيان كقوله تعالى (الذي خلق ، خلق الانسان من علق) «496» وقوله تعالى (الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) «497» ، أو يكون تكرار ذلك اللفظ مما يستلذ الناطق به ، كما قال :

« وبالأفواه اسماءهم تحلو »

وقد قال المعري في قول الشاعر :

الاحبذا هند ، وارض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد
فقال : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيبا ، فهو يجد اللفظ بها حلاوة ، فأمر زرع في تكرار اسمه في فصول كلامها مصرحة به غير مضمرة له ، ولا مكتفية بما تقدم من اظهاره : اما لعظمه في نفسها ، وبأوها «498» به وفخرها ، أو لحلاوة ذكره في فمها ومكانته من قلبها ، بدليل آخر الحديث ، أو لابانة وصفها ، وكشف اللبس في قصصها ، لانها لو قالت :

-
- «494» سورة الانعام ، الآية 124 .
«495» سورة الانشراح ، الآية 5 — 6 .
«496» سورة العلق ، الآية 1 — 2 .
«497» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .
«498» بأوها : زك ، برها : س .

ابنته ، وجاريته ، وطهاته ، وماله ، وضيئه ، على ما ورد في بعض الطرق ، حتى : كلبه ، فقد ذكر ابن الانبارى وابو القاسم البغوى من رواية هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس ، عن هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله ، عن عروة انه قال : وقد كانت عائشة وصفت لى كاب أبى زرع فانسيته ، فلو ذكرت أم زرع هذه الاشياء مضافة ، بعد وصفها لابنه ، لادخلت الايهام بينه وبين ابنه ، فكان قولها « بنت أبى زرع » « جارية أبى زرع » « خرج أبو زرع » اجلى فى الوصف ، لا سيما مع أن تكرار ذكره إنما هو فى «499» ابتداء جملة واستئناف قصة ، فهو غير قبيح . وأما تكرارها فى أول كل قصة اسمه مرة أخرى من قولها « فما ابن أبى زرع ؟ » « فما جارية أبى زرع ؟ » ، فقد تقدم أنه بمعنى التعجب والتعظيم ، وإن الوجه فيه الاظهار ، وهو الفصيح ، لأنه المقصد والغرض من التنويه ، وفى الاضرار اخفاء وتمويه .

هنا انتهى بنا القول فيما حررناه من الكلام فى هذا الحديث ، وقد احتوى على جمل من فنون العلم حسان ، وفقر من ضروب الادب غراب «500» ، وخرجنا فيه نحو عشرين مسألة من الفقه ، ومثلها من العربية ، مع كثرة ما ذكرنا فيه من كلام الشارحين واصحاب المعانى ، وترجيح الصواب ، وتوليد كثير مما لم يتقدم فيه كلام بلغه علمى ،

«499» فى : ك ، من : ز م س .
«500» غراب : ز م ك ، عذاب : س .

وانتهى اليه ذكرى ، واقتصرت في أكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا العلم ، واستغنيت بذاك عن الشاهد الا في النادر ، حرصا على الاختصار ، واكتفاء بقول اولئك القدوة ، اذ هم المقلدون في ذلك ، وذكرت الشواهد في المعانى تمهيدا لها ، واطهارا لوجوهها ، وحجة على صحة تأويلاتها ، لاشتراك الخواطر فيها ، وتوارد العقول عليها ، وحررت في هذا الفصل الاخير من علم البلاغة ، واستثرت ما في كلامهن من سر الفصاحة ، وغرائب النقد ، وبديع الكلام ، ما فيه غنية لمتأمليه ، ممن شدا في باب الادب شيئا ، وتطلع لأن يعلم صناعة تأليف الكلام ، ويفهم منازع أرباب هذا الشأن ، وعلى الله — جل اسمه — الاعتماد في العفو عن الزلل ، والرغبة في غفران المباهاة في القول والعمل ، فهو — جل اسمه — ولي العصمة ، ومولى الرحمة ، ومؤتى شكر النعمة ، لا اله غيره ، وصلواته على مصطفىاه من خلقه ، محمد نبيه ، وعلى آله ، وسلامه كثيرا .

فى آخر النسخة الزيدانية :

تم الكتاب بحمد الله تعالى ، وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، المصطفى من بريته ، وسلم كثيرا ، وذلك فى الرابع عشر من شهر الله المبارك شعبان ، عام ثمانية وثلاثين ومائة والف .

وفى آخر النسخة الملكية :

تم الكتاب والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه ، محمد عبده ورسوله ، واهله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتبه العبد الفقير ، الراجى رحمة الله ، احمد رشيد الانصارى الدمشقى لنفسه ، بدار الحديث الكاملية ، بالقاهرة السعيدة ، وكان الفراغ من نسخة يوم السادس والعشرين من ربيع الآخر ، سنة اثنتين واربعين وستمائة

وفى آخر النسخة الكتانية :

انتهى بحمد الله وحسن عونه ، على يد كاتبه الفقير الى الله ، الراجى عفو مولاه ، محمد البجائى ، الشريف نسبًا ، ابن على بن احمد ابن الحاج الجود ، غفر الله له ولوالده ، آمين .

تفسير حديث أم زرع

من تأليف سيدى عبد الرحمن السيوطى
فى تعليقه على البخارى

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حديث أم زرع أفرد شرحه بالتصنيف خلائق ، آخرهم القاضى عياض . (حدثنا عيسى بن يونس ...) أكثر الرواة عنه وقفوه ، الا أحمد بن داود الحرانى فانه رواه عنه فقال فى أوله : عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه النسائى وغيره من أوجه أخرى مرفوعا . قال ابن حجر : (ويقوى رفعه ان قوله فى آخر الحديث « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » متفق على رفعه ، وذلك يقتضى أن يكون صلى الله عليه وسلم سمع (1) القصة وعرفها فأقرها ، فيكون كله مرفوعا من هذه الحثية (2) . « جلس احدى عشرة امرأة » . زاد الزبير بن بكار : « من أهل اليمن » .

قالت الاولى : — اسمها مهدد بنت أبى مهزومة — :
« زوجى لحم جمل غث » ، بالجر صفة جمل ، وبالرفع صفة

(1) كلمة « سمع » غير موجودة بالاصل ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى .
(2) فتح البارى (11 : 165) ، والنص منقول بتصريف .

لحم ، وهو بفتح المعجمة وتشديد المثلثة أى الهزيل ، لأنه يستغث من هزاله أى يستكره ، من قولهم غث الجرح سال قيجا ، واستغثه صاحبه ، وأكثر استعماله فى مقابلة السمين . « على رأس جبل » زاد الترمذى : « وعر » ، والنزير بن بكار : « وعث » ، وهو أوفق للسجع ، والوعث بمثلثة : الصعب المرتقى ، بحيث يشق فيه المشى ، ويصعب فيه التخلص منه ، والوعر : الكثير الصخر الشديد الغلظة ، يصعب الرقى اليه . « لاسهل » بالفتح بلا تنوين ، وبالرفع على تقدير هو ، وبالجر منه (3) ، وللنسائي : « لاسهلا » بالتنوين ، وله أيضا « لالسهل » وكذا « ولا سمين » بالخمسة (4) . « فيرتقى » أى يصعد فيه . « ولا سمين فينقل » بمعنى ينقل ، أى لهزاله لا يرغب فيه أحد فينقله (5) اليه . ولأبى عبيد « فينتقى » وهو أوفق للسجع ، أى ليس له نقى يستخرج ، والنقى المخ ، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردى . قال عياض : (فيه تشبيه شيئين بشيئين ، شبهت

(3) وجه الجر كما قال عياض : (على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوها عند النحاة . وقد يكون له ايضا وجه آخر : وهو ان تقدر « لا » بمعنى « غير » ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها) .

(4) أى انه يجوز فى قولها « لالسهل ولا سمين » خمسة اوجه : لالسهل ولا سمين ببناء الاسمين على الفتح ، لالسهل ولا سمينا الاول على الفتح ورفع الثانى ، لالسهل ولا سمين برفع الاول ببناء الاول على الفتح ونصب الثانى ، لالسهل ولا سمين ببناء وبذاء الثانى على الفتح ، لالسهل ولا سمين برفع الاسمين .

(5) فينقله : ت ، فينقله : ع .

زوجها باللحم الغث ، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ، ثم فسرت ما أجمت فكأنها قالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا ، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ اذا وجد من غير نصب ، ولا اللحم سمين فيحتمل المشقة في صعود الجبل لأجل تحصيله ، وشبهته بلحم الجمل دون غيره من اللحوم لأنه ليس في اللحوم أشد غثاثة منه ، لأنه يجمع خبث الطعم وخبث الريح (6) .

قالت الثانية : — لم تسم — ، « زوجى لا أثبت خبره » بالموحدة ثم المثلثة ، أى لا أظهر حديثه ، وروى « لا أنت (7) » باننون ، وهو ذكر خبر الشر ، ولطبرانى : لا أنم . « انى أخاف أن لا أذره » أى أن لا أترك شيئا من خبره ، فالضمير للخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأت لم أقدر على تكميله ، فاكتفت بالاشارة الى معاييه خشية أن يطول الخطب بإيراد جميعها . وقيل الضمير للزوج ، أى أخاف أن لا أقدر على تركه لعلاقتى به وأولادى منه ، فاكتفت بالاشارة الى أن له معايب وفاء بما التزمته من الصدق ، وسكنت عن تفسيرها للمعنى الذى اعتذرت به . « ان أذكره أذكر عجره وبجره » بضم العين المهملة أول الاول والموحدة أول الثانى وفتح الجيم فيهما ، جمع عجرة وبجرة ، فالأولى تعقد العصب

(6) بغية الرائد ، فى الكلام على قول المرأة الاولى ، والنص منقول باختصار وتصرف ، ومعظمه منقول من فصل « بيان » عند الكلام على قول الاولى ، وآخره منقول من « غريب قول الاولى » .
(7) لا انت : ع ، انت : ت . ولعل الاولى بالصواب اثباتها مع اداة النفس .

والعروق في الجسد حتى تصير نائثة ، والثانية كذلك ،
الا أنها مختصة بالتى في البطن ، وقيل العجرة نفخة في الظهر
(8) والعجرة نفخة في السرة ، وقيل العجر العقد في
البطن واللسان والبجر العيوب ، وقيل
العجر في البطن والجنب والبحر في السرة . هذا أصلها ثم
استعملت في الهموم والاحزان وفي المعاييب . قال الخطابي :
أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة .

قالت الثالثة : — اسمها كبشة بنت الارقم — : « زوجى
العشيق » بفتح المهملة ثم المعجمة ثم النون
المشددة وقاف ، أى الطويل المذموم الطول ، وقيل
القصير ، وهو من الأضداد ، وقيل السىء
الخلق ، وقيل المقدم الجرى انشرس ، وقيل هو الطويل
النجيب الذى يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيه بل يحكم
فيهن بما شاء فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته فهى تسكت على
مضض (9) ، قال الزمخشري : وهى من الشكاية البليغة ،
« ان أنطق » بأمر أراجعه فيه « أطلق ، وان أسكت أعلق » أى
أكون عنده معلقة لا ذات زوج فأنتفع به ولا مطقة ، زاد ابن
السكيت بعده : « على حد السنان المذق » بفتح المعجمة
وتشديد اللام ، أى المجرد وزنا ومعنى ، تشير الى أنها منه
على حذر .

(8) الظهر : ت ، البطن : ع . ولعل الصواب هى الكلمة الاولى اخذا
من كلام القاضى عياض .

(9) فى الاصلين : « مضض » ، ولعل الصواب ما اثبتته .

قالت الرابعة : — لم تسم — : « زوجى كليل تهامة » ، هو
مما يضرب به المثل فى الحسن لأنها بلاد حارة وليس فيها رياح
باردة فاذا كان الليل كان وهج الحر ساكتا فيطيب الليل
لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار ، ولهذا قالت
« لا حر ولا قر » أى شدة برد ، وللنساءى : « ولا برد »
بدله ، وهما بالفتح بلا تنوين ، ولأبى عبيد بالرفع منونا ،
« ولا مخافة ولا سامة » أى ملك ، زاد الهيثم : « ولا وخامة »
بخاء معجمة ، أى ثقل ، زاد الزبير : « والغيث غيث غمامة » .
والحاصل أنها وصفت زوجها بطيب العشرة وحسنها ، واعتدال
الحال ، وسلامة الباطن ، وعدم الشر فلا يخاف أذاه ، وعدم
السامة منها أو منه ، لحسن عشرته ، ولين جانبه ، وخفة وطأته .

قالت الخامسة : — اسمها حبى ، بضم المهملة وتشديد
الموحدة ، مقصور ، بنت علقمة — : « زوجى ان دخل فهد » ،
بفتح الفاء وكسر الهاء ، أى فعل فعل الفهود ، شبهته بالفهد فى
لينه وغفلته مدحا ، لأن الفهد يوصف بالحياء ، وقلة الشر ،
وكثرة النوم ، « وان خرج أسد » بفتح أوله وكسر السين ، أى
فعل فعل الاسود من الشهامة والصرامة بين
الناس ، « ولا يسأل عما عهد » : أى انه كثير انكرم ، شديد
التغاضى ، لا يتفقد ما ذهب من بيته من مال وطعام ، وقيل
انها أرادت الذم ، وهو أنه يثب عليها بالجماع كأنفهد ، لغلظ
طباعه ، وليس عنده ما عند الناس من المداعبة والملاعبة قبله ،
أو بالضرب والبطش ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد فى

الجرأة والاقدام ، ولا يتفقد حالها وحال بيتها وما تحتاج اليه .
والاكثر شرحوه على المدح . ووقع في رواية الزبير بن بكار
مقلوبا : « اذا دخل أسد ، واذا خرج فهد » ، فان صح فالمراد
أنه اذا خرج الى الناس كان في غاية
الرزانة والوقار وحسن السميت ، واذا دخل منزله كان متفضلا
مواسيا ، لأن الاسد يوصف بأنه اذا افترس أكل من فريسته
بعضا وترك الباقي لمن حوله من الوحوش ولم يهاوشهم عليها ،
وزاد : « ولا يرفع اليوم لغد » ، أي لا يدخر ما حصل عنده
اليوم من أجل الغد ، كناية عن جوده ، وهو يؤيد ارادة المدح .

قالت السادسة : — اسمها بنت أوس بن عبد — : « زوجي
ان أكل لف » ، أي استقصى ما قدم اليه فلا يترك منه شيئا ،
وروى رف بالراء بمعناه ، وللنسائي : اقتف ، بقاف ومثناه ، أي
جمع واستوعب ، « وان شرب اشتف » بمعجمة ومثناة :
استقصى ، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف ، وهي البقية
تبقى في الاناء ، فاذا شربها الذي شرب الاناء قيل اشتفها ،
وروى بمهملة وهي بمعناها « وان اضطجع انتف » : أي رقد
وحده وتلف بكسائه وانقبض عن أهله اعراضا . زاد النسائي
بعد هذه : « واذا ذبح اغتث » أي تحرى الغث ، وهو الهزيل ،
« ولا يولج الكف ليعلم البث » أي لا يمد يده اليها ليعلم ما بها
من حزن أو مرض أو أمر مكروه ، لقلة شفقتة عليها .

قالت السابعة : — اسمها هند — : « زوجي غياياء » بفتح
المعجمة وتحتيتين خفيفتين ، أو عياياء بمهملة ، شك من عيسى

بن يونس ، ولنسائي من طريق غيره الجزم بالاولى ، وهو مأخوذ من النعى ضد الرشد ، وهو المنهمك فى اشر . والثانى من اعى بالكسر وهو الذى تعييه مباحضة النساء . « طباقاء » : هو الأحق ، وقيل : الثقل انصدر عند الجماع ، يطبق صدره على صدر المرأة فيرتفع عجزه عنها ، وهو مذموم عند النساء ، « كل داء له داء » : أى كل ما تفرق فى الناس من المعاييب موجود فيه . وخبر « كل » جملة « له داء » ، و « له » صفة ما قبله : « شجك » بمعجمة وجيم مشددة : أى جرحك فى رأسك . زاد ابن السكيت : « أوبجك » بموحدة وجيم : أى طعنك ، « أوفك » بفاء ولام مشددة : أى جرح جسدك ، « أو جمع كلاك » : المراد أنه ضروب للنساء ، فاذا ضرب فلان أن يشج رأسا ، أو يجرح جسدا ، أو يجمع الأمرين معا . وفى رواية الزبير : « ان حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والا جمع كلا لك » .

قالت الثامنة : — اسمها عمرة بنت عمرو — : « زوجى امس مس أرنب » هى دويبة لينة المس ناعمة الوبر ، « والريح ريح زرنب » بزاي أوله ، نبت طيب الريح . واللام فيها نائبة عن الضمير . وصفت لين جسده وطيب رائحته ، أو كنت بذلك عن حسن خلقه وجميل عشرته . زاد النسائي : « وأنا أغببه والناس يغلب » ، فوصفته مع جميل عشرته لها وصبره عليها بالشجاعة ، فهو احتراس فى غاية الحسن .

قالت التاسعة : — اسمها كبشة — : « زوجى رفيع العماد » ،

أى على البيت ، كناية عن الشرف ، فان الاشراف كانوا يعملون بيوتهم ويضربونها فى المواضع المرتفعة ، ليقتصد هم الطارقون والوافدون . « طويل النجاد » بكسر النون وتخفيف الجيم : حمائل السيف ، كناية عن طول القامة ، وكانت العرب تمدح بذلك وتذم بالقصر . « عظيم الرماد » : كناية عن كونه مضيافا . « قريب البيت من انناد » : أصله النادى ، فحذفت اياء للسجع ، وهو مجلس القوم ، وكذلك كانت بيوت الأشراف بين مجالس القوم ، لتسهل مراجعتهم فى الامور ومشاورتهم ، زاد الزبير : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف » .

قالت العاشرة : — اسمها حبي بنت كعب — : « زوجى مالك ، وما مالك ؟ » استقهام تعظيم وتقخير . أى انه أمر عظيم لا يعبر عنه . « مالك خير من ذلك » أى انه أعظم مما ذكر به من خير ، وفوق ما اعتقد فيه من سوء ، فلأشارة بذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح ، أو الى ما ستذكره به ، أو الى ما تقدم من الثناء على الذين قبله . « له ابل كثيرات المبارك » بفتح أوله : جمع مبارك ، بفتحتين ، موضع بروك الابل . « قليلات المسارح » جمع مسرح ، وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه ، اشارة الى كثرة ضيفانه واستعداده لهم ، فهى باركة حول بيته ليذبح منها عند مفاجأة اضيف ، ولا يوجه منها الى المسارح الا قليلا ، « اذا سمعن صوت المزهر » بكسر الميم وسكون انزاي وفتح الهاء : آلة من آلات اللهو ، وقيل دف مربع ، وغلط من زعمه بضم الميم وكسر

الهاء ، قائلا إنه الذى يوقد النار فيزهرها للضيفان . « أيقن
أنهن هوانك » أى لما علم من عادته بنحر الابل لقرى الضيف .
زاد ابن السكيت « وهو امام انقوم فى المهاك » أى الحروب ،
لشجاعته .

قالت الحادية عشرة : — وهى أم زرع بنت اكيميل بن
ساعدة — : « زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ » استفهام
تعظيم كما تقدم ، وكذا ما بعده ، (أناس) : أى أثقل حتى
تدلى واضطرب (من حلى) بضم المهمله وكسر اللام (أذننى)
بالتثنية . زاد ابن السكيت : (وفرعى) أى يدى ، تعنى أنه
حلى أذنيها ومعصميهما (وملا من شحم عضدى) قال أبو عبيد :
لم ترد العضدين وحدهما ، بل الجسد كله لأن العضد اذا سمن
سمن سائر الجسد « وبجحنى » بموحدة ثم جيم خفيفة ،
والنسائى شديدة ثم مهمله ، « فبجحت » بسكون المثناة ،
ولمسلم « فتنبجحت الى نفسى » قال أبو عبيد : أى فرحها
ففرحت . وقال ابن الأتبارى : عظمها فعظمت . وقال ابن
السكيت : فخرها ففخرت . وقال ابن أبى أويس : المعنى وسع
عليها وترفها (وجدنى فى أهل غنيمة) تصغير غنم (بشق)
بكسر المعجمة ، قال الخطابى : والصواب فتحها ، اسم موضع
كانوا فيه ، وقال الأتبارى : هو بانفتح والكسر موضع ، وقال
ابن قتيبة وغيره : هو بالكسر أى بجهد من العيش كقوله :
« بشق الأنفس » . (فجعلنى فى أهل صهيل) أى خيل
(واطيط) أى ابل ، وهو صوت أعواد المحامل والرحال عليها ،

(ودائس) اسم فاعل من الدوس : أى زرع يداس ، أى يدرس
 كالمح والشعير ، (ومنق) بضم الميم وكسر النون وتشديد
 انكاف : أى أهل نقيق ، وهو أصوات المواشى ، وقيل الدجاج ،
 والمراد أنه نقلها من أهلها أهل الضيق فى المعيشة الى أهل
 رفاهة (10) وسعة ، (فعنده أقول فلا أقبح) أى فلا يقبح
 قولى ، ولا يرد على ، لآكرامه لها (وأرقد فأتصبح) أى أنام
 الصبحة ، وهى نوم أول النهار ، فلا أوقظ ، آكراما لها أيضا ،
 (وأشرب فأتقنح) بالقف والنون المشددة وحاء مهملة ، وبالميم
 خارج الصحيحين بدل النون ، وهما بمعنى اترى بعد الرى ،
 أى تشرب حتى لا تجد مساغا ، زاد الهيثم : (وأكل فأتمنح) أى
 أطعم غيرى .

(أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكوما) بضم المهملة ،
 جمع عكم ، بكسرها وسكون انكاف : الاعدال والاحمال التى
 يجمع فيها الأمتعة ، وقيل : نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها
 « رداح » بكسر الراء وفتحها آخره مهملة : ملاء أو عظام كثيرة
 الحشو « وبيتها فساح » يفتح انفاء والمهملة خفيفة : أى واسع .
 ولأبى عبيد « فياح » بوزنه ومعناه .

« ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسل
 شطبة » هى الواحدة من سدى الحصير ، أى قدر ما يسلم منها
 فيبقى مكانه فارغا ، كناية عن هيف القدر وأنه ليس ببطين (11)

(10) رفاهة : ت ، رفاهة : ع . وكلاهما بمعنى .
 (11) ببطين : ت ، ببطين : ع . والبطين : العظيم البطن ،
 ولبطن : الذى لا هم له الا بطنه . ولعل الصواب الاولى .

ولا جاف ، « ويشبعه ذراع الجفرة » بفتح انجيم وسكون افاء :
الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر .
زاد ابن الأنباري « وترويه (12) فيقة ايعرة » بكسر الفاء
وسكون انتحية وقاف : ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين ،
واليعرة بفتح التحتية وسكون المهملة وراء : العناق ، أى انه
قليل الاكل والشرب ، زاد أيضا : « ويميس » بمهمله ، أى
يتبختر ، « فى حلق النثرة » بنون وسكون المثناة (13) : الدرع
اللطيفة ، أى انه ملازم لآلة الحرب .

« بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ طوع أبيها وطوع
أمها » أى انها بارة بهما زاد الزبير : « وزين أهنها ونسائها »
أى يتجملون بها « ولاء كسائها » أى ممتئة شحما زاد ابن
السكيت : « وصفر ردائها » بكسر المهملة وسكون الفاء : أى
خال فارغ لسمن أكتافها ، وقيام نهودها ، فلا يمس ثيئنا من
ظهرها ولا من بطنها « وغيط جارثها » أى ضرثها ، لحسنها .
ولمسلم بدل وغيط : « وعقر » ، ولغيره : « وغير » من الغيرة ،
وللهيثم : « وعبر » بمهمله وموحدة ، من العبرة ، وللنسائي :
« وحير » بمهمله وتحتية ، من الحيرة ، وله أيضا « وحين »
بالنون ، أى : هلاك ، زاد ابن السكيت : « قباء » بفتح القاف
وتشديد الموحدة ، أى ضامرة البطن ، « هزيمة (14) »

(12) ترويه : ت ، يرويه : ع
(13) قوله « وسكون المثناة » : غلط وقع فيه تبعا لابن حجر ، والصواب :
بسكون المثناة . اما « النثرة » بالمثناة فهى الطعنة النافذة .
(14) « هزيمة » : هكذا فى شرحى ابن حجر والقسطلانى ، وهو
الصواب ، وفى الاصل : « عزيمة » ، وهو غلط .

الحشا « وهو بمعناه ، « جائلة (15) الوشاح » أى يدور وشاحها بضمور بطنها ، « عكاء » أى ذات اعكان ، « فعماء » بمهملة ، أى ممتلئة الجسم ، « نجلاء » بنون وجيم ، أى واسعة العين ، « دعجاء » أى شديدة سواد العين ، « رجاء » بالراء وتشديد الجيم ، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه ، أو بانزاي ، أى مقوسة الحاجبين ، « قنواء » أى محدودة الأنف ، « مؤنقة » بنون شديدة وقاف « مفنقة » بوزنه ، أى مغذاة بالعيش الناعم . زاد ابن الأثير : « برود انظف » أى حسنة العشرة ، « وفى الال » أى العهد ، « كريم الخل » بكسر المعجمة ، أى صاحب .

« جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثينا » وروى « تنثينا » بالموحدة واننون ، أى لا تظهره ، وهما بمعنى ، الا أن النث بالنون فى انثر خاصة ، « ولا تنقت ميرتنا تنقينا » بتشديد القاف بعدها مهملة ، أى لا تسرع فى الطعام بالخيانة ولا تذهب به بالسرقة ، وضبطه عياض بسكون النون وبضم القاف ، وضبطه الزمخشري بالفاء المشددة ، ولزبير بدله : « ولا تفسد » ، وله أيضا : « ولا تنقل » ، ولابن الأثير : « ولا تغث » بمعجمة ومثلثة ، أى لا تفسد ، من (الغثة) بالضم وهى السوسة (16) ، وللنسفى :

(15) « جائلة » : هكذا فى شرحى ابن حجر والقسطلانى ، وهو

الصواب ، وفى الاصل : « حائلة » ، وهو تصحيف .

(16) « الغثة » : الشئ اليسير من المرعى ، وقيل : هى البلغة من

العيش ، وقد اخطأ السيوطى فى تفسيرها حيث فسرهما

بالسوسة . اما السوسة فهى « الغثة » بالعين المهملة .

« الا أنه طلقها واني (17) لا أطلقك » فقالت عائشة : بأبى أنت وأمى ، لأنك خير لى من أبى زرع لام زرع .

فائدة : فى رواية أبى يعلى فى هذا الحديث : وذكر شعر أبى زرع فى أم زرع وأم يسقه . قال ابن حجر : (ولم أقف فى شىء من طرقه عليه) (18) .

قال العلماء : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ولم ينكره مع ما فيه من غيبة الأزواج لانهم مجهولون ، ولا حرج فى سماع الكلام فى مجهول لأنه لا يتأذى الا اذا عرف أن (19) من ذكر عنده يعرفه .

(17) واني : ت ، وانا : ع .

(18) فتح البارى (11 : 185) .

(19) كلمة « ان » غير موجودة بالاصلين ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى (11 : 186) .

« والاولطاب تمخض » جمع وطب بالفتح وسكون المهملة : وعاء اللبن « فاقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين » ، لابن الانبارى : « كاصقرين » واغيره : « كالشباين » اشارة الى صغر سنهما ، وشدة خلقهما « ياعبان من تحت خصرها برمانتين » قال أبو عبيد : تريد أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت ارتفع كفلها بها من الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها ارمانة « فطقتى ونكحها » زاد الحارث : « فأعجبته » وفي بعض طرقه أنه نكحها فأم تزل به حتى طلق أم زرع « فنكحت بعده رجلا » للنسائي : « فاستبدات وكل بدل أعور » ، وهو مثل معناه أن البدل من الشيء غابا لا يقوم مقام امبدل منه ، بل هو دونه ، والاعور : المعيب وارديء . « سرىا » من سراة الناس أى شرفائهم « ركب شرييا » بمعجمة بوزن ما قبله : أى فرسا خيارا فائقا . ولاحارث : « ركب فرسا عربيا » ، « وأخذ خطيا » بفتح المعجمة وكسر المهملة المشددة : هو ارمح ، ينسب الى الخط ، موضع بنواحي البحرين تجب منه الرماح ، « وأراح » أفعل من ارواح ، وهو مجيء الابل آخر النهار « عى نعمما ثريا » بمثلثة : أى كثيرة « وأعطانى من كل رائحة » براء وتحتية ومهملة : أى نعم آتية وقت الرواح ، ولمسلم « ذابحة » أى من كل شىء يذبح « زوجا » أى اثنين .

« كنت لك كأبى زرع لأم زرع » زاد الهيثم : « فى الالفه وارفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » زاد الزبير :

« ولا تقش » من (الاقشاش) ، وهو طنب الاكل من ها هنا
وها هنا ، وكلها راجعة الى معنى الافساد .

« ولا تملأ بيتنا تعشيشا » بمهمة أى انها مصلحة البيت
مهمة بتخليفه ، وبمهمة من (الغش) ، أى لا
تملؤه بالخيانة بل هى ملازمة للنصيحة فيما هى فيه ، وقيل هو
كناية عن عفة فرجها ، أى انها لا تملأ البيت وسخا بأطفالها
من الزنا ، وقيل : عن وصفها بأنها لا تأتيتهم بشر ولا نميمة ،
واللهيتم : « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » بنون وجيم ومثثة ،
أى لا تستخرجها .

زاد الحارث ابن أبى أسامة والاسماعيلي : « قالت عائشة ..
حتى ذكرت كلب أبى زرع » .

زاد الهيثم بن عدى فى روايته : « ضيف أبى زرع ، فما
ضيف أبى زرع ؟ فى شبع ورى ورتع ، طهارة أبى زرع ، فما
طهارة أبى زرع ؟ لا تفتر ولا تعدى ، تقدر قدرنا وتنصب أخرى ،
فتحق الآخرة بالاولى ، مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ على
الجمم معكوس ، وعلى العفارة محبوس » . قوله « طهارة » بضم
المهملة ، هم الطباخون ، « ولا تعدى » : لا تصرف ، « تقدر »
أى تغرف ، و « تنصب » : ترفع على النار ، و « انجمم » :
جمع جمعة : القوم يسألون فى الدية ، و « معكوس » : مردود
و « العفارة » : اسائلون ، و « محبوس » : موقوف .

قالت : « خرج أبو زرع » زاد النسائي من عندى

محتوى « بفية الرائد »

صفحة

كلمة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

المقدمة	أ
القاضي عياض	ج
بفية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد	د
نسخ الكتاب وعملنا فيه	ز
تفسير حديث ام زرع للسيوطي	ي

مقدمة المصنف مع ايراد متن حديث « ام زرع » باسناده	1
تفسير السنن	18
التعريف بالنسوة صواحب القصة	23
العربية	26
الفقه (وفيه بحث نفيس فيما يقدر في عدالة الشاهد)	32
الفرييب	43
غريب قول الاولى	45
معناه	48
عربيته	48
بيان	51
فقهه	54

صفحة

59	غريب قول الثانية
60	— معناه
63	غريب قول الثالثة
64	— معناه
67	غريب قول الرابعة
67	— عربيته
68	— معناه
70	غريب قول الخامسة
74	— عربيته
75	— معناه
80	غريب قول السادسة
81	— معناه
88	تفسير قول السابعة
88	— غريبه
91	— عربيته
91	— معناه
93	غريب قول الثامنة
94	— معناه
95	غريب قول التاسعة
95	— معناه

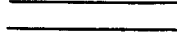
صفحة

105	غريب قول العاشرة
105	عريبته
107	معناه
117	تفسير قول الحادية عشرة (وهي أم زرع)
117	عريبته « قالت الحادية عشرة »
118	غريبه « أناس من حلي أذني »
120	عريبته
121	معناه
121	غريب قولها « وجدني في أهل غنيمة »
122	عريبته
125	معناه
127	غريب قولها « فعنده أقول فلا أقبح »
129	معناه
132	غريب قولها في أم أبي زرع
133	عريبته
136	معناه
137	غريب قولها في ابن أبي زرع
138	معناه
139	غريب قولها في ابنته
142	معناه
145	فقهه
147	غريب قولها « برود الظل »
148	عريبته

صفحة

- 148 — معناه 149 — غريب قولها فى جارية أبى زرع 151 — معناه 152 — غريب قولها فى ضيف أبى زرع وطهاته 153 — معناه 153 — غريب قولها « والاطاب تمخض » 156 — معناه 162 — عربيته 163 — معناه 165 — عربيته 166 — معناه 167 — قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة «كنت لك كابي زرع لام زرع» 168 — عربيته 171 — فقه 171 — جواز التأسي بأهل الاحسان من كل امة 171 — جواز قول المرء لصاحبه : بأبي انت وأمي 171 — أمثلة من تفدية رسول الله لأصحابه بأبويه وتفدية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم 172 — شكر المرأة احسان زوجها 174 — تقريظ الرجل فى وجهه بما فيه 174 — جواز ترفية المتزوج بلفظ الرفاء وكيف يدعى للمتزوج 175 — جواز المزح فى الاحايين واباحة المداعبة مع الاهل 178

- صور من مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان
يمزح ،ولا يقول الا حقاً 179
- ما روي في ذم المزاح ، وسر النهي عن المزاح في
هذه الاحاديث والآثار 181
- المشبه بالشيء لا ينزل منزلته في كل شيء 183
- هل في هذا الحديث دلالة على قبول خبر الواحد ؟ 184
- بيان (وهو فصل بلاغي في غاية الدقة والاهمية) 186
- خاتمة المصنف 214



تفسير حديث ام زرع للسيوطي 217

(وهو شرح مختصر لطيف لحديث ام زرع ، ارتأت وزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية ان تجعله في ختام شرح القاضي عياض
رحمهما الله ليعم بهما النفع وتتم الفائدة) .

الطبعة الثانية : 1982

رقم الإيداع القانوني - 301 / 1982

مطبعة فضالة - الحمديّة